

عندما يحلو المساء

الدكتور حسّان شمسي باشا

استشاري أمراض القلب

في مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة

زميل الكليات الملكية للأطباء في لندن وغلاسجو وإيرلندا

زميل الكلية الأمريكية لأطباء القلب

دار القراء
دمشق

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

حقوق الطبع محفوظة

تطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٤٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

الدار الشامية - بيروت هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١) ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

www.alkalam-sy.com

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدة: ٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

الفهرس

٩ مقدمة ●
١٤ الليلة (١٨٢): أعترف أنني أحببت
١٦ الليلة (١٨٣): كلام في الحب
١٨ الليلة (١٨٤): مَنْ أَحَبَّهُ اللهُ
٢٠ الليلة (١٨٥): كي يحبك الناس
٢٢ الليلة (١٨٦): بالجار تغلو الديار
٢٤ الليلة (١٨٧): صلِّ رحمك
٢٦ الليلة (١٨٨): لماذا يا أبي؟
٢٨ الليلة (١٨٩): مَنْ ذَا الَّذِي يُنْكِرُ أُمَّه؟
٣٠ الليلة (١٩٠): أضمُّه قبل أن أموت
٣٢ الليلة (١٩١): أبناء بَرَّةٌ
٣٤ الليلة (١٩٢): بدأت أخرج مع امرأة غير زوجتي
٣٦ الليلة (١٩٣): رسائل عتاب من الأبناء إلى الآباء
٣٨ الليلة (١٩٤): اتق الله يا أبي (١)
٤٠ الليلة (١٩٥): اتق الله يا أبي (٢)
٤٢ الليلة (١٩٦): ما زلت يا أبي تنبض بالحياة
٤٤ الليلة (١٩٧): رسالة إلى حائر
٤٦ الليلة (١٩٨): معاً نرتقي (١)
٤٨ الليلة (١٩٩): معاً نرتقي (٢)
٥٠ الليلة (٢٠٠): معاً نرتقي (٣)
٥٢ الليلة (٢٠١): معاً نرتقي (٤)
٥٤ الليلة (٢٠٢): معاً نرتقي (٥)
٥٦ الليلة (٢٠٣): ليس بالجمال وحده يحيا الإنسان
٥٨ الليلة (٢٠٤): صديق الألف سنة!
٦٠ الليلة (٢٠٥): الصديقة الصدوقة
٦٢ الليلة (٢٠٦): هكذا تقول بعض الفتيات
٦٤ الليلة (٢٠٧): رسالة إلى من تلعب بالهاتف
٦٦ الليلة (٢٠٨): المرأة التي وقفت في وجه عمر <small>رضي الله عنه</small>

- ٦٨ الليلة (٢٠٩): المرأة التي سمع الله قولها
- ٧٠ الليلة (٢١٠): نخوة رجل.. وعفة امرأة
- ٧٢ الليلة (٢١١): إلى من يدخل المواقع الجنسية
- ٧٤ الليلة (٢١٢): حذارٍ من المواقع الإباحية
- ٧٦ الليلة (٢١٣): لكيلا تقعي في الخطيئة (١)
- ٧٨ الليلة (٢١٤): لكيلا تقعي في الخطيئة (٢)
- ٨٠ الليلة (٢١٥): صاحب الشهوة عبداً..
- ٨٢ الليلة (٢١٦): امرأة وعفاف
- ٨٤ الليلة (٢١٧): شهوة الشباب
- ٨٦ الليلة (٢١٨): خوف من مقام الله
- ٨٨ الليلة (٢١٩): عندما يبحر اليافعون والمراهقون في الإنترنت
- ٩٠ الليلة (٢٢٠): همسة لمن يتداول الصور الفاضحة
- ٩٢ الليلة (٢٢١): إياك والتسويق!
- ٩٤ الليلة (٢٢٢): ثوب العيد
- ٩٦ الليلة (٢٢٣): كيف أحافظ على توبتي؟
- ٩٨ الليلة (٢٢٤): الأمل مخدراً لذيد
- ١٠٠ الليلة (٢٢٥): الأمل مفتاح العمل
- ١٠٢ الليلة (٢٢٦): طريقك إلى قلوب الناس
- ١٠٤ الليلة (٢٢٧): كيف تؤثر في الآخرين؟
- ١٠٦ الليلة (٢٢٨): فن التعامل مع الآخرين
- ١٠٨ الليلة (٢٢٩): هل أنت محاور جيد؟
- ١١٠ الليلة (٢٣٠): كن حكيماً
- ١١٢ الليلة (٢٣١): حرارة المال
- ١١٤ الليلة (٢٣٢): هل طعامك طيب؟
- ١١٦ الليلة (٢٣٣): أين تنفق مالك؟
- ١١٨ الليلة (٢٣٤): كأنني أكلت!..
- ١٢٠ الليلة (٢٣٥): لذة الإحسان
- ١٢٢ الليلة (٢٣٦): زبيدة الخير
- ١٢٤ الليلة (٢٣٧): أبو بكر الصديق رضي الله عنه
- ١٢٦ الليلة (٢٣٨): عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١)
- ١٢٨ الليلة (٢٣٩): عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٢)
- ١٣٠ الليلة (٢٤٠): عثمان بن عفان رضي الله عنه

- ١٣٢ الليلة (٢٤١): حبُّ في بيت عثمان رضي الله عنه
- ١٣٤ الليلة (٢٤٢): علي بن أبي طالب رضي الله عنه
- ١٣٦ الليلة (٢٤٣): عظماء على فراش الموت
- ١٣٨ الليلة (٢٤٤): ليس بالسنين يُعرَفُ الإنسان (١)
- ١٤٠ الليلة (٢٤٥): ليس بالسنين يُعرَفُ الإنسان (٢)
- ١٤٢ الليلة (٢٤٦): هل قلبك سليم؟
- ١٤٤ الليلة (٢٤٧): هل هذا القلب قلبك؟
- ١٤٦ الليلة (٢٤٨): كيف تكون التربية؟
- ١٤٨ الليلة (٢٤٩): ساعد ابنك على تطوير شخصيته
- ١٥٠ الليلة (٢٥٠): صور من الإبداع
- ١٥٢ الليلة (٢٥١): كيف نزرع حب الله تعالى في قلوب أطفالنا؟
- ١٥٤ الليلة (٢٥٢): الأطفال يتشاجرون! (١)
- ١٥٦ الليلة (٢٥٣): الأطفال يتشاجرون! (٢)
- ١٥٨ الليلة (٢٥٤): الأطفال يتشاجرون! (٣)
- ١٦٠ الليلة (٢٥٥): وفي السيارة يتشاجرون
- ١٦٢ الليلة (٢٥٦): كيف تحمي أبناءك من أخطار الطريق؟
- ١٦٤ الليلة (٢٥٧): لا تهملوا فتياتكم
- ١٦٦ الليلة (٢٥٨): دعتِ البنتُ على أبيها فقال: آمين!
- ١٦٨ الليلة (٢٥٩): وحيداً ولكن!..
- ١٧٠ الليلة (٢٦٠): من رضي بقضاء الله
- ١٧٢ الليلة (٢٦١): من أصيب بمصيبة: ماذا يفعل؟
- ١٧٤ الليلة (٢٦٢): بيوت واهية
- ١٧٦ الليلة (٢٦٣): رسالة إلى ربّات البيوت
- ١٧٨ الليلة (٢٦٤): حوار بين الزوجين
- ١٨٠ الليلة (٢٦٥): من أفضل: العالم أم الغني؟
- ١٨٢ الليلة (٢٦٦): هل الوقت من ذهب؟
- ١٨٤ الليلة (٢٦٧): سبيل الناجحين
- ١٨٦ الليلة (٢٦٨): عشر خطوات للاستعداد للمذاكرة
- ١٨٨ الليلة (٢٦٩): ابنك قبل الامتحان.. رسالة إلى الأم
- ١٩٠ الليلة (٢٧٠): عيناى لم تعودا تدمعان!
- ١٩٢ الليلة (٢٧١): قطرتان حبيبتان إلى الله
- ١٩٤ الليلة (٢٧٢): نظرات في هذه الدنيا

- ١٩٦ الليلة (٢٧٣): حتى أفرغ من ثلاث
- ١٩٨ الليلة (٢٧٤): بخ.. بخ.. يا حارثة
- ٢٠٠ الليلة (٢٧٥): كيف بك؟! ..
- ٢٠٢ الليلة (٢٧٦): ثماني مهمّات على طريق الجنة
- ٢٠٤ الليلة (٢٧٧): لا يكذب المرء إلا من مهانته!
- ٢٠٦ الليلة (٢٧٨): غيبة.. ونميمة.. وسعاية..
- ٢٠٨ الليلة (٢٧٩): كم في المقابر من قتيل لسانه؟
- ٢١٠ الليلة (٢٨٠): أسكتتني كلمة ..
- ٢١٢ الليلة (٢٨١): ماذا تفعل مع الحاسد؟
- ٢١٤ الليلة (٢٨٢): شر الناس عند الله
- ٢١٦ الليلة (٢٨٣): هل أديت الأمانة؟
- ٢١٨ الليلة (٢٨٤): كُنْ كَالْمَاءِ ..
- ٢٢٠ الليلة (٢٨٥): آن للنفوس أن تهاجر ..
- ٢٢٢ الليلة (٢٨٦): إخلاص.. أم رياء؟
- ٢٢٤ الليلة (٢٨٧): لم أصل من الليل شيئاً!
- ٢٢٦ الليلة (٢٨٨): لا دين لمن لا مروءة له
- ٢٢٨ الليلة (٢٨٩): كن وسطاً ..
- ٢٣٠ الليلة (٢٩٠): ثلاث من كنّ فيه كنّ عليه
- ٢٣٢ الليلة (٢٩١): من أدب النبوة ..
- ٢٣٤ الليلة (٢٩٢): أجب مَنْ دعاك ..
- ٢٣٦ الليلة (٢٩٣): اعرف مع من تتعامل ..
- ٢٣٨ الليلة (٢٩٤): إن عرفوا بموتي فلن يصلوا علي!
- ٢٤٠ الليلة (٢٩٥): خشيتُ أن يُقال ..
- ٢٤٢ الليلة (٢٩٦): قالت: إني وضعتها أنثى ..
- ٢٤٤ الليلة (٢٩٧): متى يجبك الله؟ ..
- ٢٤٦ الليلة (٢٩٨): هل أنت تحب القرآن؟
- ٢٤٨ الليلة (٢٩٩): قالوا عن القرآن..
- ٢٥٠ الليلة (٣٠٠): هكذا كانوا في الليل ..
- ٢٥٢ الليلة (٣٠١): أين جيران الله؟ ..
- ٢٥٤ الليلة (٣٠٢): جدد نيتك ..
- ٢٥٦ الليلة (٣٠٣): زد رصيد إيمانك!
- ٢٥٨ الليلة (٣٠٤): رطب لسانك!

- ٢٦٠ الليلة (٣٠٥): أين الإسلام؟..
- ٢٦٢ الليلة (٣٠٦): حديث مع النفس
- ٢٦٤ الليلة (٣٠٧): موطنان..
- ٢٦٦ الليلة (٣٠٨): لست أنت الأعمى (١)
- ٢٦٨ الليلة (٣٠٩): لست أنت الأعمى (٢)
- ٢٧٠ الليلة (٣١٠): كيف يكون الحمد؟
- ٢٧٢ الليلة (٣١١): كن واثقاً من رزق الله
- ٢٧٤ الليلة (٣١٢): لا تخف من ذي سلطان
- ٢٧٦ الليلة (٣١٣): لا تدعن محاربة الشيطان
- ٢٧٨ الليلة (٣١٤): لا ترَ عيب غيرك
- ٢٨٠ الليلة (٣١٥): لا تأمن مكري حتى تدخل الجنة
- ٢٨٢ الليلة (٣١٦): حوار مع خليفة
- ٢٨٤ الليلة (٣١٧): لم يصل صلاة قط!
- ٢٨٦ الليلة (٣١٨): مُباركٌ من مبارك
- ٢٨٨ الليلة (٣١٩): هكذا الورع
- ٢٩٠ الليلة (٣٢٠): أرجى الأعمال
- ٢٩٢ الليلة (٣٢١): عجبت لمن يحتمي من الطعام!
- ٢٩٤ الليلة (٣٢٢): لا تحبطن عملك!
- ٢٩٦ الليلة (٣٢٣): في مستنقع الوحل!
- ٢٩٨ الليلة (٣٢٤): همسة في أذن عاص
- ٣٠٠ الليلة (٣٢٥): كشفت ستر الله عليّ
- ٣٠٢ الليلة (٣٢٦): خوف ورجاء
- ٣٠٤ الليلة (٣٢٧): إذا الإيمان أثمر!
- ٣٠٦ الليلة (٣٢٨): من فضائل السور
- ٣٠٨ الليلة (٣٢٩): الوصايا العشر في رمضان!
- ٣١٠ الليلة (٣٣٠): يعتنق الإسلام ويخجل من السجود (١)
- ٣١٢ الليلة (٣٣١): يعتنق الإسلام ويخجل من السجود (٢)
- ٣١٤ الليلة (٣٣٢): قالوا عن محمد ﷺ..
- ٣١٦ الليلة (٣٣٣): شاعر مسيحي يمدح محمداً ﷺ..
- ٣١٨ الليلة (٣٣٤): الفقر الدائم
- ٣٢٠ الليلة (٣٣٥): رسالة إلى تاجر
- ٣٢٢ الليلة (٣٣٦): الدينُّ همُّ ولو درهم

- ٣٢٤ الليلة (٣٣٧): من سأل الناس حاجة
- ٣٢٦ الليلة (٣٣٨): اقضِ حوائج الناس
- ٣٢٨ الليلة (٣٣٩): والله في عون العبد..
- ٣٣٠ الليلة (٣٤٠): وقف معي حين خذلني الناس!
- ٣٣٢ الليلة (٣٤١): نعمة العافية
- ٣٣٤ الليلة (٣٤٢): بين الطبيب والمريض (١)
- ٣٣٦ الليلة (٣٤٣): بين الطبيب والمريض (٢)
- ٣٣٨ الليلة (٣٤٤): رسالة إلى طبيب
- ٣٤٠ الليلة (٣٤٥): إذا ما كنتَ مكتئباً
- ٣٤٢ الليلة (٣٤٦): عشْ سعادة يومك
- ٣٤٤ الليلة (٣٤٧): أربعون وصية للسعادة (١)
- ٣٤٦ الليلة (٣٤٨): أربعون وصية للسعادة (٢)
- ٣٤٨ الليلة (٣٤٩): أربعون وصية للسعادة (٣)
- ٣٥٠ الليلة (٣٥٠): أربعون وصية للسعادة (٤)
- ٣٥٢ الليلة (٣٥١): زوجات الرسول ﷺ: خديجة بنت خويلد ﷺ سيدة نساء قريش
- ٣٥٤ الليلة (٣٥٢): سودة بنت زمعة ﷺ
- ٣٥٦ الليلة (٣٥٣): الصّديقة بنت الصديق ﷺ (١)
- ٣٥٨ الليلة (٣٥٤): الصّديقة بنت الصديق ﷺ (٢)
- ٣٦٠ الليلة (٣٥٥): حفصة بنت عمر ﷺ حافظة القرآن الكريم
- ٣٦٢ الليلة (٣٥٦): زينب بنت خزيمة ﷺ أم المساكين
- ٣٦٤ الليلة (٣٥٧): أم سلمة ﷺ
- ٣٦٦ الليلة (٣٥٨): زينب بنت جحش ﷺ (١)
- ٣٦٨ الليلة (٣٥٩): زينب بنت جحش ﷺ (٢)
- ٣٧٠ الليلة (٣٦٠): جويرية بنت الحارث ﷺ
- ٣٧٢ الليلة (٣٦١): صفية ﷺ (١)
- ٣٧٤ الليلة (٣٦٢): صفية ﷺ (٢)
- ٣٧٦ الليلة (٣٦٣): أم حبيبة ﷺ (١)
- ٣٧٨ الليلة (٣٦٤): أم حبيبة ﷺ (٢)
- ٣٨٠ الليلة (٣٦٥): لماذا لا ينصرنا الله؟
- ٣٨٢ المراجع ●



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

عندما تلتقي الأسرة في المساء، ويجتمع الشمل في ظلال المحبة والوفاء، وتهفو القلوب إلى خالق الأرض والسماء؛ عندئذ يحلو المساء..

يروى: أن يحيى الليثي - أحد رواة الإمام مالك - قدم من الأندلس ليتلمذ على يديه، فلما كان في مجلسه يوماً، سمع الطلاب صارخاً يصرخ: «الفيل.. الفيل»..

فانصرف الطلاب من حلقة مالك إلا يحيى الليثي!..

سأله مالك: لماذا لم تذهب لترى ما يراه الناس؟.

فأجاب: لقد جئتُ من الأندلس لأراك، لا لأرى الفيل!.

فقال مالك: بارك الله فيك، فمثلك يكون له شأن..

وفعلاً أصبح هذا التلميذ أحد أشهر رواة الإمام مالك المعروفين!.

فكم منا من يترك جلسات العائلة في المساء ليخرج مفتشاً عن أمثال ذلك «الفيل»!.

كم من الناس من يبحث عن السعادة خارج بيته، وينسى أن السعادة تكمن في بيته مع أهله وأولاده؛ فلا تبحث عنها في حديقة الغرباء..

لماذا نجد بعض الشباب أو الأزواج يخرج من بيته في كل مساء مع «شلتته» أو أصحابه، ولا يعود إلا بعد منتصف الليل؟ .

لماذا تفككت البيوت وتشتت الأسر؟ .

لماذا تفرق الشمل وتشعبت المشارب والآراء؟ .

تعالوا نسأل أنفسنا: هل من الناس من لم يعط أبناءه «اللقاحات» التي ينصح بها الأطباء؟ .

ولكن هل حقاً أعطينا أبناءنا «لقاحات» إيمانية لمواجهة تحديات الحياة؟ .

هل جلسنا مع أبنائنا وبناتنا في كل يوم ولو لدقائق معدودات يكون فيها حديث من القلب إلى القلب، حوار هادئ، ونقاش لما يعكّر صفوهم ويدور بخلداهم؟ .

هل ربطنا أبناءنا بأصدقاء طيبين نطمئن إليهم عندما يخرج أبنائنا معهم؟ .

وهل عرفت الأم صديقات ابنتها ومع مَنْ تخرج؟ .

هل أرشدنا أبناءنا إلى البرامج النافعة في القنوات الفضائية الهادفة أو إلى كتاب مفيد نقله بين أيديهم من حين إلى حين؟ .

قد يقول أحدهم: في أسرتي خلاف بين الأبوين أو بين الأخ وأخيه؛ فأين يكون اللقاء؟ .

ويقول آخر: أسرتي لا تفهمني؛ هم في وادٍ وأنا في وادٍ، ويستحيل أن يكون بيننا لقاء! ..

ويقول ثالث: أنا ملتزم، وأهلي منحرفون غير مهتمين؛ فكيف ألتقي بهم؟! .

تعالوا يا إخوتي نتقارب ونتحابب؛ يفهم بعضنا بعضاً، نفتش عمّا يجمع بيننا وندع جانباً ما نختلف فيه ..

تعالوا نَصَفِّ القلوب من الضغائن والأحقاد، نستمع إلى وجهات نظر الآخرين، نحاورهم بهدوء واحترام، وندناقشهم بأدب والتزام ..

اجعل إخوتك لك أصدقاء؛ فهم معك في المستقبل إن واجهتك المحن والشدائد - لا سمح الله ..

إذا اختلفت مع والديك فلا تتشبث برأيك وتسفّه رأيهما ..

تذكّر أنهما يعملان لمصلحتك فأطعمهما، فرضاهما طريقٌ إلى رضا الله تعالى .. ولا تحسبن أن والديك خُلقا من أجل تحقيق آمالك وأحلامك، فعليهما مسؤوليات كبيرة تجاه العمل والبيت! ..

لا تكن أنانياً، آثر إخوتك على نفسك ما استطعت، وكن كريماً عطوفاً على من هم أصغر منك! ..

إذا كان ما حولك لا يبعث على السعادة والرضا، فكن أنت التغيير الذي تحب أن تراه في العالم؛ فحياة الإنسان لا تقاس بعدد السنين التي عاشها، إنما بما قدّم في هذه الحياة؛ بالبصمات التي تركها، بما قام من عمل جليل، بالذكر الحسن، بأعمال الخير التي أسهم فيها في حياته.

وهمسة في أذن الأب: لا تَفرضُ آراءك على زوجتك وأولادك، ولا تكن الأب المستبد برأيه وإن كان على خطأ فاضح! ..

لا تدع الهموم التي تعانيتها خارج بيتك تتسرب إلى داخل أسرتك فتتراكم مع الهموم الداخلية للأسرة ..

لا تقارن حياتك بحياة صديق أو قريب ثري تظن أنه يتمتع بسعادة أكثر

منك، ولكن قارنها بحياة من يقاسي من المشكلات والأزمات التي لا تعرفها حياتك! ..

لا تنسَ الابتسامة في معظم الأحوال؛ فهي كلمة معروف من غير حروف، هي رسول القلوب إلى القلوب، هي مدعاةٌ للود والحب والوفاء..



ما أجمل أن نقضي الكثير من الأمسيات في أكناف العائلة وعلى بساط المحبة والصفاء.. ولكن لا شك أن للأقرباء نصيباً، وللأصدقاء المخلصين نصيباً، وللمعلمين والمربيين نصيباً، فأعط كل ذي حق حقه.

تذكرتُ وأنا أكتب هذا الكتاب أيام الصبا والشباب؛ عندما كنتُ في الثانية عشرة من عمري، كنت آتي من المدرسة، أضع حقيبتني في البيت، وأهرع إلى «مكتبة علوان» في مدينة حمص لأشتري كتاباً أو أقرأ في كتاب. كم قضيتُ من ساعات أستمع - وأنا صغير - إلى الأساتذة والأدباء والعلماء، يقفون في مكان ضيق لا يتجاوز مترين في مترين^(١)! ..

تعلمتُ منهم أن القلوب الواسعة لا تعرف ضيق المكان، ولا حرَّ الزمان!.

هناك عشقتُ الأدب والعلم معاً؛ تعلمتُ منهم أدب الاختلاف، كانوا يتناقشون ويتحاورون في شتى مجالات المعرفة، ولكن بأدب جم واحترام بالغ.

كان هناك من يرشدني إلى الكتب النافعة والمفيدة، فالشباب في مقتبل العمر - بل وكثير من الناس - بحاجة لمن يرشدهم إلى الكتاب الجيد والمفيد.

(١) ما زالت «مكتبة علوان» قائمة بعد أكثر من خمسين عاماً، وقد توسعت كثيراً.

ويأتي هذا الكتاب «عندما يحلو المساء» مكماً لسابقه «سهرة عائلية في رياض الجنة»؛ يسير على نهجه، ويحذو خطاه، كل موضوع فيه بصفتين، ليكمل الكتابان معاً (٣٦٥) ليلة.. وقد لقي الكتاب السابق بفضل الله تعالى قبولاً كبيراً وثناءً عاطراً، حتى إن أحدهم قال: والله لقد حزنت.. حزنت.. حزنت!..

قلت: علام حزنت؟ قال: حزنت أن وصلت إلى آخر صفحة في الكتاب، فكم تمنيت ألا تنتهي صفحاته، ولا تنقضي ليلته!

فحمداً لك يا إلهي، فالفضل منك وإليك، لا نحصي ثناء عليك...

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وكلمة شكر للأخ الحبيب الأستاذ عماد الدين دولة، الذي يبذل قصارى جهده لإخراج هذه الكتب إلى حيز الوجود بأجمل حُلَّة، وأبهى طَلَّة، فجزاه الله عني خير جزاء.

اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم، واجعل فيه الخير والبركة والثواب لقارئه وناشره وكاتبه، إنك يا إلهي سميع الدعاء.

حسان شمسي باشا

حمص ٤ رمضان ١٤٣٠هـ

٢٢ أغسطس (آب) ٢٠٠٩م

أعترفُ أنني أحببتُ



نعم أحببتُ؛ أحببتُها كما لم يحبَّ أحدٌ أحداً، بل أين حب المحبين من حبي أنا؟! ..

نعم .. أحبها، بل والله أعشقها، أشعر بلمساتها الحانية تلامس شغاف قلبي، لا أسمعها إلا ويطير بي الشوق إلى السماء، فيرقص قلبي وتسكن نفسي ..

أحبُّكِ أيتها (الكلمة الطيبة) أحبُّكِ ..

أحبُّكِ أيتها (الكلمة الرقيقة) أحبُّكِ ..

أحبُّكِ أيتها (الكلمة الحانية) أحبُّكِ ..

ما أجمل أن يقبِّل الابن يدَ أمه وهو يقول لها: (ربي يحفظك لنا يا أماه).

وما أجمل أن يدعو الأب لأبنائه في كل حين: (اللهم ارضَ عنهم، وأسعدهم في الدنيا والآخرة).

وما أحسن أن تستقبل الزوجة زوجها عند عودته بابتسامة قائلة له: (أسأل الله أن لا يحرمننا منك، فالبيت بدونك مظلم لا يطاق).

وما أروع أن تودِّعَ الزوجة زوجها في الصباح وهي تقول له: (لا تُطعمنا من حرام فإننا لا نقدرُ عليه).

وما أحلى أن يقول الأخ لأخته: (أنتِ زهرة البيت وعطره).

كلمات جميلة أليس كذلك؟ .. ألسنا نتمنى أن تقال لنا مثل هذه الكلمات؟ .. أليس كلنا يتمنى أن يقول لأحابه هذا الكلام الجميل؟ .. ولكن لماذا لا نسمعها ولا نتفوه بها إلا نادراً؟ ..

السبب الرئيس هو: التعمود؛ فمن عمود لسانه على الكلام الرقيق يصعب عليه أن يفارقه، والعكس صحيح..

فمن عمود على أن ينادي زوجته مثلاً ب: (حبيبي) لا يستطيع أبداً أن يناديها كما يفعل آخرون ب: (يا مرة) أو: (يا...!).

ومن عمود على أن يبدأ حديثه لولده ب: (يا حبيبي، يا ولدي، ويا بنتي) لا كما يفعل الآخرون ب: (يا أبله) أو: (يا أهبل)؛ مات على ذلك..

ومن عمود أن ينظر لفلذات أكبادهم أنهم أقل من غيرهم سيموت ونظرته لهم لم تتغير^(١)!

لماذا لا نستطيع قول كلمة حب واحدة لآبائنا وأمهاتنا وأهلينا؟.. وإن حدث؛ فتخرج الكلمة على استحياء؟!..

لماذا يُعقد لسانك عند زوجتك أو أبيك وأمك، بينما ينطلق عند صديق لك؟!..

عمود أن تقول لأمك: (ادعي لنا يا أمي.. هل تريدين شيئاً قبل أن أخرج؟).

عمود أن تخاطب أبناءك بالكلمة الطيبة (حبيبي.. حبيبي..)، وإذا قدّم لك ابنك كأساً من الماء فقل له: (شكراً).. وإن أتتك زوجتك أو ابنتك بفنجان من القهوة فقل لها: (سلمت يداك)..

وإن طلب منك ابنك أو ابنتك حاجة تقدر عليها فقل لهم: (بعيوني أحضرها لكم)..

جرّب الكلمات الحلوة والابتسامة الرقيقة وانظر ماذا ترى!

(١) خالد حامد الأحمدي، اعترف أنني أحببت، المنار، ذو القعدة ١٤٢٤هـ، بتصرف.



كلامٌ في الحبِّ

الليلة
١٨٣

الحبُّ كالصدي؛ تُرسله إلى من حولك فيعود إليك ..
تنشره في محيطك فيقع في حُجرك ..
ما تراه في الآخرين تجده في نفسك ..
هم يبادلونك المشاعر والأحاسيس ..
وأنت ترسم الطريقة التي بها يتعاملون؛ فإن أحسنتَ لهم وأحبتهم
أحبُّوك ..

وإن أفدَّتْهم أفادوك ..
وبالطبع لا يكون الحب إلا في الله ..
وأول من يستحق حبك وأحاسيسك هم أهلك وأولادك ..
فالرسول ﷺ يقول: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»^(١).
وما تاهَ كثيرٌ من الناس عن ربهم حين تاهوا؛ إلا لأنهم قدّموا حبَّ كل
شيء على حبه سبحانه ..
وما ترنَّح بعضهم في غياهب الحقد والحسد؛ إلا بعد أفول الحب عن
قلوبهم ..

هلاً عشتَ - ولو لفترة قصيرة - تشعر بحب الناس لك؛ قلّوا أم كثروا؟
أليست تلك الأيام من أجمل أيام حياتك؟!^(٢).

ألم تسمع قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ

(١) صحيح الجامع: (٣٣١٤).

(٢) خالد الأحمدى، الحب، بتصرف.

الرَّحْمَنُ وَدًّا ﴿ [مريم: ٩٦] أي: حَبًّا في قلوب الناس لهم! ..

هَلَّا سَأَلْتَ نَفْسَكَ يَوْمًا: أَيْنَ أَنَا مِنْ هَذَا الْحَبِّ فِي السَّمَاءِ؟ أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «إِنِّي أَحَبُّ فُلَانًا فَأَحْبُوهُ» فَتَتَلَقَّاها الْمَلَائِكَةُ بِحُبِّ وَشُغْفٍ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ بِحُبِّ النَّاسِ لَهُ؟! ..

ويظل المرء منا يبحث عن حب الخلق له؛ يضيق صدره ولا ينطلق لسانه إن هم جَفَوْهُ، ويَطِيرُ فرحاً إن باحوا بحبهم له! ..

هذا الإنسان يبحث عن حب الناس له في كل مكان وعند كل إنسان، ولكنه ينسى أحياناً حب رب الإنسان، ينسى أين هو نفسه من حب الله له . . .

وبالله عليكم ماذا يفيدنا حب الخلق أجمعين لنا إن كان يبغضنا رب الخلائق كلها؟! ..

تأمل كيف قَدِّمْتَ آسِيَةَ رَضِيحَتِنَا «الجار قبل الدار» في دعائها: ﴿رَبِّ أَبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: ١١]! ..

أرأيت لو قيل للمؤمنين: اختاروا بين جنةٍ ليس فيها ربكم، وبين صعيدٍ جُرْزٍ ومعكم ربكم؛ فما ظنكم سيكون اختيارهم؟

فيا حسرة على من لم يذق أحلى ما في الدنيا! .. أتدري ما أحلى ما فيها؟! .. حب الله جل في علاه.

حب الله للعبد غاية ما يصبو إليه المريدون؛ ذلك أن حَبَّهُ تَعَالَى لِعَبْدِهِ أَنَّهُ تَعَالَى رَاضٍ عَنْهُ، رَاضٍ عَنْ عَمَلِهِ، عَنْ قَوْلِهِ، عَنْ قَلْبِهِ . . فأَيُّ نارٍ بعد ذلك يخشى ذلك العبد؟! ..

قل لي بربك: أرأيتَ حبيباً صادقاً في حبه يضرُّ حبيبَه؟ .. حاشا لله تَعَالَى (ولله المثل الأعلى).





مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ

الليلة
١٨٤

● يحبهم ويحبونه:

يقول أحد الصالحين: من أنسه الله بقربه، أعطاه أربعاً:

- أنساً من غير أحد..
- وعلماً من غير طلب..
- وغنى من غير مال..
- وعزاً من غير عشيرة..

والله ﷻ في حديثه عن حبه لعباده يبدؤهم بالحب: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]؛ فهو يحبك ويحب منك أن تتقرب إليه.

ولكن لا بد أن يكون فيك ما يجعل الله تعالى يُلقي عليك محبته..
يقول الحسن رضي الله عنه: «أربع من كنَّ فيه ألقى الله عليه محبته، ونشر عليه رحمته:

- مَنْ بَرَّ والديه..
- ورفقَ بمملوكه (أو خادمه أو العامل عنده)..
- وكفَّلَ اليتيم..
- وأغاثَ الضعيف» (في ماله، في عمله، في كل ما يقدر عليه).

● طَهَّرَ سِرِّيكَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ:

يقول بشر الحافي: «من أراد أن يذوق طعم الحرية، فليطهِّر السريرة بينه وبين الله تعالى».

● أَحْسَنَ الظَّنَّ بِاللَّهِ تَعَالَى:

يقول محمد بن المنكدر: «إني لأستحيي من الله أن يعلم من قلبي أنني ظننتُ أنَّ رَحْمَتَهُ عَجَزَتْ عَنِّي».

فلنحسن الظن بالله تعالى؛ فالله جلّ في علاه يقول في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي؛ إن ظنّ خيراً فله، وإن ظنّ شراً فله»^(١).
ولكن إحسانك الظن بالله يتطلب منك أن تحسن عملك مهما كان، وتنوي به وجه الله تعالى.

يقول الحسن البصري: «إن المؤمن أحسنَ الظنِّ فأحسنَ العمل، وإن المنافق أساءَ الظنَّ فأساءَ العمل».

● أخلص عملك لله تعالى:

فهذا داود بن أبي هند يصوم أربعين سنة لا يعلم به أهله..
وأخر يقوم الليل عشرين عاماً لا يعلم به أحد..

هكذا تربوا على الإخلاص، وحملوها على إخفاء الأعمال الصالحة.. أين بعض المسلمين اليوم ممن يحدث بجميع أعماله: لو قام ليلة من الدهر لعلم به الأقارب والجيران! ولو تصدّق بصدقة لعلمت بها الأمة في شرقها وغربها!.

فإذا أردت محبة الله، فما عليك إلا بصدقات مخفية حتى لا تعلم شمالك ما أنفقت يمينك.

عليك بركعات إمامها الخشوع، وقائدها الإخلاص، تركعها في ظلمات الليل؛ لا يراك إلا الله، ولا يعلم بك أحد من الناس.

فلما أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الأجر ما لا يعلمه إلا الله:
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].



(١) السلسلة الصحيحة، للألباني: ٢٢٥/٤.



كي يحبك الناس

الليلة
١٨٥

- يقول ستيفن كوفي في كتابه «العادة الثامنة» :
 - «لو كنتَ طبيباً فقد يتهمك الناسُ بأنك تضرمرُ أمراً سيئاً خلف هذه الطيبة! كنُ طبيباً على أي حال..»
 - لو كنتَ ناجحاً فقد يلتفتُ حولك أصدقاء منافقون! كن ناجحاً على أي حال..»
 - ما تبنيه في سنين عديدة قد يأتي من يهدمه في ليلة! ابنِ على أي حال..»
 - الخير الذي تفعله اليوم سينساه الناس غداً! افعل الخير على أي حال..»
 - أعطِ العالم خير ما عندك على أي حال؛ ففي النهاية الأمر بينك وبين ربك، وليس بينك وبين الناس على أي حال..».
- إذا بُليتَ بشخصٍ لا خلاق له فَكُنْ كأنك لم تسمع ولم يقلِ
- يقول أبو عبيدة الناجي : كنا في مجلس الحسن البصري ، فقام إليه رجل فقال : يا أبا سعيد! إن ههنا قوماً يحضرون مجلسك ليتتبعوا سقط كلامك! .
- فقال الحسن : يا هذا! إنني لما رأيتُ الناس لا يرضون عن خالقهم؛ علمتُ أنهم لا يرضون عن مخلوق مثلهم..»
- وهذا علي بن أبي طالب عليه السلام يقول : خالطوا الناس مخالطةً إن مُتّم معها بكوا عليكم ، وإن عشتُم حنوا إليكم .
- يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمته الله :
- «لكي يحبك الناس؛ افسح لهم طريقهم..»

ولكي ينصفك الناس؛ افتح لهم قلبك ..

ولكي تنصف الناس؛ افتح لهم عقلك ..

ولكي تَسَلِّمَ من الناس؛ تنازل لهم عن بعض حَقِّكَ».

● ولا تكسب المال وتفقد الناس؛ فَإِنَّ كسب الناس طريق لكسب المال، قال عليٌّ رضي الله عنه لابنه الحسن رضي الله عنه :

يا بني! اجعل لنفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ..

فأحب للناس ما تحب لنفسك، واکره لهم ما تکره لها ..

ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم ..

ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حُرّاً ..

● يقول أحد الحكماء :

لا تعامل الناس على أنهم ملائكة فتعيش مغفلاً ..

ولا تعاملهم على أنهم شياطين فتعيش شيطاناً ..

ولكن عاملهم على أن فيهم بعض أخلاق الملائكة، وكثيراً من أخلاق الشياطين ..

● ورحم الله الإمام الشافعي حين لخص مسائل حسن المعاشرة والطريق إلى الحياة الخالية من الأذى والشروع، فقال:

وَعِشُّكَ مَوْفُورٌ، وَعَرَضُكَ صَيِّنٌ	إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحِيَا سَلِيمًا مِنَ الْأَذَى
فَكُلُّكَ عَوْرَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنٌ	لِسَانُكَ لَا تَذَكُرْ بِهِ عَوْرَةَ امْرِئٍ
فَصُنُّهَا وَقَلْ يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنٌ	وَعَيْنُكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَعَايِبًا
وَفَارِقٌ، وَلَكِنْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	وَعَاشِرٌ بِمَعْرُوفٍ وَسَامِحٌ مَنِ اعْتَدَى





بالجارِ تغلو الديارُ

الليلة
١٨٦

● يقول أحد الشعراء ردّاً على الذين لاموه لبيعه داره بثمان بخس :
يلومونني إن بعث بالرُّخصِ منزلي ولم يعرفوا جاراً هناك يُنغصُ
فقلتُ لهم: كُفُّوا الملامَ فإنها بجيرانها تغلو الديارُ وترخصُ
فهم لا يعرفون سوء خلق ذلك الجار، حتى اضطره للهروب وبيع
الدار! ولهذا قال الشاعر:
اطلبْ لنفسك جيراناً تجاوزهم لا تصلحِ الدارُ حتى يصلحِ الجارُ
ويقول علي رضي الله عنه:

«أيتها الأنفس التي يظهر عليها أثر السجود على جباه أصحابها؛ كيف
يشكو من أذاها وشرّها الجارُ والصدّيق؟!». .
اشتكى بعض الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وآله من سوء امرأة؛ فقالوا: إنها
صوامة قوامة غير أنها تؤذي جيرانها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «هي من أهل
النار»^(١).

● من حقوق الجار:

- بادر جارك بالسلام إذا لقيته، واسأل عن حاله . .
- تلطف في معاملة أبنائه؛ أحسن إليهم، وانصحهم بالمعروف . .
- غضّ البصر عن أهله، وحافظ على حرمة، يقول عنترة:
وأغضّ طرفي إن بدت لي جارتي حتى يُواري جارتي مأواها

(١) السلسلة الصحيحة، للألباني: (١٩٠).

- فإذا كانت هذه من أخلاق الجاهلية؛ فهي في الإسلام أكد وأقوى..
- تجنب إيذائه بطرح الأقدار قرب داره، أو التناول عليه في البنيان؛ فالرسول ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»^(١).
 - اصفح عن زلاته، وتغاضَّ عن تقصيره وسيئاته، وعاتبه برفق وأدب..
 - شاركه في أفراحه وأتراحه، وأسرع إلى نجدته؛ فإن كان كبير النفس شكرك، وإن كان صغير النفس لم يقدر ذلك..
 - ابذل النصيحة له، وأخلص في مشورته..
 - اصبر على جفائه وإعراضه، وليس من حسن الجوار كفُّ الأذى، بل الصبر على الأذى.. جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فقال له: إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني! فقال له: اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه..
 - ابذل المعروف له، وأهده من طعام وغيره..
- يقول أبو ذر رضي الله عنه: أوصاني خليلي: «إذا طبختَ مرقاً فأكثر ماء، ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف»^(٢).
- سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ: إن لي جارين؛ فإلى أيهما أهدي؟ قال ﷺ: «إلى أقربهما منك باباً»^(٣).



(١) صحيح الجامع: (٧٦٧٥).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.



● صِلْ رَحِمَكَ بكلمة طيبة، بزيارة سريعة، برسالة على الجوّال . . . بأي طريقة تناسب الحال .

فصلة الرحم تعمّر الديار، وتثمر الأموال، كما قال النبي المختار ﷺ: «صلة الرحم وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار»^(١) .

ألا تريد أن يبارك الله في عمرك، وتوفّق إلى طاعته، وتعمّر أيامك ولياليك بما ينفعك في الدنيا والآخرة؟ . .

يقول ﷺ: «إن الله ليعمر بالقوم الديار، ويشمر لهم الأموال، وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضاً لهم» .

قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «بصلتهم لأرحامهم»^(٢) .

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو إليه قطيعة أهله قائلاً له: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسب إليهم ويسبئون إليّ، وأحلم عليهم ويجهلون عليّ .

فقال ﷺ: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دمت على ذلك»^(٣) .

ومعناه: كأنما تطعمهم الرماد الحار . . وهو تشبيه لما يؤلمهم من أكل رماد حارّ .

(١) صحيح الترغيب: (٢٥٤٤) .

(٢) رواه الحاكم والطبراني، الترغيب والترهيب، وإسناده جيد .

(٣) رواه مسلم .

- فَصِلْ رَحْمَكَ، وَأَدْخِلْ عَلَيْهِمُ السَّرُورَ مَهْمَا كَانَ رَدَّ فَعْلِهِمْ، يَقُولُ ﷺ:
- «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من قطيعة الرحم، والخيانة والكذب..»
- وإنَّ أعجلَ الطاعة ثواباً لَصِلَّةُ الرَّحْمِ؛ حتى إن أهل البيت ليكونون فَجْرَةً، فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم إذا تواصلوا»^(١).
- إياك أن تطمع في مال أحد من أقاربك، فسوف تكون لهم عدوًّا، وتسقط من عيونهم.
- استغن عن كلِّ ذي قُرْبَى وذِي رَحْمٍ إِنَّ الْغِنْيَ مَنِ اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ
- إن حصل خلاف مع أحد الأقارب فبادره بهدية؛ فالهدية تجلب المودة، وتستلُّ سخائم القلوب.
- احرص على تذكُّر أقاربك في المناسبات والولائم.
- ساهم في جعل «صندوق للقرابة» تُجمَع فيه تبرعات الأقارب، ويشرف عليه أشخاص أمناء، فإذا احتاج أحد من الأقارب مالاً لزواج، أو نزلت به نازلة؛ بادروا إلى مساعدته..
- تغاضَّ عن هفوات الأقارب وأغلاطهم.
- فهل قمنا بما يجب علينا من صلة للأقارب؟
- هل زرناهم في صحتهم تودداً، وفي مرضهم مشاركة وسؤالاً؟
- هل بذلنا لهم ما يجب بذله من نفقة وسداد حاجة؟



(١) صحيح الجامع: (٥٧٠٥).



كان خالد شاباً لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره، وكان والده من أكبر التجار في المدينة .

تعرف خالد على إمام مسجد الحي؛ بدأ نور الإيمان يشع من وجهه ابتسامة جميلة تعلو محيَّاه، ومعاملة طيبة لوالديه لم يعدها من قبل .

لاحظ والد خالد أن ابنه تغيَّر، فلم تعد هناك أصوات موسيقى صاحبة تصدر من غرفته، بل حلَّ محلُّها قرآن يُتلى صباح مساء .

لم يُطق والد خالد هذا الحال؛ كيف لا وهو لم يصلِّ ركعة واحدة منذ أن تزوج! .. ويأتي الآن ابنه يدعوه إلى الصلاة فيبصق في وجهه ..

سأل والد خالد إمام المسجد: لماذا أفسدتم عليّ ولدي؟ .

ابتسم الإمام وقال: ما أفسدنا عليك ولدك، ولكننا أرشدناه إلى طريق الخير، فابنك اليوم يحفظ ستة أجزاء من القرآن! .

فقال الأب: لو أنني رأيتُ ابني معكم مرة أخرى لأحطَّمنَّ وجهك! .. ثم بصق في وجه الإمام! ..

طلب الأب من ابن أخيه (وهو شاب غير ملتزم) أن يصحب خالداً إلى لندن كي يُبعده عن أهل الصلاح! ..

نزلا بفندق مجاور للمراقص والملاهي الليلية، وكان ابن العم يخرج إلى تلك المراقص، وخالدُ يأبى الذهاب .

ومرت الأيام، وترك خالدُ الصلاة والقرآن الذي كان يقرؤه، وأصبح من رواد الملاهي الليلية الملازمين ..

عرض ابن العم على خالد يوماً سيجارة محشوة بالمخدرات، فأخذها خالد وسقط في بحر الظلمات! .

أصبح خالد غير مبالٍ بأي أمر؛ سهرٌ ومسكرات، فتيات وراقصات . . .
وكان يطلب من أبيه مدداً من المال، فيطير الأب فرحاً أن خالداً ترك الصلاة وهجر القرآن! .

وأخيراً عاد خالد مع ابن عمه بعد أن توقف إرسال النقود . . .
استقبل خالدُ والدَه بصفعة على وجه أبيه، وقال: لِمَ لَمْ تعد ترسل المال إلينا؟ .

حاول الأب أن يعالج ابنه من الإدمان ولكن دون جدوى . . ضرب أباه أكثر من مرة، وبصق في وجه أبيه مرات . . سرق الكثير من ذهب والدته، وأصبح يهدد والده بالسكين كي يحصل على المال .

ذهب الأب إلى إمام المسجد متوسلاً: سامحني . . أنا الذي بصقتُ في وجهك، أرجوك أرجوك أن تعيدوه كما كان، أرجعوه إلى الصلاة، أرجعوه إلى القرآن . .

ولم يمضِ أسبوع على هذا اللقاء حتى كانت جنازة والد خالد ووالدته يُصلَّى عليهما في ذلك المسجد . .

قتلها لأنها لم يعودا يملكان أموالاً للمخدرات! .

ومن خلف القضبان كانت دموع خالد تجري غزيرة . .

لماذا يا أبي؟ لماذا لم تُردّ لي أن أصوم وأصلي وأقرأ القرآن؟ .

لماذا أرسلتني إلى لندن، وفي نواياك أن أهجر درب الإيمان؟ .

ألسنت أنت المسؤول عما جرى؟! . .





● قصة يرويها أحد بائعي المجوهرات؛ يقول: دخل عليّ رجل وزوجته، وخلفه أمه العجوز تحمل ولده الصغير.

أخذت زوجته تشتري عدداً من القطع الذهبية، ولما سأل الرجل عن الحساب قال البائع: عشرون ألف ريال ومئة ريال، فقال الرجل: ومن أين أتت المئة ريال؟.

قال: أمك العجوز اشترت خاتماً بمئة ريال!..

أخذ الرجل الخاتم ورماه إلى البائع وقال: العجائز ليس لهنّ ذهب!.. فلما سمعت الأم العجوز تلك الكلمات بكت وذهبت إلى السيارة!.

عاتبه البائع، فذهب الرجل لأمه وقال: خذي الخاتم إن كنت تريدين، فقالت الأم: لا والله لا أريد الذهب، ولكنني أردتُ أن أفرح بالعيد كما يفرح الناس، فقتلتُ سعادتي سامحك الله!..

● خرج رجل مع أسرته إلى شاطئ البحر، فرأى عجوزاً على الشاطئ جالسة وحدها!.

يقول: فلما حلّ منتصف الليل وأردنا الرجوع، قلت: سبحان الله ما بال تلك العجوز جالسة لوحدها حتى الآن ولم يأتها أحد؟!.. فقلت لها: يا أمّاه! أنت تجلسين لوحده دون أنيس؟!..

قالت: إن ابني أتى بي إلى هنا وقال: إن عنده عملاً سوف يذهب إليه ثم يرجع.

فقال لها: لكن الوقت متأخّر ولا أحد في المكان؛ فهل ترجعين معنا؟.

قالت: لن أرجع حتى يرجع ابني؛ وَعَدَنِي أَنَّهُ سَوْفَ يَرْجِعُ، وَأَعْطَانِي
هذه الورقة .

قرأتُ الورقة فإذا فيها: يرجى ممن يقرأ هذه الورقة أن يأخذ هذه
العجوز إلى دار العجزة .

يا الله! يرمي أمه على الشاطئ ويطلب ممن يعثر عليها أن يأخذها إلى
دار العجزة! .

يقول الشاعر وهو يتكلم بلسانها وكأنها تقول:

لا تسبوا ولدي ما كنتُ رغم الغدر خصمه
هو طفلي وأنا أضمنه مذ كان لحمه
ولدي ما عقتني بل فعله برُّ ورحمه
جاء بي للبحر كي أنعم في رملٍ ونسمة
فدعوه لا تسيئوا الظنَّ فيه بالمذمة
واذهبوا للدار^(١) بي ما الدارُ للأبناءِ وصمه!
غاب عني لم يغبْ إلا لأمرٍ قد أهَمَّه
هو مشغولٌ وللمشغولِ أَعذارٌ وحرَمه
وسياتي ولدي للدارِ إن أنهى المُهمَّه
ولدي أعرفه مَنْ ذا الذي يُنكرُ أمه؟

انظروا إلى حنان الأم، إلى قلب الأم؛ فهي لا تريد أن تسيء الظن
بابنها فهو من لحمها ودمها حتى ولو فعل بها الأفاعيل! ولكن ما بال هذا
الابن يرميها في دار العجزة؟! أهذا هو جناح الذل الذي قال عنه
الخالق ﷻ؟! .





● وهذا ولدٌ عاقٌّ رمى أمه في دار العجزة، وظل سنوات لم يزرها ولم يتصل بها، حتى إذا حانت ساعة وفاتها بكت الأم وقالت: اتصلوا بولدي، أريد أن أضمه قبل أن أموت.

ولدها يظل ولدها مهما فعل، وحبها له ما يزال متوقِّداً في قلبها مهما ارتكب بحقها من جرائم!..

قالوا له: إن أمك تحتضر وتريد أن تراك وتقبلك، فقال: ليس عندي وقت؛ عندي أعمال وتجارات.. ثم أغلق الهاتف!..

وماتت الأم وفي قلبها حسرة أنها لم تضمَّ ابنها قبل أن تموت، كانت تريد أن تسامحه على ما فعل، تريد أن تغفر له عقوقه وهجرانه، ولكن قلبه قد تحجّر، فبئس ما قال، وبئس ما فعل!.. ماتت ساخطة عليه، فاستحق من الله غضباً ما بعده غضب.

اتصل مسؤول الدار به يقول: لقد ماتت أمك.. فماذا أجب؟ قال: اعملوا الإجراءات ثم ادفنوها!..

سبحان الله! حتى بعد الموت لم يتحرك منه ساكن!

فكيف يكون مصيره في الدنيا قبل الآخرة؟.

يقول ﷺ: «اننان يعجلهما الله في الدنيا: البغي، وعقوق الوالدين»^(١).

لأُمَّكَ حَقٌّ لَوْ عَلِمْتَ كَثِيرٌ كَثِيرُكَ يَا هَذَا لَدَيْهِ يَسِيرُ

(١) صحيح الجامع: (١٣٧).

فكم ليلةً باتت بثقلك تشتكي لها من جَواها أَنَّةٌ وزفيرُ
وفي الوضع لو تدري عليها مشقةٌ فَمِنْ غَصَصٍ منها الفؤادُ يطيرُ
وكم غَسَلْتُ عنك الأذى بيمينها وما حَجَرها إلا لديك سريرُ

أنسيت يا أخي كم سهرت عليك وأنت مريض؟! وكم أزالته عنك من
أوساخ مرات عديدة في كل يوم؟! .

● وتروي الآثار قصة ولد عاق اسمه «منازل» . . كان فاجراً عاصياً
عاقاً لوالديه، أتاه أبوه يوماً يطلب منه مالاً، فلطم أباه على وجهه، وذهب
الأب باكياً وهو يقول: والله لأحجّن إلى بيت الله وأدعو عليه هناك . .
فيحج الأب ويتعلق بأستار الكعبة ثم يرفع يديه قائلاً:

يا مَنْ إِلَيْهِ أَتَى الْحُجَّاجُ قَدْ قَطَعُوا أَرْضَ الْمَهَامِهِ مِنْ قُرْبٍ وَمِنْ بُعْدٍ
إِنِّي أَتَيْتُكَ يَا مَنْ لَا يَخِيبُ مَنْ هَذَا «منازلُ» لَا يَرْتَدُّ عَنْ عَقْبِي
وَشُلَّ مِنْهُ بِحَوْلٍ مِنْكَ جَانِبَهُ يا مَنْ تَقَدَّسَ لَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَلِدْ
فشلَّ اللهُ نِصْفَ جِسْدِهِ، وَظَلَّ مَشْلُولاً إِلَى أَنْ مَاتَ! .

وكم نرى من شباب يستحيون أن يعرفوا الآخرين بأبائهم، فيقول
أحدهم: «هذا السائق»، أو «الخادم»! .

وتستحيي إحداهن من أن تعرف صديقاتها على أمها العجوز، فتقول:
هذه «المربية»، أو «الخادمة»! .

أليس هذا من أشد أنواع العقوق؟! . .



إذا كنا قد عرضنا صوراً من عقوق الأبناء لوالديهم، فهناك صور مشرقة لبرِّ الوالدين:

● فهذا رجل لا يأكل مع أمه في صحن واحد، فلما سُئِلَ عن ذلك قال: أخاف أن تمتد يدي إلى لقمة وأمي تشتهيها! .

● جاء رجلُ النبي ﷺ فقال: إني جئت أبايعك على الهجرة، ولقد تركتُ أبويَّ يبكيان! قال: «ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما»^(١) .

● ولَمَّا رحل الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي في طلب العلم إلى الإمام الكازروني في أرض العراق، قال له الكازروني: ألكِ والدة؟ قال نعم. قال: فهل استأذنتها؟ قال: لا .

قال: فوالله لا أقرأئك كلمةً حتى ترجعَ إليها، فتخرجَ من سخطها .
قال: فرجعتُ إليها، فأقمتُ معها إلى أن ماتت، ثم رحلتُ في طلب العلم .

● يقول سفيان بن عيينة: قَدِمَ رجل من سفر، فصادف أمه قائمةً تصلي، فكَرِهَ أن يقعد وهي قائمة، فعلمتُ ما يريد، فطَوَّلْتُ ليُوجِر! . .
طَوَّلْتُ في صلاتها، ليظل واقفاً لفترة أطول، فيزداد أجراً على برِّه بأمه . .

● ولَمَّا مات ذر بن عمر وكان من كبار الصالحين، سُئِلَ أبوه: كيف كانت عِشْرَةُ ابنك معك؟ فقال: ما مشى معي قط في ليلٍ إلا كان أمامي،

(١) صحيح النسائي: (٤١٧٤).

ولا مشى معي في نهار إلا كان ورائي، ولا ارتقى قط سقفاً كنتُ تحته! ..
 ● وهذا أحد العلماء الصالحين يجلس في مجلس العلم وعنده
 عشرات من طلاب العلم يحدثهم ويكتبون خلفه، تأتيه أمه أثناء الدرس
 فتقول له: يا فلان! ..

فيقول: لبيك يا أماه! فتقول له: قم وأطعم الدجاج.
 طلبٌ بسيط كان يمكن أن يُؤخَّر لما بعد انتهاء الدرس، ولكن ممن
 أتى هذا الطلب؟ من أم عظيمة، من أم لها عليك حقوق ..
 فماذا فعل هذا العالم؟ هل قال لأمه مغاضباً: ما هذا الطلب يا أماه؟!
 ألا ترين أنني مشغول بمجلس علم وطلابي بالعشرات يستمعون إليّ؟! ..
 هل قال لها: اطلبي من أخي أو ابني أن يفعل ذلك؟
 هل قال لها: ما هذا الأمر السخيف يا أماه؟! أتقاطعيني وأنا في
 وسط الدرس؟! ألا تنتظرين حتى أنهى درسي؟! ..
 هل قال لها: سأفعل ذلك بعد أن أنتهي من الدرس؟
 لا وألف لا، بل أغلق الكتاب، وقام يُطعم الدجاج والطلاب
 ينتظرونه .. حتى إذا فرغ من ذلك أكمل حديثه ودرسه!
 ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥].
 ترى هل نفعل نحن ما فعله هذا العالم الصالح؟
 هل نحصر على أن نلبي طلبها ولو كنا مشغولين؟
 هل نستجيب لندائها ولو كنا متعبين؟





بدأتُ أخرجُ مع امرأةٍ غيرِ زوجتي

الليلة
١٩٢

يروى أحدهم هذه القصة فيقول: بعد إحدى وعشرين سنة من زواجي، وجدتُ بريقاً جديداً من الحب . .

فقبل فترة بدأتُ أخرج مع امرأةٍ غير زوجتي، وكانت فكرة زوجتي؛ حيث بادرتني بقولها: أعلم جيداً كم تحبها! .

المرأة التي أرادت زوجتي أن أخرج بصحبتها، وأقضي وقتاً معها كانت أُمي التي ترمّلت منذ تسع عشرة سنة، ولكن مشاغل العمل وحياتي اليومية مع ثلاثة أطفال جعلتني لا أزورها إلا نادراً . .

اتصلتُ بها ودعوتهُ للعشاء معي، وقلت: أريدُ أن أقضي معك وقتاً يا أماه! قالت: نحن فقط؟ قلتُ: نعم . .

وفي الموعد المحدد كانت تنتظر عند الباب مرتدية ملابس جميلة، يبدو أنها آخر ما اشتراه أبي لها قبل وفاته! .

ابتسمتُ أُمي كملاك وقالت: لقد أخبرتُ كل جيراني أنني سأخرج اليوم مع ابني، والجميع فرح لفرحي وغبطتي! .

تمسكتُ أُمي بذراعي؛ فقد كانت هي المرة الأولى التي أخذها إلى مطعم . . كنتُ أقرأ لها قائمة الطعام، فهي لم تعد تستطيع القراءة . . قاطعتني بابتسامة وهي تقول: كنتُ أنا من يقرأ لك يا ولدي عندما كنتُ صغيراً! . .

قلتُ: سامحيني يا أماه! فقد عاهدتُ ربي على أن أسدّد لك شيئاً من ديونكِ عليّ .

ودارت الأحاديث فيما بيننا أثناء العشاء.. كانت تغمرها سعادة لا تُوصف، وغبطة لا تُقدَّر.

وعندما أوصلتها إلى بيتها قالت: أوافقُ على الخروج سوياً مرة أخرى، ولكن على حسابي.
فقبَّلتُ يدها وودَّعتها..

وبعد أيام قليلة توفيت والدتي بنوبة قلبية مفاجئة..

وما هي إلا أيام حتى تصلني دعوة من ذلك المطعم، وفيها رسالة بخطِّ يدها تقول: لقد دفعتُ فاتورة الطعام مقدماً لك ولزوجتك؛ لأنك لن تقدِّر معنى السعادة التي أدخلتها على قلبي في تلك الليلة.. أحبك.. أحبك يا ولدي.

عند تلك اللحظة فهمت معنى حب الوالدين لأبنائهم، وأدركتُ عندها أننا مهما أحببناهم فلن يبلغ حبنا لهم قطرة من بحور حُبهم..





رسائلُ عتابٍ مِنَ الأبناءِ إلى الآباءِ

الليلة
١٩٣

● رسالة من ابن سُغل أبوه عن بيته:

أين أنت يا أبتاه؟ .

بيتك الذي بنيتَه يناديك . .

ابنك الذي نسيتهُ يبحثُ عنك؛ ليدنو منك . .

أعمالك . . شركاتك . . عقاراتك . . رفاقك . . إنهم جميعاً ألدُّ أعدائي؛ لأنهم أخذوك مني، وأبعدوك عني، وأنا أعلم أنك ما عملتَ بها إلا من أجلي ومن أجل إخوتي . .

ولكن يا أبتِ ألم تسمع قول الرسول ﷺ: «إن لربك عليك حقّاً، ولنفسك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقّاً؛ فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حَقَّهُ»^(١).

كم أتمنى أن أقبلَ يديك ورجليك! كم أتمنى أن أضع رأسي على صدرك وأبتُك همي وحزني! أريدك أن تداعبني . . تعلّمني . . تؤدبني . .

أريد أن أحسَّ أنك معي؛ فأين أنت يا أبتاه؟! ألم يقل الشاعر:

ليس اليتيمُ من انتهى أبواه من همّ الحياة وخلفاه ذليلاً
إن اليتيمُ هو الذي تلقى له أمّاً تخلّت أو أباً مشغولاً

● أين مطالب الروح يا أبتاه؟:

وهذا ابن آخر يشكو الحرمان من مطالب القلب والروح؛ يقول في رسالته لأبيه: أبتاه! دعني أقدم لك الشكر كله على ما بذلتَهُ في سبيل سعادتِي . .

(١) رواه البخاري .

جلبت لي أطيب المطايب والمراكب، وأسكنتني أجمل المساكن . .
ولكنك - يا أبتاه - قصّرت في أعظم المطالب؛ إنها مطالب القلب
والروح؛ فمتى أخذت بيدي يوماً إلى المسجد نصلي فيه صلاة الجماعة؟ . .
متى دخلت عليّ يوماً بشريط فيه محاضرة جميلة نافعة؟ . .
متى أهديتني كتاباً مفيداً يأخذ بيدي وينير دربي؟^(١).

● هيات لي جو المعصية:

وشاب آخر يعاتب أباه فيقول: أبتاه! لقد هيات لي جو المعصية،
وأحطتني بسياج الخطيئة؛ تنفّست رائحة الشهوة في الشهيق، فأخرجتني
معصية الله في الزفير! تركت لنا مئات القنوات الفضائية يبث أكثرها السموم
والخطايا! ألقيتني يا أبتاه في بحر الشهوات، ولم تلبسني طوق النجاة، ثم
تريدني بعد ذلك أن أكون ملكاً معصوماً؟! ألم تفعل ما قاله الشاعر:
ألقاه في اليمّ مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتلّ بالماء
أبتاه! أنا لا أريد أن أكون خصمك يوم لقياه، فأقول: يا رب إنه ترك
لي أسباب المعاصي، ورآني على المعصية فلم ينهني . .
أبتاه! إنني أمانة في عنقك، وأنت مسؤول عني أمام الله . .
أشغلني بطاعة الله حتى لا أشغل نفسي في معصيته . .
علّمني الطريق إلى مرضاة الله حتى لا أقع فيما يغضبه . .
أبتاه! برّني صغيراً حتى أبرك كبيراً . .
ولا تعقني صغيراً كي لا أعقك كبيراً .



(١) يا أبتاي، عبد اللطيف هاجس، بتصرف.



اتَّقِ اللَّهَ يَا أَبِي (١)

الليلة
١٩٤

قصة حقيقية يرويها من عايشها لحظة بلحظة .. يقول: كنت على موعد مع شلتي من الأصحاب، وكان الطريق مليئاً بالسيارات، لم يبقَ على الموعد سوى بضع دقائق، حاولت أن أسرع لكنني لم أستطع، مضى الوقت وضاع الموعد ولم أجد الأصدقاء، فقد ذهبوا ..

قررتُ أن أقضي السهرة في البيت؛ فابنتي الوحيدة مريضة بالسرطان وينبغي أن أكون قريباً منها.

أوقفت السيارة أمام محل الفيديو .. اخترتُ عدة أفلام، وانطلقتُ إلى المنزل .. فتحتُ الباب وناديت على زوجتي أن أحضري الشاي.

يا لها من زوجة معقدة! ستقول لي الآن: اتقِ الله يا أحمد .. فقد تعودتُ على هذه الكلمات حتى تبلدت أحاسيسي، لكنها زوجة مطيعة طيبة، تشقى من أجل سعادتي ..

دخلتُ ومعها الشاي والمكسرات وقالت: لا بد أنك سئمت السهر مع أصدقائك وتريد أن تجلس في البيت؟! ..

قلت: نعم، تعالي واجلسي .. فرحتُ وهممتُ أن تجلس ..

وقمتُ إلى جهاز الفيديو والتلفاز، فانطلقتِ الموسيقى الصاخبة في أرجاء البيت ..

أرختِ المسكينة رأسها وقالت: اتقِ الله يا أحمد .. وخرجتُ تجرُّ أذيال الحسرة والهزيمة، فهي لا تسمع ما يُغضب الله.

ارتفعت الأصوات في الغرفة: موسيقى .. صراخ .. ضحكات .. وعيناى قد تسمرتا في شاشة التلفاز ..

انتهى الشريط الأول والثاني، وبلغت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ..

وفجأة فُتح الباب ودخلت ابنتي المريضة .. فاجأني الموقف؛ فهي لم تعد قادرة على المشي بسهولة.

اقتربت مني ثم قالت: اتق الله يا أبي! اتق الله يا أبي! ..
ثم انصرفت وأغلقت الباب ..

ناديتها: سارة! سارة! .. لم تجب .. انطلقت خلفها ..
وجدتها سبقتني إلى فراشها ونامت في حضن أمها .. إنها هي ..
عدت إلى غرفة الجلوس، أغلقت جهاز الفيديو .. صوت ابنتي يملأ
الغرفة: اتق الله يا أبي! اتق الله يا أبي! ..

قشعريرة سرت في جسدي، تصبب العرق من رأسي .. لا أدري ماذا
أصابني، ما عدت أسمع إلا صوتها، ولا أرى إلا صورتها .. كلماتها
اخترقت كل الحواجز الجاثمة على صدري منذ زمن بعيد من ترك صلاة ..
ومعاصي .. وأفلام خليعة ..

صور من الماضي استعرضتها أمامي، ومع كل صورة أسمع صوت
ابنتي يردد: اتق الله .. اتق الله ..

ارتفع صوت أذان الفجر، اهتزت جوانحي، ارتعدت فرائصي ..
رعدة سرت في أطرافي ومؤذن الفجر يردد: «الصلاة خير من
النوم» .. قلت: صدقت .. الصلاة خير من النوم، ولكنني كنت نائماً كل
تلك السنين! ..

.. يتبع ..





اتَّقِ اللَّهَ يَا أَبِي (٢)

توضأتُ وخرجتُ إلى المسجد.. مشيتُ في الطريق وكأني لا أعرفه،
 كأن نساءم الفجر تعاتبني: أين كنت؟ مرحباً بالنائم الذي استيقظ أخيراً..
 دخلتُ المسجد، صليت ركعتين، وجلست أقرأ القرآن..
 منذ زمن لم أقرأ القرآن!..

شعرتُ أن القرآن يسألني: لم هجرتني منذ سنوات؟ ألسنتُ كلام
 ربك؟..

أخذتُ أردد في سورة الزمر: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا
 تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَرُ: ٥٣] عجباً! ﴿جَمِيعًا﴾..
 ما أرحم الله بنا! تمنيتُ أن أستمر في القراءة، لكن المؤذن أقام الصلاة..
 وقفت في الصف وكأني غريب.. انتهت الصلاة فجلست في المسجد حتى
 أشرقت الشمس.. عدتُ إلى البيت، فتحتُ باب الغرفة، ألقيت نظرة على
 زوجتي وسارة، كانتا نائمتين، تركتُهما وخرجت إلى العمل، ولم تكن من
 عادتي الذهاب مبكراً إلى العمل.. تفاجأ الزملاء بوجودي، لم أبال بما
 يقولون..

انتظرتُ قدوم إبراهيم زميلي في المكتب، والذي طالما نصحني، إنه
 شخص طيب الأخلاق، حدّثته بحديث البارحة.. امتلأتُ عيناه بالدموع
 وقال: ذاك نور أضاء قلبك فلا تطفئه بظلمة المعاصي..

كان يوماً حافلاً بالنشاط والجد رغم أنني لم أنم منذ البارحة..
 بعضهم قال لي: ما هذا النشاط؟! أجبت: إنها صلاة الفجر في
 المسجد..

بعد انتهاء الدوام انطلقتُ إلى البيت، وفي الطريق انتابني شعور
 بالقلق؛ ترى كيف حال سارة؟.. شعرتُ بانقباض لا أدري لماذا؟!..

وصلت البيت، فتحت الباب، ناديت زوجتي . . لم أسمع جواباً . . دخلتُ الغرفة مسرعاً، كانت زوجتي منطوية على نفسها تبكي، التفتت إليّ، صرخت وهي تبكي: ماتت سارة . .

اندفعتُ نحو سارة، ضممتُها إلى صدري، حاولتُ حملها . . جسمها بارد، كذلك يداها وقدمها، نظرتُ إلى وجهها: نورٌ يتلألأ كأنه كوكب دُرِّي . .

انهمرت الدموع من عيني، أخذتُ أشهق، أقبلُ فمها الصغير . . كأنها تردد الآن: عيب عليك . . عيب عليك . . يا أبي . . تذكرتُ أن هذه مصيبة . . أخذتُ أردد: «لا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون» . .

اتصلت بإبراهيم، قلت له: تعال فوراً . . لقد ماتت سارة . . نظرت إلى أمها، فإذا هي زائغة العينين، شاحبة الوجه . . قلت لها: لا تحزني؛ فقد ذهبت إلى الجنة بإذن الله، هناك سنلتقي، فشمري كي تشفع لنا . . ثم قرأت قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ آَلَفْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا لِنَنْهَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

بكت الأم وبكيت أنا، صلينا عليها صلاة الجنازة، ثم سرنا بها إلى المقبرة . . نظرتُ إلى الجنازة، إلى النور الذي أضاء لي حياتي . . نزلت إلى القبر . . إنها دارك يا أحمد، ربما اليوم وربما غداً؛ فماذا أعددت لهذه الدار؟

رحمات الله عليك يا سارة! فقد كنتِ سبب هدايتي إلى طريق النور والإيمان^(١).

(١) في بطن الحوت، للدكتور محمد عبد الرحمن العريفي، بتصرف.



ما زلت يا أبي تنبض بالحياة

الليلة
١٩٦

كبت إحدى البنات وهي تتذكر أباهَا بعد أن فارقتها إلى الأبد:

أبتاه! كم أؤنب نفسي على التقصير الذي ارتكبته بحقك! كم أغضبتك في تصرفاتي وأنت تملؤني بحنانك وعفوك! كم كنت أشتعل غضباً من توبيخاتك الأبوية، وأتململ من توجيهاتك لي!..

ولكن عندما أتذكر كيف كنت تعودُ بعدها لتحديثني بكل هدوء؛ أنسى ذلك الغضب الطفولي والتذمر الأرعن! أسائل نفسي أحياناً: كم تحملت من أجل تعليمي! وكم وقفت على أبواب المدارس لتأخذني معك إلى البيت في نهاية الدوام!.

كم كنت تنتظر طويلاً حتى يحين موعد انصرافي!.

كم دافعت عني أمام أي مخلوق حتى لو كان دفاعاً عن أسخف أخطائي!.

كيف كنت تفهم تلميحي دون حاجة لسماع تصريحتي!.

قال لي ذات مرة: ستذكريني يا بنيتي يوماً.

أطرقت حينها منزعة من التشاؤم الذي تحمله تلك النبرات..

أردت أن أدعو له بطول العمر، أردت أن أقبلَ يده، أردت أن أمسح دموعه التي تدافعت على وجنتيه.. ولكنني - ويا لغبائي - لا أدري لِم لم أفعل!..!

وحين كان على فراش المرض ناداني؛ أمسك بيدي، أخذ يربتُ على

كتفي .. طلب مني - ونبرات الوداع تخاطبني بكلماته - ألا أبكي، ألا
أحزن ..

استودعني الله أنا وإخوتي، ثم أجهش بالبكاء ..

والآن يلجمني صمْتُ قاتل، تتقاذف العبرات في عيني، وتموت
الكلمات على شفتي، ويعجز عقلي عن فهم هذا الرحيل ..

أتساءل مراراً كلما تعلّقتُ بعيني بصورته: هل هذه حقيقة أعيشها؟

يقولون: يا والدي إنك قد متَّ! وإنك قد رحلت! لكن أتدري؟! عبثاً
يقولون لي هذا!.

لأنني أعلم أنه في كل نبضة في قلبي ..

وفي كل دعوة في يومي ..

وفي كل تحية بكل صلاة ..

ما زلتَ يا أبتَ تنبض بالحياة^(١)! ..



(١) إيناس بخش، ما زلتَ يا أبي تنبض بالحياة، بتصرف.



رسالةٌ إلى حائِرٍ

الليلة
١٩٧

● أيها الهائم على غير هدى! شوقي إليك لا يدانيه شوق .. أحبك لأنك أخي، وكيف لا يحب الأخ أخاه؟! ..

يا مَنْ أشفقتَ على نفسك من اليأس، تعال إلى ما يحيي الأمل في قلبك .. ويا مَنْ حرقتهُ لوعةُ الوحشةِ والهيام، ألا تلجأ إلى ما يؤنسُ وحشتك؟! ..

أيها التائه الحائر! عُدْ إلى جنتك التي تؤويك، عُدْ إلى أهلِكَ المشفقين عليك وأنت تزداد عنهم بُعداً! ..

يؤلمهم ما أنت فيه من شكوك وصراع، ويكوي قلوبهم ما أنت فيه من هول الضياع ..

تذكر أن لك رباً رحيماً إذا أتته خطوةٌ أتاكَ هرولة، وإن تقربت منه شبراً تقرب منك ذراعاً ..

رياض الجنة تناديك؛ فلا تخيَّب ظنّها فيك ..

ومجلس الأنس مع الحبيب المصطفى ﷺ يدعوك؛ فلا تحرم نفسك ذلك الأنس الخالد ..

عد يا أخي إلى روضة الإسلام، إلى المحبة والأمن والسلام ..

كفأك بُعداً ووحشة وضياعاً؛ فالله يحب أن تلقاه، ولا يطلب منك إلا الاستغفار ..

فاستغفر الله وقل: يا رب تبتُ إليك، أريد أن أعود فساعدني، أريد أن أتوب فتب عليّ يا أرحم الراحمين ..

● وهذه قصة شاب كان مغرماً بالأغاني والطرب، أحبَّ مغنية حباً

شديداً حتى أولع بها! كان له جار شيخ يعظه من حين لآخر ويذكره بالله .
يقول الشيخ: كان يبكي . . ولكنه سرعان ما يعود إلى ماضيه
ومعاصيه، وظل على هذه الحال فترة طويلة، حتى نصحتّه ذات يوم فبكى
وعاهد الله على التوبة . .

وفي اليوم التالي جاءني بأشرطة الأغاني - وفيها أشرطة تلك المغنية -
وقال: يا فلان، خذ هذه الأشرطة واحرقها .
سألته: ماذا جرى؟ .

فقال لي: رأيت الليلة في المنام أنني كنت على شاطئ البحر، فإذا
برجل يأتيني يقول لي: يا فلان! أتعرف المطربة فلانة؟ .
قلت: نعم .

قال: أتحبها؟ .

قلت: نعم أعشقها .

قال: اذهب فإنها في المكان الفلاني . .

قال: فركضت ركضاً سريعاً إلى تلك المطربة، فإذا برجل يأخذ بيدي . .
التفتُ فإذا برجل وسيم وجهه كالقمر، وإذا به يقرأ عليّ قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ
يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢] .

أخذ يردد الآية بترتيل مؤثر جداً وأنا أرتل معه . . استيقظت من نومي
فإذا بي أبكي وأردد الآية بالترتيل، دخلت أُمي عليّ فنظرت إلى حالي؛
أخذت تبكي معي، وظللت أبكي وأبكي وأنا أردد: ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ
وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .





معاً نرتقي (١)

- كن من رواد المعالي، وقصّاد الثريا، ولا تقبل أبداً أن تلتصق بالأرض:
وإني لمن قوم كأن نفوسهم بها أنف أن تسكن اللحم والعظم
يقول أحد الحكماء: إذا جعلت نفسك دودة على الأرض، فلا تلم من
يدوسك بقدميه! ..
- كن صبوراً، واعمل بهدوء؛ فإنك بالغ ما تسعى إليه، فقطرة الماء تثقب
الحجر؛ لا بالعنف، ولكن بالصبر والتكرار!
- أكرم نفسك ولا تُهنأها؛ فلا أحد يستطيع إهانتك إلا بمساعدتك ..
يقول مارتن لوثر كنج: لا يستطيع أحد ركوب ظهرك، إلا إذا كنت
منحنياً! ..
- فمن الناس من هانوا على أنفسهم، فهانوا عند الناس ..
إذا المرء هان على نفسه يكون على غيره أهوناً
● لا تحاول أن تجعل ملابسك أغلى شيء فيك؛ حتى لا تجد نفسك يوماً
أرخص مما ترتديه!
- انس أيام الشدة، ولكن لا تنس ماذا علّمتك! واجعل قاعدتك في الحياة
أن لا تأسف على شيء فاتك، ولا تنظر إلى الوراء ..
- أصلح نفسك قبل أن تدعو الآخرين لإصلاح نفوسهم؛ فمن أصلح نفسه
وألزمها كلمة الحق، استطاع أن يسوس الناس ويدعوهم إلى الحق ..
سئل حكيم: بيم ينتقم الإنسان من عدوه؟
قال: بإصلاح نفسه ..

● اجعل وجهك مرآة قلبك؛ فمن عاش بوجهين؛ مات لا وجه له، وكشفت الناس زيفه وفساد سريرته، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:
ما أضمر أحد في نفسه سرّاً، إلا ظهر على صفحات وجهه وفتلات لسانه.

● انظر إلى وجهك كل يوم، وتذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم كما حسنت خلقي، فحسن خلقي»^(١).

يقول أحد الحكماء: ينبغي على الرجل أن ينظر إلى وجهه كل يوم؛ فإن كان حسناً، استقبح أن يُضيف إليه فعلاً قبيحاً.. وإن كان وجهه قبيحاً، استقبح أن يجمع بين قبيحين..

● كن لطيفاً في معاملة الغير؛ فاللطف صفة لا تكلف صاحبها شيئاً، ولكن ثمارها لا تقدّر بمال..

والعبارة الرقيقة الهادئة تنزل كالبلسم الشافي على النفوس الثائرة فتهدأ وتسكن..

● إذا أصابك مصاب - لا سمح الله - فتذكر أن كل شيء يبدأ صغيراً ثم يكبر إلا المصيبة؛ فإنها تبدأ كبيرة ثم تصغر!.

.. يتبع ..



(١) صحيح الجامع: (١٣٠٧).



معاً نرتقي (٢)

- إذا أتاك من يطلب حاجة عندك؛ فلا تتأفف ولا تتضجر، فهي نعمة ساقها الله إليك، فاحمده على تلك النعمة..
- يقول حكيم بن حزام: ما أصبحت صباحاً قط، فرأيت بفنائي طالب حاجة، فقضيتها له؛ إلا كانت من النعم التي أحمد الله عليها.
- قد يقتنع الناس برأيك، وقد لا يقتنعون؛ فليس عليك أن يقتنع الناس بما تقول، ولكن عليك أن تقول للناس ما تعتقد أنه الحق..
- كن بعيد النظر وأعط الأمور حقها ولا تبالغ:
- وَمَنْ يَرْمِ الذَّبَابَ بِمَنْجْنِيْقٍ سِيْخَسِرُ سَهْمَهُ وَقَتِ النَّضَالِ
- اعرف مواطن القوة عندك، وانطلق في الحياة ولا تجزع:
- فليس هناك إنسان ضعيف، إنما هناك إنسان يجهل مواطن القوة عنده..
- وليس هناك إنسان فاشل، إنما هناك رجل بدأ في القاع وظلَّ فيه..
- لا تنظر إلى الآخرين بعين البغض؛ فهي تكشف لك عن معائب لا تبتغي معرفتها:
- وَعَيْنُ الْبُغْضِ تُبْرِرُ كُلَّ عَيْبٍ وَعَيْنُ الْحَبِّ لَا تَجِدُ الْعِيوبَ
- كن دوماً قدوة للناس؛ تضيء لهم الطريق، وتحمل المشاعل عندما تظلم الطريق..
- يقول أديب العربية مصطفى صادق الرافعي: ليس لمصباح الطريق أن يقول: إن الطريق مظلم، وإنما عليه أن يقول: ها أنذا مضيء..

● لا تردّ الإساءة بالإساءة، بل ترفع عن إساءة المسيئين، ورحم الله الإمام الشافعي إذ يقول:

يخاطبني السفیه بكلّ قُبْحٍ فأكرهه أن أكون له مُجيباً
يزيدُ سفاهةً فأزيدُ حِلماً كعودٍ زاده الإحراقُ طيباً
ويقول الشاعر:

أنزّه نفسي عن مساواة سَفَلَةٍ وَمَنْ ذا يعصّ الكلبَ إن عصّه الكلبُ
ولا تردنّ الشرّ بشرّ مثله؛ يقول لقمان الحكيم:

يا بني! كذّب من قال: إن الشرّ بالشرّ يُطفأ؛ فلو كان صادقاً فليوقد نارين، وينظر هل تُطفئ إحداهما الأخرى؟! .. وإنما يُطفئ الخير الشرّ كما يُطفئ الماء النار..

● لا تتحدث كثيراً عن نفسك وأنت في مجلس؛ فتحدّثك عن نفسك طوال الوقت دليل على أنك لست واثقاً من نفسك.

يقول أحمد شوقي: من تكلم عن نفسه بما يحبّ؛ تكلم الناس عنه بما يكره.

● لا تتهم أحداً بالخيانة؛ فاتهام الناس بالخيانة لا يصدر عادة إلا من أناس كانوا قبل ذلك خائنين! ..

.. يتبع ..



معاً نرتقي (٣)



- حاسب نفسك وارجع إلى ضميرك؛ فالضمير صوت هادئ يُخبرك من الأعماق أن الله مطلع عليك ..
- وإن ضميراً خالياً من خشية الله، كمحكمة من دون قاضٍ! ..
- لا تحتقرنَّ أحداً أياً كان؛ فقد يرفع به الزمان إلى مكان يخشاه فيه الناس، ويرجون وصاله! ..
- إذا استشارك عدوك؛ فقدم له النصيحة؛ لأنه بالاستشارة قد خرج من معاداتك إلى موالاتك.
- لا تكثر المديح لشخص ما؛ فعندما يمدح الناس شخصاً فقليلون هم الذين يصدّقون ذلك، وعندما يذمُّونه فالجميع يصدّقون! ..
- إياك أن تغترَّ ببقاء النعم عندك؛ فأسعد الناس في هذه الحياة من إذا أتته النعمة ترقّب في كل ساعة احتمال زوالها، فإن بقيت عنده سعد بها، وإن زالت يكون قد أعدّ لفراقها عدته ..
- اجعل قلبك وجوارحك في معية الله؛ فأسعد القلوب تلك التي تنبض لله أولاً، ثم للآخرين! .. ولن تستمتع بالسعادة إلا إذا تقاسمتها مع الآخرين.
- لا تدع لسانك يشارك عينيك انتقاد عيوب الآخرين، فلا تنس أنهم مثلك لهم عيون وألسن:
- فعينك إن أبدت إليك معايباً فصنّها وقلْ يا عينُ للناس أعينُ
- إذا كنت في مجلس فلا تُكثر الكلام، فيملّ الناس حديثك ويسأموا؛

فالإنسان الناجح هو الذي يُغلق فمه قبل أن يُغلق الناسُ أذانهم، ويفتحُ أذنيه قبل أن يفتح الناسُ أفواههم..

● لا تُشغل نفسك بمناقشة المسائل التافهة؛ فبعض الناس يُغرق نفسه في مناقشة تلك المسائل، ويعرف عنها أكثر مما يعرف عن المسائل الهامة!..

● لا تكن قاسياً على أخطاء غيرك؛ فما أقسانا على أخطاء الآخرين، وما أرفنا بأخطائنا!..

● إذا وقع منك خطأ فبادر بالاعتذار من أخيك؛ فالإصرار على الخطأ يمزق روابط المحبة ويُفسد الألفة..

وإن اعتذر إليك من أساء إليك فاقبل معذرتة، وافتح له صفحة جديدة.

يقول ﷺ: «من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل منه؛ كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس»^(١).

● حافظ على ابتسامتك عندما تسمع نقداً لك، أو تعليقاً على تصرف قمت به، ولا تكشّر عن أسنانك، ولا تغضب إن سمعت من ناصح عاقل أنك كنت على خطأ.. واحمد الله أن هياً لك من يرشدك إلى عيوبك..

يقول شكسبير: لأن تشقّ طريقك بابتسامتك؛ خيرٌ لك من أن تشقّها بسيفك.

.. يتبع ..



(١) الترغيب والترهيب، وإسناده جيد.

وصاحب المكس: هو من يتولى الضرائب التي تؤخذ من الناس بغير حق. (الشوكاني، نيل الأوطار).



- إذا أردت أن تعرف نعم الله عليك؛ فأغمض عينيك وتخيل ماذا لو فقدت - لا سمح الله - نعمة البصر؟ ..
- وإذا أردت أن تعرف نعم الله عليك؛ فأغلق عينيك وأذنيك وتخيل ماذا لو فقدت نعمتي السمع والبصر؟ ..
- إذا كنت تريد أن تقول الحقيقة للآخرين؛ فقلها لنفسك أولاً، فكثيرون يؤمنون بالحقيقة، وقليلون هم الذين ينطقون بها! ..
- تذكّر أن الحق صخرة عاتية تتكسر عليها عواصف الأيام، وأن الباطل لا حول له ولا قوة مهما اجتمعت وراءه جميع القوى! ..
- ضع بصمتك في هذه الحياة مهما كان حجمها وتأثيرها .. يقول مصطفى صادق الرافعي: إذا لم تزد شيئاً على الدنيا؛ كنت زائداً عليها! ..
- أخلص لله عملك، واعمل بجد وإتقان، فالذين يعملون بإخلاص كمثال الأشجار الباسقة في الصحارى المحرقة؛ تظلّل الناس بظلالها، وهي تصطلي وحدها حرارة الشمس! ..
- لا تؤذ أحداً بلسانك؛ فجرح اللسان قد لا يبرأ مدى الأيام:
وجرحُ السيفِ تُدمِلُهُ فيبراً وجرحُ الدَّهرِ ما جرحَ اللسانُ
ومن لم يقدر على الوصول إلى فضائل الأعمال؛ فلتكن فضائله في ترك الرذائل والموبقات .
- كلما كانت سمعتك بين الناس أنقى وأصفى؛ تنبّه الناس إلى أقل الهفوات التي تصدر عنك، فبقدر ما يكون الثوب ناصع البياض؛ تكون بقعة الوسخ أشد ظهوراً عليه! ..

- إذا عملت أمراً فاعمل بصمت . .
- فالأحمق يتباهى بما سيفعله . .
- والمغرور يتباهى بما عمله . .
- والعاقل يعمل ولا ينطق . .
- وأن تكون على حق لا يستوجب أن يكون صوتك مرتفعاً .
- لا تأنف من خدمة أبيك وضيئفك وممن تطلب العلم، يقول أحد الحكماء: أربع لا ينبغي للشريف أن يأنف منها:
 - قيامه عن مجلسه لأبيه (فإذا كنتَ في مجلس فأعطِ مكانك لأبيك).
 - ومحادثة ضيفه .
 - وقيامه على فرسه (أي خدمة فرسه)، وإن كان له مئة عبد .
 - وخدمة العالم ليأخذ من علمه .
- لا تحكم على الحياة من خلال موقف أو مظهر واحد . .
- حاول أن تعبر فوق المواقف الصعبة والظروف المرّة؛ لأن الله قد وعدك - إن صبرت - أوقاتاً أجمل وحياة أفضل، ولا تدع الألم الذي ينتابك في ظرف معين يحرمك المتعة والفرح في باقي الأوقات .
- يتبع . .





- احرص على وقتك، واستغلّه فيما يرضي الله تعالى . .
يقول الحسن البصري: أدركتُ أقواماً كانوا على أوقاتهم أشدَّ منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم.
- بعض الناس يتكبر على والديه إن كان هو قد نال شهادة وكان أبواه غير متعلمين؛ فمن الآباء مَنْ لم تساعده ظروفه على أن ينال حظاً من العلم مثل ما نلت، فإياك أن يدعوك ذلك إلى السخرية به أو التكبر عليه؛ فإن فعلت ذلك خسرت من رضا الوالدين أضعاف ما كسبته من العلم!
- أحسن الظن بأهلك وإخوانك، يقول الشافعي: لأن تحسن الظن وتخطئ، خير من أن تسيء الظن وتصيب.
- تواضع لإخوانك يرفعك الله عند الناس، ويرفع مقامك في الآخرة.
يقول كعب بن مالك رضي الله عنه: ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله، وتواضع بها لله؛ إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا، ورفع بها درجته في الآخرة.
- والتواضع سيد الأخلاق، وما أجمل أن يسود المرء الناس بحسن خلقه:
إذا عُدِمَ الفتى خلقاً جميلاً يسودُّ به فلا خُلِقَ الجمالُ
تواضع وكن كالسنابل المملأى بالحبوب تنحني لرب الأرباب:
مملأى السنابل تنحني بتواضع والفارغات رؤوسهنَّ شوامخُ
فلا تكن كالفارغات من السنابل ترفعُ رأسك فوق الناس؛ يقول ميخائيل نعيمة: لا تستطيع أن تصعد الجبل إلا إذا انحنيت ولو قليلاً.

- إذا أردت أن تكسب محبة الآخرين فاحترم آباءهم وقدرهم؛ فالإنسان يفرح عندما يحترم الآخرون أباه، وينصتون إلى حديثه، أو يُفسحون له المجالس.
- تعود أن ترتفع على اللحظة الراهنة التي أنت فيها باستمرار:
 - فقد تكون هذه «اللحظة» هزيمة، فترى وراءها نصراً..
 - أو ظلاماً، فترى وراءها الفجر..
 - أو يأساً، فترى بعدها الأمل..
- كن أكبر من اللحظة الحاضرة وأقوى، ولا تجعلها تحبسك عن الانطلاق والتطور..
- إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه؛ فالتمس له العذر، فإن لم تجد له عذراً؛ فقل في نفسك: لعل لأخي عذراً لا أعلمه..
- عامل كل أحد بما يناسبه، وكن حكيماً في استخدام ما تملك من وسائل؛ فإذا لم يكن في حوزتك غير مطرقة فستعامل مع أي شيء على أنه مسمار.. يقول غاندي: حارب عدوك بالسلاح الذي يخشاه، لا بالسلاح الذي أنت تخشاه!..
- كن لله كما يريد، يكن لك فوق ما تريد..
- كلُّ يريدك لنفسه.. إلا الله يريدك لنفسك..





ليسَ بالجمالِ وحدَهُ يحيا الإنسانُ

الليلة
٢٠٣

كان فائق الجمال، وقد ظهرت عليه مظاهر الترف في لباسه وهندامه فزادت جمال محياه! كان يمشي ونظرات الفتيات تلاحقه، لكنه لم يكن يبالي بأكثرهن .

وإن فاقَت الجميعَ إحداهنَّ في جمالها وتبرجها؛ اختصها برقم جواله، فإن أبت وتمنعت لاحقها حتى يعرف اسمها ورقمها ليقوعها في شباكه! .. .
وقف ذات يوم أمام المرأة، وقد لبس وتعطر . . . قالت له أخته: قد أنعم الله عليك بعينين جميلتين وشعر ناعم كالحرير؛ فهل أديت شكر هذه النعمة؟! .

ردَّ عليها أخوها: يا أختي أنا ما زلتُ صغيراً والعمر أمامي طويل، لا تخافي إن شاء الله سأتوب .

قالت: متى تتوب: عندما يشيب رأسك؟ هل تضمن عمرك؟ .. .
هل ترضى أن ينظر أحد لشريكة حياتك؟ .. .
هل تحب أن يعاكس أحدٌ من الشباب أمك أو إحدى أخواتك؟ .. .
وضع يده على فمها وهو يقول: أختي الحبيبة لا أحب أن أسمع مثل هذا الكلام .

وذات يوم جاء يجري فرحاً نحو أخته وهو يقول: لقد وجدتها .. .
قالت له: ما الذي وجدت؟ .
قال: منْ ستكون زوجتي وحببتي ورفيقة دربي .. . آه يا أختي لو سمعتِ أوصافها تسحر العقول والألباب .
قالت: ولكن كيف أخلاقها؟ .

قال: لا يهم! .. المهم أنها ملكة جمال!

كان يبحث عن جمال المظهر ونسي أهم شيء وهو جمال الجوهر!.
 تمَّ العقد وبدأت الزيارات، وبدأ حبها يتغلغل في سويداء قلبه!.
 أخرجت له يوماً ألبوم صورها، وهي مع أهلها في إحدى الشاليهات،
 وقد أظهرت أغلب مفاتها.. جنَّ جنونه وقال لها: كيف تخرجين هكذا؟!..
 قالت له: أنا الآن محتشمة، ولكن عندما أسافر للخارج أخلع عني
 الحجاب وأخرج متكشفة.

صعق لقلولها، وقال لها: ولكنك الآن ملكي، ولن أَرْضَى أن يراكِ
 أحد غيري.

وبنبرة حادة قالت له: أنا لا أحبُّ التعقيد.. أنا هكذا، وعلى ذلك
 تربيْتُ ونشأتُ، ولك أن تختار ونحن في بداية الطريق!..
 أحسَّ بصدمة خارت معها قواه، وعجز حتى عن الكلام.
 خرج - وقد اسودَّت الدنيا في عينيه - يحمل جبلاً من الهموم
 والآلام، يريد أن يصرخ بأعلى صوته..

دخل إلى غرفته وبدأ يبكي بكاء مرّاً، فإذا بشريط ذكرياته يُعاد مرة
 أخرى؛ أخذ يتذكر كل زلة كانت له في الماضي.. أخذ يتذكر تلك
 المكالمات الطوال التي قضاها في الحب والغرام.

أقبلتُ عليه أخته وهي تسأله عن سر بكائه.. انفجر وارتدى في
 حضنها قائلاً: أنا لا أريدها.. وقصَّ عليها ما أحرق قلبه وأدمى فؤاده.

قال: أريد من تخاف الله، أريد من تتحجب ولا يراها غيري.

قالت له أخته: أنت تريد وتريد وتريد.. ولكن قبل كل شيء كن أنت
 كما ربك يريد، يوفِّقك لما تريد^(١)!..



(١) رانية حسين جمبي، جاء يوم القصاص، المنار، جمادى الآخرة، ١٤٢٤هـ، بتصرف.



لا تغترّ بكثرة الأصحاب أيام الرخاء؛ فقد لا تجد واحداً منهم أيام المحن والشدائد! ..

وإذا أردت أن تختبر صدق أخ في مودته؛ فمدّ يدك الى جيبه - أي: اطلب منه مالاً - ثمّ انظر إلى وجهه وعينه لترى أثر استجابته لمطلبك، ولا حاجة بعد ذلك إلى دليل! ..

يقول سقراط: من السهل جداً أن تضحّي من أجل صديقك، ولكن من الصعوبة أن تجد الصديق الذي يستحقّ هذه التضحية! .

قال سليمان الحكيم لابنه: يا بني لا تستكثر أن يكون لك ألف صديق؛ فالألف قليل، ولا تستقلّ أن يكون لك عدو واحد؛ فالواحد كثير! ..

ويقول أحد الحكماء: من الجميل أن تصنع ألف صديق في سنة، ولكن الأجل أن تصنع صديق الألف سنة .

وبناء الصداقة يحتاج إلى معرفة تامة بالصديق الذي ترافق، ولهذا نبّهنا رسولنا الحبيب عليه الصلاة والسلام إلى أن نسأل عمّن نصادق؛ فقال ﷺ:

«إذا آخى الرجلُ الرجلَ فليسأله عن اسمه، واسم أبيه، وممن هو؟ فإنه أوصل للمودة»^(١) .

وقد تحتاج إلى وقت طويل كي تكسب صديقاً مخلصاً، ولكن إياك أن تخسره بعد ذلك كله بدقيقة أو دقيقتين، بموقف أو بكلمة عابرة لم يكن يقصدها، أو فعلٍ لم يكن له متعمداً! ..

(١) تخريج أحاديث المصابيح: ٣١٨/٤، ورجاله ثقة.

إعرف من تصادق، ولا تنخدع بكلام معسول أو بسمة خادعة؛ يقول الشاعر:

لا خيرَ في ودِّ امرئٍ مُتَلَوِّنٍ حُلُوِّ اللسانِ وقلْبُهُ يتلَهَّبُ
يلقَاكَ يقسُمُ أنه بكِ واثقٌ وإذا تواری عنكَ فهو العقرُبُ
يعطيكِ من طرفِ اللسانِ حلاوةً ويروغُ منك كما يروغُ الثعلبُ
وتأكد من خُلُقٍ من تصاحب بأن تعرف ردود أفعاله عند الغضب؛
يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تعتمد على خُلُقٍ أحد حتى تجربّه عند
الغضب .

وصادق من تثق في إيمانه وسلوكه، من يحب فعل الطاعات، ويجب
الصالحين؛ يقول الإمام الشافعي:

أحبُّ الصَّالِحِينَ ولستُ منهم لعلِّي أن أنالَ بهم شفاعَةَ
وأكرهُ مَنْ بضاعته المعاصي وإن كنا سواءً في البِضَاعَةَ
وانظر إلى صداقة المحبين في الله، انظر إلى صداقة كانت بين
الإمامين: أحمد بن حنبل، والشافعي.

لَمَّا مرض الإمام أحمد بن حنبل ذهب الإمام الشافعي ليزوره، فلما
رأى الشافعيَّ حالَ ابن حنبل، جزع جزعاً شديداً أوقعه في الفراش، فذهب
الإمام أحمد لعيادته، فلما نظر الإمام الشافعي إليه برئاً من مرضه وقال:

مَرِضَ الحبيبُ فزرتُه فجزعتُ من حُزني عليه
عادَ الحبيبُ فزارني فبرئتُ من نظري إليه



الصديقة الصدوقة



كم من فتاتين صديقتين عاشتا وتربيتا معاً، ولكن أيّاً منهما لم تكن للأخرى صديقة صدوقة! ..

وكم من فتاتين لم تتعارفا إلا منذ زمن يسير، ولكن صداقتهما أعمق من أن تقاس، ويضرب بها المثل! ..

تقول إحدى الأخوات الفضليات:

«الصديقة هي الحبيبة القريبة إلى النفس، مُجلية الهموم والأحزان.

الصديقة بئرٌ أمين للأسرار، وصدْرٌ مفتوح لسماع الهموم.

الصديقة أنشودة أمل، ونورٌ حياة في لحظات اليأس والقنوط.

ولكنها لن تكون كذلك أبداً إلا إذا كانت صديقةً صدوقةً ..

فالصديقة الصدوقة هي التي تُذكر صديقتها إذا عصت، وتنصّحها إذا أخطأت، وتساعدُها إذا ابتليت، وتعينُها على الخير والصلاح.

الصديقة الصدوقة هي التي تعرف صفات صديقتها جيداً، ولا تصدّق أي كلام يقال عنها حتى تتأكد منه؛ لأن بعض الظن إثم.

هي التي تحترم مشاعر صديقتها وتقدرُ ظروفها ..

تُسامحها إذا أخطأت، وتنسى إساءتها إذا تابت ورجعت إلى ربها.

تقدرُ وضعها إذا تركتها أو انشغلت عنها لبضعة أيام.

لا تغيظها ولا تُهينها، ولا تكذبها أمام الآخرين حتى لو كانت كاذبة.

تتحمل أخطاءها، وتعاتبها عليها بلطف حتى لا تجرح مشاعرها.

تحفظ أسرارها، وتعينها على تحقيق أحلامها .

توجهها وتسدي لها الرأي الحكيم .

الصديقة الصدوقة هي المؤمنة التقية المطيعة لربها، البارة بوالديها، المهذبة اللبقة في حديثها، المحبوبة بين أهلها وقريناتها .

تلك هي الصديقة الصدوقة، وتلك صفات من امتلكتها صارت من الصالحات .

فالصدّاقة لا تقاس بكم هدية أهدت إليك صديقتك، ولا بكم سنة ظلّت معك، بل بكم مرة نصحتك، وكم مرة وقفت معك وساعدتك» . .

وتختتم هذه الأخت مقالها بالقول:

«فلنكن جميعاً صديقات صدوقات لرفيقات عمرنا، مخلصات لهن حتى آخر حياتنا، ومفتخرات بصدقاتنا معهن لأننا أخوات في الله، وهكذا يريدنا حبيبنا المصطفى ﷺ .

أمي . . أخواتي . . ومعلماتي . . أنتن لي أصدق صديقات، وأعظم أخوات، أشكركن على ما قدّمته لأجلي، فلولاكن - من بعد الله تعالى - لم أحقق شيئاً من أحلامي وطموحاتي، فلقد رسمت لي الطريق، وكنتن لي المنارة في الليالي الحالكة .

فشكراً لله أولاً، ثم الشكر موصول إليكن يا أهلي ويا أخواتي»^(١) .



(١) بشائر عبد العزيز اليوسفي، مجلة تحت العشرين، العدد (٥٤)، بتصرف .



هكذا تقولُ بعضُ الفتياتِ

الليلة
٢٠٦

«صديقتي تخلَّت عني»، «صديقتي لم تعدْ تحبني»، «لم أجد صديقة ودية».. كلماتٌ تنساب بنبرة حزينه، وتتبعُها دمعَةٌ ألم وعذاب.

كلماتٌ تنطلق من الفتاة في مرحلة من مراحل العمر، يكون القلب فيها متعطّشاً للحب والاهتمام أكثر من أي وقت آخر.

كلماتٌ تتقاذفُها الفتاة بغصّة وحُرقة، بعدما عصفت بها الأحزان والهموم؛ تُفاجأ أن ذلك الحب والتعلق الشديد يتحول إلى ابتعاد وكُرهٍ شديد.. بل ربما تلك الصداقة الحميمة تنقلب إلى عداوة وخصام!..

وفي المقابل تجد هناك صداقات أخوية لا يعكّرها الفراق، ولا يكدر صفوها البعدُ واختلافُ الأهواء.

فمهما اختلفتِ الصداقاتُ وتنوعتْ، تظلُّ الصداقةُ الحقة هي تلك التي مشتٌ على درب الهداية والنور.

سائلي نفسك: هل تحبين صديقتك لشخصيتها أم تحبينها في الله؟.

وهل أعانتك على ذكر الله، وسارت بك على درب الله؟.

فأين هؤلاء الأخوات الصالحات؟.. إنك لن تجديهن في الأسواق الفاتنة، ولا في المنتديات الفارغة.

إنهن في أمكنة تلائم مقامهن وتناسب مكانتهن، فهنَّ لسنَّ كغيرهن عرضة للناظرين والعابثين..

إنهن في مجالس يُذكر فيه اسم الله ويُعلى فيها شأنه، في مجالس تملأ الأرض نوراً وعلماً وإصلاحاً.. كلامهنَّ عطرٌ، ولا يفوح منهن إلا الخير..

تجدينهن في المساجد، وفي حلقات تحفيظ القرآن الكريم، وغير ذلك من الأماكن الطيبة..

عليك بالأخوة الصادقة؛ فابحثي عنها وإن طال الزمن، أخوة جعلها الله تعالى من أفضل القربات، أخوة تجعلك في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله..

تتناصحن فيها لله، ويشد بعضكن بعضاً نحو الجنان بعزيمة صادقة وأعمال صالحة..

وهذا نبينا ﷺ ينقل لنا صورة مؤثرة لمن يدافعون عن إخوانهم يوم القيامة؛ يقول ﷺ:

«ما مُجَادَلَةٌ أَحَدُكُمْ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا، بِأَشَدِّ مُجَادَلَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ، قَالَ: يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يَصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ وَيَحْجُونَ مَعَنَا، فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ، قَالَ: فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مِنْ عَرَفْتُمْ مِنْهُمْ، قَالَ: فَيَأْتُونَهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُورِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى كَعْبِيهِ، فَيَخْرِجُونَهُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا قَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ أَمْرَتِنَا، قَالَ: وَيَقُولُ: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزَنْ دِينَارٍ مِنَ الْإِيمَانِ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزَنْ نِصْفِ دِينَارٍ، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزَنْ ذَرَّةً». . قال أبو سعيد - راوي الحديث - : فمن لم يصدّق فليقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] (١).



(١) صحيح النسائي: (٥٠٢٥).



رسالة إلى مَنْ تلعبُ بالهاتفِ

تصوّري يا أختاه فتاةً مارستِ اللعبِ بالهاتفِ لإشغالِ وقتِ فراغها، وجرّها هذا العبثِ إلى التعرفِ على شابِ يهوى هذه الهواية، ونشأت بينهما علاقة مشبوهة جرّت صاحبة الحياء والعفة إلى الزنى والعياذ بالله!.. أليس في هذا سقوط لا قيام بعده؟!..

وحين تُخطب زميلاتها، ويتزوَّجن، وتُصبح بيوتهنّ مليئة بالسعادة والحبور؛ لن تجد هي أحداً يتقدم لخطبتها، لأن من دنّست نفسها بالخيانة اليوم، ليس بعيداً أن تدنّس فراش زوجها بالخيانة بعد ذلك!

قد تقول هذه الفتاة: إني أمارس هذا العبث ولا يمكن أن يعرف بي الشباب الآخرون، بل ربما أمارسه مع شاب سوف يكون شريك حياتي في المستقبل!..

بالله عليكم: أليست بفعلها هذا تلعب بالنار؟!..

وإذا كان اللعب بالنار يحرق البيوت، ويشردّ الأسر؛ فإن العبث بالجوّال قد يحرق العفة، ويلوّث السُّمعة، ويخدش العرْضَ، وقد ترى رقم هاتفها مع شباب آخرين يمارسون معها ما مارس خليلها الأول!..

وكيف تمارس مثل هذا العبث والله تعالى يراها ويرقبها وإن نام الناسُ وإن رقدوا؟!.. أليس الله بقادر على أن يفضحها بين أمم الناس إن شاء؟!.. ولكن رحمته سبقت غضبه.

اسمعي إلى حديث رسول الله ﷺ: «لأعلمنّ أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاً، فيجعلها الله هباءً منثوراً» قال ثوبان: يا رسول الله! صفهم لنا، جلّهم لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا

نعلم، قال: «أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»^(١).

كيف نقف أمام الله جلّ في علاه وجوارحنا تشهد علينا بما كنا فاعلين؟ .. ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِمَ جُودِئْنَا بِمَا كُنَّا نَعْمَلُ وَالَّذِينَ كَانُوا أَشَدَّ عَدَاوَةً لِّلَّهِ مِنَّا لَمْ يَمَسَّهُمْ شَيْءٌ قَالُوا أَلَمْ نَقُلْ لَّكَ اللَّهُ أَنظِقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩ - ٢١].

فحذار حذار من اللعب بالهاتف أو الجوال؛ فكم خربت بيوت من ورائها وتشردت فتيات! .. وكم تلوّثت سمعة فتيات! .. وكم عرض تدنس! ..!

فاتق الله يا أخي ولا تعبت بنات المسلمين، وتذكّر أنه دَيْنٌ يرجع على أهل بيتك! ..!

يقول عثمان بن عفان رضي الله عنه: إن المؤمن في خمسة أنواع من الخوف:

أحدها: من قِبَلِ الله تعالى أن يأخذ منه الإيمان.

والثاني: من قِبَلِ الحفظة أن يكتبوا عليه ما يُفتضح به يوم القيامة.

والثالث: من قِبَلِ الشيطان أن يُبطل عمله.

والرابع: من قِبَلِ مَلَكِ الموت أن يأخذه في غفلة بغتة.

والخامس: من قِبَلِ الدنيا أن يغترّ بها وتُشغله عن الآخرة.



(١) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني (صحيح ابن ماجه: ٣٤٤٢).



المرأة التي وقفت في وجه عمر رضي الله عنه

كان رسول الله ﷺ عائداً من خيبر عندما لقي جعفر بن أبي طالب وزوجته أسماء بنت عميس ومن معهم من مهاجري الحبشة رضي الله عنهم عائدين من الحبشة .

كانت فرحة النبي ﷺ فرحتين : أولاها بالنصر على يهود خيبر، والثانية بعودة جعفر وصحبه؛ لينعم المسلمون بعودة الغائبين واجتماع شمل الأحبة بعد فراق دام أكثر من عشر سنوات .

كانت أسماء بنت عميس زوجة جعفر بن أبي طالب قد أسلمت قبل دخول النبي ﷺ إلى دار الأرقم . .

هاجرت إلى الحبشة مع زوجها، فقدّمت أنموذجاً رائعاً للمرأة المؤمنة المهاجرة الصابرة على بُعد الأحبة رغبة في مرضاة الله ورسوله، ولكنها بعد عودتها من الحبشة أرادت زيارة حجرات أمهات المؤمنين لتنهل من معين النبوة . .

يقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه في حديث صحيح أخرجه مسلم: دخلت أسماء بنت عميس على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه، فدخل عمر بن الخطاب على حفصة، وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: الحبشية هذه؟ البحريةية هذه؟ فقالت أسماء: نعم، فقال عمر: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم . . فغضبت، وقالت كلمة: كذبت يا عمر! كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار البعداء البغضاء في الحبشة،

وذلك في الله ورسوله . . وايم الله! لا أظعمُ طعاماً ولا أشربُ شرباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ .

فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله! إن عمر قال: كذا وكذا! فقال رسول الله ﷺ: «ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان» .

قالت: فلقد رأيتُ أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً، ويسألوني عن هذا الحديث . . ما من الدنيا شيءٌ همُّ به أفرحُ ولا أعظمُ في أنفسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ^(١) .

عمَّت الفرحة قلوب العائدين من الحبشة بكلمات النبي ﷺ، وتهافتوا على دار أسماء يسمعون منها حديث رسول الله ﷺ عنهم، ودفاعها الصادق عن حقهم في وجه عمر، ليسطر التاريخ عن أسماء بنت عميس قولاً أصابت فيه المرأة وأخطأ عمر .

وبعد شهر من عودة مهاجري الحبشة ينطلق جيش المسلمين في غزوة مؤتة ليستشهد جعفر بن أبي طالب زوج أسماء بنت عميس .

وبعد انقضاء العدة تزوجت من أبي بكر الصديق ﷺ، فأكرمها أيما إكرام، فأنجبت له محمد بن أبي بكر، ثم مات عنها الصديق ﷺ فتزوجت من علي بن أبي طالب ﷺ، فاحتضن عليٌّ في داره أبناء أسماء من جعفر وابنها من أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين^(٢) .

رضي الله عن أسماء بنت عميس صاحبة الهجرتين، وزوجة الشهيدين، وزوجة الخليفتين، وألحقنا بها في الصالحين .



(١) رواه مسلم .

(٢) أعلام الصحبايات: أسماء بنت عميس، بتصرف .



المرأة التي سمع الله قولها

الليلة
٢٠٩

بين ضفاف الأحبة: محمد ﷺ وصحبه؛ عاشت خولة بنت ثعلبة إحدى الصحابيات الجليلات .

كانت خولة بنت ثعلبة زوجة لأوس بن الصامت أحد الصحابة الذين شهدوا بدرًا، فغفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر .

وكان أوس رجلاً طاعناً في السن حين عارضته زوجته خولة في أمر أرادته؛ فقال لها قولاً حفظه من الجاهلية: «أنتِ عليّ كظهر أُمي» . . وكانت هذه العبارة تعني «الطلاق» عند العرب قبل الإسلام .

وبعد أن هدأ الغضب عن أوس تراجع عما قاله، ولم يدّر ماذا يفعل، فقال لخولة حزيناً: ما أظنك إلا حرمتِ عليّ . .

لكن خولة المؤمنة لم تسكت على ما قاله زوجها، فجمعت شعثها لتذهب إلى رسول الله ﷺ تخبره ما كان من أمرها وأمر زوجها، فقالت: يا رسول الله! أكلّ مالي، وأفنى شبابي، ونثرتُ له بطني، حتى إذا كبرتُ سني، وانقطع ولدي؛ ظاهرَ مني .

ورغم كل هذا الألم الذي احتواه فؤادها إلا أنها استدركت ما لأوس في نفسها، وخافت أن يكون كلامه طلاقاً لها، فقالت: يا رسول الله! إن أوساً أبو ولدي وابن عمي وأحبُّ الناس إليّ، وقد عرفتُ ما يصيبه من ضعف قوته، فقال لي: أنتِ عليّ كظهر أُمي، والله ما ذكّرَ طلاقاً . . فقال لها رسول الله ﷺ: «ما أراكِ إلا وقد حرمتِ عليه»^(١) .

لم تسكتْ خولة عند هذا القول رغم علمها أنه قول نبي مصدّق لا

(١) رواه البيهقي .

يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكان سبب عدم سكوتها يقينها بأن أوساً لم يقصد «طلاقاً» إنما «كلمة مغاضب». . . فجادلت رسول الله ﷺ ردحاً من الوقت، وهي تقول: اللهم أشكو إليك وجدي وما شقَّ علي من فراقه، اللهم أنزل علي لسان نبيك لنا فيه الفرج .

كانت تلهج بالكلمات وقلبها منفرط لوعة علي هذا المصاب الذي رأيته كبيراً في فراق من عاشت معه طوال حياتها! لكن رحمة الله سارعت إلى إنقاذها، فأنزل الله ﷻ من ساعتها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ مَخَاوِكُمْ﴾ [المجادلة: ١] .

وتدور السنون، ويخرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوماً ومعه «الجارود العبدى»؛ فإذا بامرأة برزت على ظهر الطريق، فسلم عليها عمر، فردت عليه السلام وقالت: هيهات يا عمر! عهدتُك وأنت تُسمى «عميراً» في سوق عكاظ ترعى الغنم، فلم تذهب الأيام حتى سُميتَ عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سُميتَ أمير المؤمنين، فاتقِ الله في الرعية، واعلم أن مَنْ خاف الوعيد قُرِبَ عليه البعيد، ومن خاف الموت خُشي عليه الفوت . .

فقال الجارود: قد أكثرتِ أيتها المرأة على أمير المؤمنين! فقال عمر رضى الله عنه: دعها . . وفي رواية: قيل لعمر: أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف؟! فقال عمر رضى الله عنه: والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلتُ، إلا للصلاة المكتوبة، أتدرون من هذه العجوز؟ . . هي خولة بنت ثعلبة التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات؛ فَعَمَّرَ اللهُ أَحَقُّ أَنْ يَسْمَعَ لَهَا . .

رضي الله عنك يا خولة! يا من كنتِ مثال الزوجة الوفية للعشير . .

يا من كنت متحدثة بارعة لقضية كادت تنهي كيان بيتك . .

يا من جادلتِ عن حقِّ لك فأبدعتِ في هذا الحوار . .

يا من كان اتصال السماء بالأرض من أجل تلك القضية، فنزل فيها

قرآن يتلى إلى يوم الساعة . .



الليلة

٢١٠

نَحْوَةُ رَجُلٍ .. وَعِيفَةُ امْرَأَةٍ

أين غيرة الرجال على أعراضهم؟! وكيف يطيق الرجل أن تكون زوجته أو ابنته متكشّفة متبرجة تأكلها أعين الرجال؟! ..

● روى الخطيب البغدادي حكاية امرأة تقدمت إلى مجلس القاضي موسى بن إسحاق، في مدينة (الريّ) عام (٢٨٦هـ).

ادّعى وكيل المرأة أن لموكلته على زوجها مهرها الذي يبلغ خمسمئة دينار، فأنكر الزوج.

فقال القاضي لوكيل الزوجة: هاتِ شهودك.

فوقف الشهود، وطلب أحدهم أن ينظر إلى الزوجة ليشير إليها أثناء شهادته، وقال للمرأة: قومي.

فقال الزوج: لماذا تقوم؟

قال الوكيل: ينظرون إلى امرأتك وهي مسفرة عن وجهها، كي تصح عندهم معرفتها!

فقال الزوج: إني أشهد القاضي أن لها عليّ هذا المهر الذي تدّعيه، ولا تُسفر عن وجهها..

فلما سمعت الزوجة كلامه قالت: وأنا أشهد القاضي أنني وهبتُ له هذا المهر، وأبرأتُ ذمته في الدنيا والآخرة^(١).

ما أجمل هذا الموقف من كلا الطرفين! ..

أليست هذه غيرة الرجل المسلم على عِرْضه؟! ..

ثم أليس هذا موقف تقدير وعرفان من المرأة لحرص زوجها عليها؟! ..

(١) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، المجلد (١٣).

إن الجبهة الشريفة العالية لا تحتاج إلى تاج يزينها .
 وإن الصدر المملوء بالفضيلة لا يحتاج إلى وسام مزركش فوقه .
 أرايتم كيف يدفع الرجل كل ذلك المال ولا يسمح لأحد برؤية وجه زوجته؟! أليست كرامة العُرض فوق كل الكرامات؟! ..
 تُرى ماذا يقول أولئك الذين يسمحون لزوجاتهم بمراقبة الآخرين أو يتركونهنَّ شبه عرايا في المسابح وعلى شواطئ البحار؟! ..
 ● وهذا موقف آخر من مواقف العفة؛ فبينما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف في المدينة سمع امرأة تقول:
 تطاولَ هذا الليل واسودَّ جانبُه وأزرقني أن لا خليلَ لأعبُه
 فوالله لولا الله تُخشى عواقبُه لزحزحَ من هذا السرير جوانبُه
 فقال عمر: ما لك؟ .

قالت: أرسلتَ زوجي للجهاد منذ أشهر، وقد اشتقتُ إليه! ..
 قال: أردتِ سوءاً؟ قالت: معاذ الله .
 قال: فاملكي عليكِ نفسكِ، فإنما هو البريدُ إليه ..
 فبعثتُ إليه، ثم دخل على حفصة رضي الله عنها فقال: إني سائلك عن أمرٍ قد أهمني: كم تشاق المرأة إلى زوجها؟ فخفضتُ رأسها واستحييت ..
 قال: فإن الله لا يستحيي من الحق .
 فأشارت بيدها: ثلاثة أشهر، وإلا فأربعة أشهر ..
 فكتب عمر: أن لا تُحبسَ الجيوش فوق أربعة أشهر^(١) .



(١) تاريخ الخلفاء، للسيوطي .



إلى مَنْ يدخلُ المواقعَ الجنسيةَ

الليلة
٢١١

● أخي الحبيب: تخيّل أن هيئة الاتصالات في بلدك، قررت إضافة بند جديد في فاتورة التلفون ..

وهذا البند مخصص لحساب عدد المرات التي تدخل فيها إلى المواقع الجنسية على الإنترنت! ..

بالله عليك، أترك تدخل بعدها إلى تلك المواقع الخبيثة؟! ..
بالطبع لا، ولكن لماذا؟! ..

هل لخوفك من الفضيحة سواء من الأب أو الأم، أم من الزوجة والأولاد، أم من صاحب العمل، أو من أي شيء آخر؟! ..

أخي، ألا تعلم أن الله عَلَيْكَ يَرَاكَ، وأنت تُشاهد وتُقلّب نظرك في هذه الصور الجنسية الخبيثة؟! ..

ألا تعلم أن ملائكته تكتب ما تفعل وإلى أي شيء تنظر؟! ..

● أخي الحبيب: تخيّل أنك الآن بين يدي رب العالمين، وأنه أعطاك صحيفة أعمالك، ثم قال لك: اقرأ كتابك ..

أقرأ كتابك ..

نعم والله، ولكن على من ستقرأ؟! ..

هل على زوجتك، أم على أولادك، أم على والدك ووالدتك؟! ..

لا والله، إنما تقرأ على الله الملك الجبار، شديد العقاب، ذي الطول، الذي لا يفلت منه أحد! ..

تخيّل أنك واقف بين يديه عَلَيْكَ وتقرأ قائلاً: دخلتُ يوم كذا في الساعة

الثالثة ليلاً، في الوقت الذي تنزل فيه الرحمات، وينادي ربُّ الأرض
والسموات: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَعْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ
فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ؟ ..

أما أنا، فلم أبالِ بنظرك، ولم أستحي منك ..

لم أستمع إلى دعوتك، ولم ألبِّ نداءك ..

فدخلتُ على المنتديات، شاهدتُ الصور العاريات، واطلعتُ على
المحرمات ..

فاقترفتُ السيئات، ولم أكثرث بغضبك، يا من تعلم الخفيات! ..

لم أخش عقابك، واجترأتُ على المحرمات، أبارزك بالمعاصي،
وأفعلُ الشرور والسيئات! ..

فيا ويلتاه من غضب الله عليّ! ..

● حذار، حذار من هذه المواقع، فإنها والله مُدمِّرات ومخدرات! ..

فأول ما تدمر أخلاقك، فإذا لم تستحي فاصنع ما شئت، ثم دينك ولا
بدّ، ثم تدمرك أنت^(١)! ..

كان عبد الله بن عباس رضي الله عنه يقول: **إِنَّ خَوْفَكَ مِنَ الرِّيحِ إِذَا حَرَّكَتْ**
سِتْرَ بَابِكَ - أَي: فَتَحَتِ البَابَ عَلَيْكَ - وَأَنْتَ تَفْعَلُ الذَّنْبَ، وَلَا يَضْطَرِبُ
فَوَادِكَ مِنْ نَظَرِ اللَّهِ إِلَيْكَ، أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا فَعَلْتَهُ! ..



(١) محمد عمران، فاتورة التليفون والمواقع الجنسية، بتصريف.



شباب وفتيات وقعوا في شَرَكِ تلكِ المواقعِ المدمِّرةِ، بل أصبح البعض منهم صرعى الإدمان القاتل لمشاهد العري والفاحشة، وقد يكون دافع الفضول واكتشاف المجهول سبباً في الدخول!..

● فكيف تتجنب هذا المستنقع الوحل؟:

- ١ - لا تستخدم الإنترنت أساساً إلا عند الحاجة، فالشبكة سلاح ذو حدين؛ أحدهما نافع، والآخر ضار، فإن لم تكن ثمة حاجة لبحث أو استخراج معلومة، أو قراءة مقال، أو متابعة لأخبار، أو مشاركة في منتدى خيّر أو نحوها، فما الداعي للتصفح والاقتراب من مواقع الفتن؟!..
- ٢ - لا تفتح الرسائل المجهولة المصدر لأنّ أغلبها إما إباحية، أو حاملة لفيروسات مدمِّرة للجهاز، أو دعاية مُضَيِّعة للوقت والمال والجهد.
- ٣ - اجتنب استخدام الإنترنت قدر الإمكان في وقت تكون فيه وحدك، لأنّ الشيطان سيجدها فرصة للوسوسة وتهيج العزم نحو البحث عن المواقع الإباحية، وليكن ذلك بوجود الآخرين في البيت.
- ٤ - تجنّب التصفح عندما تهاجمك الشهوة، فالبعض تثور الشهوة في صدره قبل فتح «النت»، فيبادر إليه بدعوى قراءة أخبار، أو مطالعة بريد، فلا يلبث أن ينتقل إلى موقع إباحي موهماً نفسه أنه انساق إليه - قدراً - لا قصداً!..
- ٥ - تجنّب استخدام محركات البحث للتفتيش عن موضوعات ذات صلة بالجنس!..

- ٦ - تجنّب أصدقاء السوء في المدرسة أو في الحي؛ لأنهم غالباً ما يكونون سبباً في تبادل عناوين المواقع الإباحية على الشبكة، ولئن يبقى الشاب بلا أصدقاء خير له من أن يصادق من يزيّن له الفاحشة ويحببها إليه! . .
- ٧ - ضع جهاز الكمبيوتر في مكان عام في البيت، كالصالة أو غرفة الطعام، ولا تغلق الأبواب. . ضع الجهاز بجهة معاكسة لباب الغرفة، بحيث يكون باب الغرفة خلف المتصفح، فقد يمنعه الحياء من الداخل فجأة عن تصفّح مثل تلك الصفحات^(١)! .
- ٨ - تذكّر مراقبة الله ﷻ وأن الله يعلم ما توسوس به نفسك، واسأل الله بصدق وإخلاص أن يجنّبك أسباب الفتنة والشر! . .
- ٩ - اجعل افتتاحية الشاشة الترحيبية آية قرآنية أو حديثاً من أحاديث الوعيد، أو حكمة مؤثرة أو جملة معبرة. . وغير هذه الافتتاحية كل أسبوع. .
- ١٠ - ضع على المكتب عدداً من كتب الأحاديث وكتب العلم؛ فربما تجعل المرء يأنف من الدخول إلى المواقع الإباحية. .
- ١١ - حاول أن تقرأ صفحة من القرآن الكريم على الأقل قبل تصفّح «النت» ترقيقاً للقلب، وطردها لوساوس الشياطين. .
- ١٢ - ابتعد عن المثيرات في الأسواق ونحوها، واهجر القنوات الهابطة والمجلات الخليعة. .



(١) كيف نقاوم إغراء المواقع الإباحية؟، للدكتور رياض المسميري، بتصرف.



لكيلاً تَقَعِي فِي الخَطِيئَةِ (١)

أختي في الله! يا من اتخذت لنفسك صديقاً أو زميلاً! ..
أمرُ يفتت الأكباد والقلوب، ويبعثُ حرقةً في القلب كحرقة يعقوب؛
علاقتك بمن تسمينه صديقك، أو حبيبك، أو عشيقك! ..
سمّيه زوج المستقبل، سمّيه السعادة والأمل ..
سمّيه فارس الأحلام، ورسول الحب والغرام ..
أعرف أن حبيبك هذا «شريف ونبيّل» في نظرك ..
أعرف أنه يموت في حبك ويحلم بقربك ..
ليس له رغبة في أن يخدعك أو يعبت بك ..
فقد أقسم لك بالله: إنه صاحب صدق ووفاء ..
وأعرف أنه يعدك بالتقدم قريباً لخطبتك من أهلك ..
وأعرف أيضاً أنه الوحيد في العالم الذي يفهمك ..
وهو الوحيد أيضاً الذي يتألم لألمك ويقاسمك همومك ..
نعم .. إنه المنقذ لك - بعد الله تعالى - في نظرك ..
ما كتبتُ هذه الكلمات^(١) لكي أنغصّ عليك حياتك، ولا لأمحو
البسمة عن وجهك، بل كتبتها لسعادتك الحقيقية؛ سعادتك الأبدية ..
أجيبيني بالله عليك: هل علاقتك به يرضى بها ربك؟

(١) كتبتها من رمز لنفسه باسم «حلّال العقد»، بتصرف.

أنا لا أسألك عن رضا مجتمعك، أو أبيك وأمك! ..
 فعادات المجتمع والأسرة ليست حكماً على الشريعة المطهرة، بل
 أسألك عن رضا ربك الذي يرى ويسمع فعلك وقولك ..
 ألا تريد أن تكوني ممن قال الله في وصفهن ممتدحاً لهن:
 ﴿وَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]! فهل هذا من
 هدي الصالحات؟! ..

هل أنتِ - بعملك هذا - من القانتات العابدات لرب الأرض
 والسموات؟ هل أنت حافظة للغيب في أهلِكَ بهذا التصرف والعمل؟ ..
 ومن قال لك: إن هذا هو الطريق لتفريج همِّك وتنفيس كربك؟! ..
 لا شك أنها صديقة سوء مصاحبة، أو أغنية ماجنة، أو فضائية
 هابطة ..

إن قلتِ: ستكون نهاية الحب الحرام نكاحاً على شرع الله ..
 فهل تعتقدين أن ذلك يمحو الآثام وما كان من سالف الأيام؟! ..
 ثم ألا تعلمين أن أولئك الشباب الذين يوقعون الفتيات في شباكهم لا
 يثقون في فتاة سلّمت نفسها إليهم؛ فكيف يتزوج أحدهم منها؟! ..
 هل وجدتِ الراحة في معصية الله؟! وهل ترضين أن تكوني دنيّة من
 أجل سراب وأوهام؟! ..

.. يتبع ..





لكيلاً تقوي في الخطيئة (٢)

حرم القرآن على المرأة أن تخضع بصوتها حتى لا يطمع من في قلبه مرض: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

فكيف بزمان كهذا الزمان، وبذئاب لبست مسوح الضأن؟! ..

فوالله من انغمس في المملذات المحرّمات؛ تجرّع غصص الألم والندامات.

أيهما أعظم: سلامة دينك وعرضك، أم بلوغ لذتك؟! ..

انظري إلى أين المصير؟ أو ما تسمعين ما قاله رب العالمين:

﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]؟! ..

فكيف يكون حالك يوم القيامة، يوم الدين؟! ..

أتريدين أن تكوني ممن ينادي بالحسرة والويل: ﴿يَوْمَلَّتْ لِيَّتِي لَمْ أَتَّخِذْ

فُلَانًا حَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٨].

ألم ينخلع قلبك بعد بطول هذه الغيبة عن الله؟! ..

كم فاتك من خير يوم سرّت خلف هواك، وعصيت به مولاك! ..

لا تقولي هذه آخر محطة في العشق وسأتوب بعدها! .. فما يدريك أنه

بقي شيء من عمرك؟! .. فلعل الموت اقترب منك.

انظري إلى قلبك هل تعلق بغير ربك؟! ..

فهيا استفيقي وأبصري الطريق، فوالله إن أطعت هواك أوردك ذلاً

وعاراً لا يغسله الماء! ..

فخالفي هواك وكوني من العقلاء قبل أن يعظم بك الداء والبلاء.

تذكري قصة الخائف يوم قالت له بنت عمه: «اتق الله ولا تفضّ الحاتَم إلا بحقه!». . . فمن يتق الله ويصبر عما حرّم الله يعوّضه الله بما أحلّ له .

ألا تريدان الخروج من حضيض الهوى؟! فوالله لا تحتاجين إلا إلى توبة صادقة: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُمْ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦]؛ فأعدّي عدّتك .

أشغلي هذا القلب بربك قبل أن يشغلك بالباطل، أشغليه بالقرآن والعبادات، أشغليه بالأعمال الصالحات . .

وها هو باب التوبة مفتوح، وها هي نسائمه تغدو وتروح .

وما أحلم الله وما أرحمه! أو تظنين أنه لن يسمح بدخولك؟! أو أنه لن يفرح بتوبتك؟! .

هيا توضئي بدموع التوبة والندم لله، وارفعي يديك المرتعشتين إلى السماء، وناجيه بصوتك المتقطع بالزفرات والبكاء: يا رب! يا رب! بحثت عن الحب فلم أجده إلا لك، وبحثت عن الأنس فلم أجده إلا معك، وبحثت عن بث الهموم والشكوى فلم أجده إلا إليك . .

تبت إليك مما جنيت، وعدتُ إليك بعدما أذنبتُ وعصيت، فاغفر زلّتي، واسترّ حوبتي، وارحمْ ذلي بين يديك . .

اللهم إني تركت «فلاناً» خوفاً منك، وحباً فيك . .

اللهم فاخلفني خيراً منه، وارزقني عملاً ترضى عنه . .

اللهم اكتبني مع التائبات التاركات لطرق الشر، السالكات طريق الخير والبر، برحمتك يا أرحم الراحمين . .





بعض الشباب يعيش مفتوناً بأصدقائه؛ لا يستطيع العيش من دونهم لحظة واحدة، اللهم إلا لحظات النوم! لا يرى الحياة إلا بهم، ولا هم له إلا معاشرتهم..

وثمة فئة أخرى من الشباب يعيش مفتوناً بالنساء؛ يجعلهن محور حياته! الشهوات تسيطر على قلبه، ونزوات المعاصي تهيمن على فكره.. يعيش سجين شهواته، وعبداً لنزواته، تراه ذليلاً يتجرع كأس الخزي والعار في الدنيا قبل الآخرة..

يقول الشاعر:

رُبَّ مَسْتَوِرٍ سَبَّتُهُ شَهْوَةٌ فَتَعَرَّى سِتْرُهُ فَاثْتَكَا
صَاحِبُ الشَّهْوَةِ عَبْدٌ فَإِذَا غَلَبَ الشَّهْوَةَ أَضْحَى مَلِكًا

ومما أثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله:

خلق الله تعالى الملائكة عقلاً بلا شهوة..

وخلق البهائم شهوة بلا عقل..

وخلق الإنسان بالعقل والشهوة..

فإذا غلب الإنسان عقله على شهوته كان أعلى من الملاك (الذي لا يشتهي)..

وإذا غلب شهوته على عقله كان أدنى وأحط من البهيمة (التي لا تعقل)..

كان المصريون القدماء يعاقبون الرجل الزاني بسمل (فوء) عينيه،

وكان الرومانيون يعاقبون المرأة بجدع أنفها! وفي ذلك يقول الشاعر:

فلو وصلت شرائعهم إلينا على ما نحن فيه من المُجُونِ
لأصبحتِ النساءُ بلا أنوفٍ وأصبحتِ الرجالُ بلا عيونِ
كن عفيفاً واجتنب ما لا يحلُّ لك، فما أشقى من ترك لنفسه الحبل
على غاربها، فغرق في لذاتها وشهواتها. . بشره بسوء المُنقلب ما لم يتب
إلى الله توبة نصوحاً، والله تعالى يقول: ﴿وَلَيْسَتَعَفِيفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى
يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التُّور: ٣٣].

وعندما يعتدي شاب على شرف غيره يكون قد فقد شرفه، يقول
الشريف الرضي:

إذا أضعت الثروة لم تفقد شيئاً . .

وإذا أضعت الشجاعة فقدت كثيراً . .

وإذا أضعت الشرف فقدت كل شيء . .

ويقول أبو الحسن الورّاق:

من غَضَّ بصره عن محرّم؛ أورثه الله بذلك حكمة على لسانه ينتفع بها
سامعوه . .

ومن غَضَّ بصره عن شُبّهة؛ نور الله قلبه بنور يهتدي به إلى طرق
مرضاته . .



المرأة بلا عفاف كالبستان بلا سياج ..

يقول مصطفى صادق الرافعي رَحِمَهُ اللهُ :

«لو كنتُ قاضياً، ورُفِعَ إليَّ شابٌّ تجرأ على امرأة فمَسَّها أو احتكَّ بها! وتحقَّق عندي أن المرأة كانت سافرة متبرجة! لعاقبتُ هذه المرأة عقوبتين :

أولها : أنها اعتدتْ على عفة الشاب! ..

والثانية : أنها خرقتْ حمقاء كَشَفَتِ اللحمَ للهِرِّ!» .

فما هذه الحرية التي طَبَّلَ لها الغرب وزمَّر؟! أهى حرية المرأة أن تكشف ما تشاء من جسمها وأننى أرادت؟! أهى حرية الفسوق والعصيان؟! ..

فالعرب أغيَّرُ الناس على الأعراض، وإنَّ كلمة «العِرْض» في لغتنا العربية لا يقابلها كلمة في ألسنة الأمم الأخرى! .

أليست مسابقات ملكات الجمال وملكات الأناقة وغيرها؛ أليست دليلاً على استغلال الرجل الغربي لجسد المرأة، واستهتاره بكرامتها؟! ..

أليست دليلاً على أن المرأة عندهم لا تهمها كرامتها بقدر ما يهَمُّها لفتُ أنظار الرجال إلى جمال جسدها وصورتها؟! ..

وفي هذا المجال يقول المنفلوطي رَحِمَهُ اللهُ :

«إن الرجل لا يحترم إلا المرأة التي تضنُّ بنفسها عليه، ولا يحتقر مثل المرأة التي تبذل نفسها له ..

فهو يحترم المرأة الشريفة أكثر مما يحب المرأة الجميلة، بل لا يعرف للمرأة جمالاً غير جمال الأدب والعفة.. وإن زَعَم في نفسه غير ذلك!..»

أختاه لا تهتكى سترَ الحياءِ ولا تضيّعي الدِّينَ بالدنيا كمن جهلوا
 مَنْ صانتَ العرضَ تحيا وهي شامخةٌ وَمَنْ أضعتهُ ماتتُ وهي تنتقلُ
 كلُّ الجراحاتِ تُشفى وهي نافذةٌ ونافذُ العِرضِ لا تُجدي له الحيلُ
 أختاه عودي إلى الرحمنِ واحتشمي ولا يغرنَّك الإطراءُ والدَّجلُ
 أختاه مَنْ همُّه الدنيا سيخسرُها وَمَنْ إلى الله يسعى سوفَ يتَّصلُ

ولن يكون الرجل تامَّ الرجولة ما لم تكن إلى جانبه زوجة تبعث فيه روح الشهامة، وتغرس في قلبه حب المسؤولية عن البيت والأسرة.

أين هذا مما نراه في الغرب؟! نادت المرأة بأعلى صوتها: فُكُّوا قيودي، واتركوني حرة طليقة؛ فأنا أقوى من الرجال!..

حصلت على حريتها المسلوقة.. مزَّقت ثوب العفاف..

وأصبحت تقود الباصات والشاحنات، وتعمل عاملة في البناء أو كئاسة في الطرقات! فقدت رونقها وأنوَّثتها تحت مزاعم الحرية وفك القيود!.

يقول الشيخ محمد الغزالي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

لا نريد من أحد أن يخيِّرنا بين شرَّين:

حبسُ المرأة في البيت حتى تدخل القبر..

أو إطلاقها في الطريق تعربد وتفسد..

فالإسلام نظام غير هذا وغير ذلك..





شهوة الشباب

الليلة
٢١٧

اخطبوا أيها المدرسون ما وسعكم الجهد، واهرؤوا ما انفسح لكم سبيل الهراء، وقولوا للشباب: كن صيِّناً عفيفاً. . فإنها لن تُجدي عليه حُطْبُكُمْ ولا يستقر في نفسه هُرَاؤُكُمْ، إنه يخرج فيسمع إبليس يخطب بلغة الطبيعة الثائرة في السوق على لسان حال المرأة المتبرجة، وفي الشاطئ على لسان الأجساد العارية المغربية، وفي (التلفاز) على لسان المناظر المتهتكة المثيرة، وفي المكتبة على لسان المجلات المصوَّرة والروايات الخليعة الماجنة، وفي المدرسة على لسان أصحابه الفساق المستهترين^(١) . .

إن الشاب تتعبده الشهوة فيخضع لها، لأن سهامها تنصبُّ عليه من كل جانب فلا يطيق أن يتقيها، فيصورها له خياله عالماً مسحوراً عجبياً، وجنة فينانة غريبة فيتمنى دخولها، فلا يجد من دونها حجاباً، بل يجد من يسوقه إليها ويحفزه عليها، فلا يخرج منها أبداً، ولا عليه إن ماتت الأمة أو عاشت! . . فهل فكَّر أحد من أطباء الأخلاق في هذا الداء؟! . .

بناء الأخلاق ينهار، وسوق الزواج يبور، والمخازي والرذائل تعم وتنتشر! . .

● طرق للوقاية من الفاحشة:

إن الله الذي وضع الشهوة في النفوس جعل دواءها الزواج، فإذا تعذر الزواج فهناك طرق للوقاية من الفاحشة، وهناك السدود من دونها الحجب:

١ - هناك الدين؛ فإذا علِّمتم الشاب دينه، وعرفتموه بربه، ونشأتموه على الإيمان الصحيح حتى يعلم أن الله مطلعٌ عليه فإنه يستحيي من الله أن

(١) وعلى صفحات الإنترنت العارية.

يأتي الفاحشة بسمعه وبصره، كما يستحيي أن يأتيها على مشهد من أبيه الذي يجلّه، أو أستاذه الذي يحترمه، ويعلم أن من حق الله عليه، وقد أعطاه الله هذه الأعضاء وأنعم بها عليه، ألا يستعملها إلا في طاعته . . .

هذا أول سلاح تُدرأ به المعصية، وهذا معنى قوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(١).

أي: لا يستطيع أن يزني وهو مؤمن أن الله مطلع عليه، ناظر إليه، ولمنعه الحياء من الله إن لم يمنعه الخوف من العقاب.

٢ - وهناك الشرف؛ فإذا رببتم الشاب عليه، وجعلتموه يحسُّ به ويقدره قدره، وأفهمتموه معنى المروءة وقيمة العِرض، لمنعه من الفاحشة ما كان يمنع الجاهلي الشريف من أن ينظر إلى جارته حتى يوارى جارتها مأواها.

٣ - وهناك الصحة؛ فلو علّمتموه قيمة الصحة ومشاكل الأمراض التي تنجم عن ارتكاب الفاحشة، وأنبأتموه أن الله جعل مع العفاف الصحة والسلامة، ومع الفاحشة الضعف والمرض والمصائب السود^(٢)، لاقتصد في اتباع الشهوة، إن لم يكفَّ عنها، ولم ينظر إليها إلا من سبيلها، وسبيلها الزواج.

٤ - وهناك طيب السمعة، وحسن الذكر في الناس، وهناك الكثير من الأسلحة والحجج^(٣).



(١) رواه البخاري.

(٢) من أمراض الإيدز والسلان والزهري والهربس وغيرها.

(٣) في سبيل الإصلاح، للشيخ علي الطنطاوي، ص ١٠٣ - ١٠٥، بتصرف يسير.



خَوْفٌ مِنْ مَقَامِ اللَّهِ

● يقول المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦]: هي في الرجل يخلو بمعصية الله حيث لا أحد..
أغلقت الأبواب، والتقى العشي بعشيقته! فيذكر مقام الله؛ يتذكّر يوم يقف فيه بين يدي الله، فيدعها خوفاً من الله:

يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلِهِ لَفَرَزْتَ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ أَوْطَانِ
يَوْمٌ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لَهْوَلِهِ وَتَشَيْبُ مِنْهُ مَفَارِقُ الْوَالِدَانِ
يَوْمٌ عَبُوسٌ قَمَطَرِيرٌ شَرُّهُ فِي الْخَلْقِ مَنْتَشَرٌ عَظِيمُ الشَّانِ

● نزل السريّ بن دينار في دار بمصر كانت فيها امرأة جميلة، فقالت: لأفتنّنه.. دخلت من الباب فكشفت نفسها والسري أمامها، فقال لها: ما لك يا فلانة؟ فقالت: هل لك في فراشٍ طيب وعيشٍ رضي؟ فقال لها:

وَكَمْ ذِي مَعَاصٍ نَالَ مِنْهِنَّ لَذَةً فَلَمَّا تَخَلَّاهَا ذَاقَ الدَّوَاهِيَا
تَزُولُ مِلْدَاتُ الْمَعَاصِي وَتَنْقُضِي وَتَبْقَى تَبَاعَاتُ الْمَعَاصِي كَمَا هِيََا
فَوَاسِئُهَا وَاللَّهُ رَائٍ وَسَامِعٌ لِعَبْدٍ بَعِيْنِ اللَّهِ يَغْشَى الْمَعَاصِيَا

فصاحت المرأة وبكت وأعلنت توبتها لله ﷻ..

● كم من النساء من كنّ منغمسات في الشهوات، ولكن حين أقبلن على الله تاب الله عليهن!..

فهذا رجل متزوج بامرأة تقول له: ألا ترى أنني جميلة؟..

فقال لها: نعم.. قالت: لا يرى أحدٌ هذا الوجه إلا افتتن!..

فقال زوجها: إلا واحد.. قالت: ومن هو؟..

قال: عبيد بن عمر.. فقالت: فأئذن لي فلافتننه .

قال: قد أذنتُ لكِ!..

تُرى هل رأيتَ ديوثاً كهذا؛ يأذنُ لزوجته أن تفتنَ رجلاً؟!..

فأتت عبيد بن عمر كالمستفتية، وكان الرجل عابداً صالحاً؛ أخذ يجيبها، فإذا بها تكشف عن وجهها كأنه فلقة قمر وقالت: إني قد فُتنتُ بك فانظر في أمري!.

فقال لها: يا أمةَ الله إني سائلك عن شيء؛ فإن أنتِ صدقتيني نظرتُ في أمرِك.. أخبريني يا أمةَ الله لو أن مَلَكَ الموت أتاكَ ليقبض روحك، أكان يسرُّك أني قضيتُ لك هذه الحاجة؟.

قالت: اللهم لا.. اللهم لا..

قال: صدقتِ.. فلو أُدخلت في قبرك وأجلستِ للمساءلة، أكان يسرُّك أني قضيتُ لك هذه الحاجة؟.

قالت: اللهم لا.. اللهم لا..

قال: صدقتِ.. فلو أن الناس أعطوا كتبهم، ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بالشمال، أكان يسرُّك أني قضيتُ لك هذه الحاجة؟.

قالت: اللهم لا.. اللهم لا..

قال: فاتقي الله يا أمة الله! فقد أنعم الله عليك وأحسنَ إليك..

فبكت المرأة ورجعتُ إلى زوجها عابدة زاهدة!.

يا نفسُ توبي فإنَّ الموتَ قد حانا واعصي الهوى فالهوى ما زالَ فتانا
في كلِّ يومٍ لنا ميّتٌ نشيِّعُهُ نرى بمصرعه آثارَ موتانا



عندما يُبحرُ اليافعون والمراهقون في الإنترنت



الليلة
٢١٩

- لا تحدد أي لقاء وجهاً لوجه مع شخص تعرفت عليه بواسطة الإنترنت؛ ففي الإنترنت الكثير من الأجنبي، ومن المستحيل معرفة حقيقتهم، وفيما إذا كانوا يرغبون حقاً أن يكونوا لنا أصدقاء، أو يسببوا لنا المشاكل والويلات! .
- ولهذا فلن نوافق أبداً على لقاء أي شخص من الإنترنت وجهاً لوجه، وإذا ما عرض علينا الالتقاء فلنخبر أحد الوالدين .
- لا تكشف عن تفاصيلك الشخصية أو تفاصيل أفراد أسرتك للأشخاص الذين لا تعرفهم تماماً، فالاسم والعنوان، واسم المدرسة، وأسماء آبائنا وأمهاتنا وأماكن عملهم؛ هي تفاصيل شخصية يجب الحفاظ عليها .
- ادخل فقط إلى المواقع التي فحّصها أهلك، وسمحوا لك بالإبحار فيها .
- إذا وصلتك رسالة بالبريد الإلكتروني وسببت لك شعوراً مزعجاً، استدع فوراً أحد الوالدين أو شخصاً بالغاً تثق به، فهم يعرفون ما ينبغي عمله كي لا يتكرر الأمر .
- لا تكتب في الإنترنت أشياء مهيبة وجارحة قد تمس أحداً ما، مثلما أنك لا تريد أن تصلك رسائل مهينة! .
- لا تكشف لأي شخص، عدا الوالدين، كلمة السر الخاصة بك؛ فقد يستعملها ويسبب لك ولحاسوبك ضرراً بالغاً .
- لا تعطِ الإيميل الخاص بك لشخص لا تعرفه، فالإنترنت مليء بالغرباء

الذين لا نعرف حقاً مَنْ هم، وقد يرسلون لكم «إيميلات» تتضمن فيروسات أو أشياء مزعجة أو مخرّبة!

- لا ترسل صُورك بواسطة الإنترنت لأشخاص لا تعرفهم، فقد يستعملون الصورة الخاصة بك وينشرونها في مواطن غير محمودة.

- لا تفتح الإيميلات التي تصلك من أشخاص لا تعرفهم، فكثير من «الهاكرز» يحاولون إتلاف حاسوبنا ليل نهار؛ فإذا وَصَلَك «إيميل» من شخص لا تعرفه، فلا تفتحه واحرص على محوه فوراً، وبهذا تحمي نفسك وتحمي حاسوبك.

- لا تقم بتركيب برامج أو ألعاب غير قانونية؛ فقد تحتوي الكثير من البرامج والألعاب على فيروسات تلتف الحاسوب عند تركيبها.

- وأخيراً كلمة إلى من يدخلون المنتديات:

فهذا شاب يكتب كلمات، وهذه فتاة تنثر حروفاً، وتختلف عبارات المدح وصور الإعجاب، وينتهي الأمر بأنها خُدعت في قلمه، وخُذع هو في عفويتها الساذجة..

فيا أخي الشاب! ليس هذا هو الباب الصحيح للحياة الزوجية، اتركها حتى يأتيها مَنْ تُصَدِّقُ رغبته فيها..

واعزم على تنفيذ نيتك الشريفة بطريقة عفيفة، والله لن يخزيك أبداً.

وأنت يا أختي الفاضلة! لا تنخدعي بالكلام المعسول، ولا تفكري في البحث عن شريك حياتك على صفحات الإنترنت..

فهي أوهام وأوهام لن تجني سوى المصائب والآلام..





همسة لمن يتداول الصور الفاضحة

إليك أخي الحبيب! يا من ترسل على جوالك أو بالإنترنت صوراً لبناتٍ أو مشاهد عارية! ..

رسالة لك من القلب إلى القلب، علّها تبعث فيك مكامن الإيمان، فربما لا تدرك خطر تلك الرسائل، ولا آثارها! ..

ولكن بالله عليك أسألك أن تجيبيني:

أترضى لأمك وأختك مشاهدة تلك الصور؟! ..

أترضاه لزوجتك؟! ..

أليس المسلمون إخوانك؟! ..

أليست أعراضهم عرضك؟! ..

إنه شر عظيم لا ترضاه لنفسك! ..

ألا تعلم أن ما تقوم به من تبادل تلك الصور الفاضحة إنما هو سيئة جارية؟! (أي: إن إثمها وإثم من نشرها مستمر معك حتى تتوب إلى الله).

ألا تعلم أنك تتحمل آثام كل من شاهد هذه الصور التي قمت بإرسالها؟! ..

ألا تعلم أن رصيدك من السيئات يزداد بازدياد متبادلي هذه الصور حتى بعد مماتك؟! ..

ألا تعلم أن تبادل تلك الصور بين الناس بعد مماتك يسبب عذابك في القبر حتى قيام الساعة؟! ..

ألا تعلم أن الله ﷻ يغار، ومن غيرته أنه حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن؟! ..

بأي شيء تجيب ربك عندما يسألك عن (نشر الصور المحرّمة) يوم القيامة؟! ..

ألم يقل الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [التور: ٣٠]؟! .

ثم ألم يقل الرسول ﷺ: «اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم»^(١).

إن ما تقوم به إنما هو نشر للفساد، وإلهاء للناس عن ذكر الله، وأنت تعلم أن النظر سبب للزنى، فاحذر من الوقوع فيه، تذكّر أن من وقع فيه بسبب تلك الصور، فإثمه يقع عليك .

اصبر عن الحرام يمتّعك الله بالحلال . .

لا تقع في الحرام فتدفع الثمن حياتك وعمرك، وأعواماً مديدة من الألم والشقاء، وفي الآخرة عذاب مخلد في النار! . .

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [التور: ١٩] .

ثم إذا كنت بارعاً في استخدام الإنترنت؛ فلماذا لا تنصر دين الإسلام وتنكر المنكر أينما كان؟! ..

فرصتك الآن، فهل تفعل؟! ..



(١) صحيح الجامع: (١٠١٨).



إيَّاكَ والتسويِّف!

كلنا نسوّف في التوبة، ونقول: غداً أو بعد غد! ..
وننسى أن الحَجَرَ إذا دُحرج من عَلٍ، ولم يُوقفه شيء في القمة؛ فإن
انحداره سريع سريع! .. كلما أوغل في الهبوط، هوى وازداد غيًّا ..
كم أنت رائع إذا وجدتَ نفسك تقاوم هواك من أجل ربك جلّ في
علاه! ..

تبادر للتوبة والإنابة، كلما وقعت في ذنب ومعصية ..
وتلجأ إلى الله كلما أغلقت حولك الطرقات ..
لا تتيأس بحال من الأحوال، مهما رأيتَ نفسك تتعثر في كل مرة،
مهما رأيتَ نفسك تُهزم أمام إغراءات الشيطان! ..
لا تتيأس، اجمع ثيابك، انهض من عثرتك، وعُدْ إلى الله سريعاً ..
عُدِ المرّة تلو المرّة، وأطلِ الوقوف عند بابه ..
ابكِ على أعتابه، واعزم على ألا تعود إلى الوحل، وألا تسمح
للشيطان أن يخدعك ..
ثق أن الله يقبل من أقبل عليه، ولا يردُّ من وقف على بابه .. ولا تكن
كمن قيل فيهم:

تصلِ الذنوبَ إلى الذنوبِ وترتجي دَرَجَ الجنانِ لدى النعيمِ الخالدِ
ونسيّتَ أن الله أخرجَ آدمَ منها إلى الدنيا بذنبٍ واحدٍ

ذلك إنسان أصرَّ على أن يتمادى، وأعطى للشيطان فُسحةً في قلبه ليستولي عليه^(١) ..

يقول رسول الله ﷺ: «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين: التوابون»^(٢).

فكن من الصنف الراقي المتميز: «خير الخطائين» ..

لم يطالبك رسول الله ﷺ ألا تخطئ، بل طالبك أنك إذا أخطأت بادرت إلى التوبة سريعاً بلا تسويق، فإن فعلت هذا فأنت من «خير التوابين» .. ما أروعك عند ذلك! ..

ما الذي يحول بينك وبين ذلك الفضل العظيم؟! ..

تذكر قول ربك تبارك في علاه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فهنيئاً لك إذا قررت أن تصطلح مع ربك.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

- من أعطي الدعاء لم يُحرم الإجابة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

- ومن أعطي الشكر لم يُحرم الزيادة، لقوله تعالى: ﴿لِيَن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

- ومن أعطي الاستغفار لن يُحرم القبول، لقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩].



(١) خالد سالم، بتصرف.

(٢) صحيح الترمذي: (٢٤٩٩).



ثوبُ العيدِ

الليلة
٢٢٢

يروى أحد الشباب قصة حقيقية، فيقول: وقفتُ أنتظر صديق الطفولة «عبد الرحمن» في إحدى ليالي العشر الأواخر من رمضان، كنا في تلك الليالي نقضي الجزء الأكبر من الليل في الأسواق والشوارع.. .
وحين جلستُ في السيارة بجوار عبد الرحمن سألني: هل جهزتُ ثوباً جديداً للعيد؟! قلت: لا، قال: ما رأيك أن نذهب للخياط؟.. .
توقف بسيارته أمام الخياط، وقال له: نريد أن نفرح بالعيد، ونلبس الجديد.. . ضحك الرجل وأجاب: لماذا لم تأتِ مبكراً؟!.. .
أجاب عبد الرحمن: سنزيد لك في الأجرة.. المهم أن يجهز الثوب بعد غد.. .

وحتى قبيل الفجر ونحن لاهون ساهون غافلون! مضت الليلة كاملة لم نذكر الله تعالى فيها ولا مرة واحدة.. . ربما كانت ليلة القدر!.. .
حياة لا طعم فيها.. . ولجنا من المعاصي كل باب، وهتكنا منها كل حجاب، حسبنا الأمر دون حساب: إظهار للسرور والضحكات، وفي القلب حسراتٌ وحسرات.. . في كل ليلة نلتقي على المعاصي والذنوب، نوم طويل يمتد من الفجر حتى العصر.. . صيام بلا صلاة، وصلاة بلا قلب!.. .
ساعة الصيام التي أستيقظ فيها قبل المغرب كأنها أيام، أقطعها بالمكالمات الهاتفية العابثة، وبقراءة الصحف والمجلات.. .
وقبل أذان المغرب بلحظات اتصل بي أحد الأصدقاء أن «عبد الرحمن» مريض.. . قلت: لا، مساء البارحة كان بصحة وعافية.. . انتهت المكالمة، ويُرفعُ أذان العشاء.. . فإذا بالهاتف يناديني، إنه الشقيق الأكبر لعبد الرحمن، يخبرني بالخبر: مات عبد الرحمن!.. .

بُهِتُّ ولم أصدِّق! لا أزال أراه أمامي، وصوته يرنُّ في أذني، كيف مات؟! ارتطم وهو عائد إلى المنزل بسيارة أخرى.. نُقل إلى المستشفى، ولكنه فارق الحياة.. أذني لا تصدق ما تسمع، بل اليوم موعدنا في السوق «الفلاني»!.. بل وغداً موعد ثياب العيد!..

أيقظني من غفوتي وهزَّ جوانحي، أزال غشاوةً على عيني عندما قال: سنصلي عليه الظهر غداً.. أخبر زملاءك! انتهى الحديث..

تأكدتُ أن الأمر جدُّ لا هزل فيه، وأن أيام عبد الرحمن انقضت.. أمنتُ أن الموت حق، وأن غداً موعدنا هناك في المقبرة لا عند الخياط!.. لقد ألبس الكفن وترك ثوب العيد! قررتُ أن أذهب إلى منزل عبد الرحمن لأستوضح الفاجعة..

ركبت سيارتي فإذا شريط غناء في جهاز التسجيل.. أخرجته، فانبعث صوت إمام الحرم من المذياع يعطّر المكان بخشوعه وحلاوته.. أنصتُ بكل جوارحي، وأرهفتُ سمعي كأن الدنيا انقلبت، والقيامة قامت، والناس تغيرت.. أوقفتُ سيارتي جانباً أستمع وأستمع.. وكأني لأول مرة أسمع القرآن..

وعندما بدأ دعاء القنوت كانت دمعتي أسرع من صوت الإمام.. رفعت يدي تستقبل تلك الدموع، وقلبي يردد صدى تلك العبرات..

أعلنتُها توبة صادقة، وبدأتها بصحبة طيبة ورفقة صالحة.. مَنْ كرهتهم أصبحوا أحبَّ الناس إليّ، ومن استهزأتُ بهم هم أكرم الناس عندي... كنت على شفا جرف هارٍ، ولكن الله رحمني^(١)..



(١) الزمن القادم، للدكتور عبد الملك القاسم، بتصرف.



الليلة
٢٢٣

كيف أحافظُ على توبتي؟

كثيرون هم التائبون، ولكن قد يظلُّ هناك هاجس الخوف من العودة للمعصية!..

١ - تذكرُ دوماً أنَّ المعصية تؤثرُ في القلب، فأكثرُ من الاستغفار، يقول ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِّتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّاغِبُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]»^(١).

وقال الحسن رضي الله عنه: «الحسنة نورٌ في القلب، وقوَّةٌ في البدن، والسيئة ظلمةٌ في القلب، ووَهْنٌ في البدن».

والمعصية تؤثرُ على الرزق أيضاً، يقول ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»^(٢).

ولا تأمننَّ هجوم الموت عليك، فجددِ التوبة أولاً بأول، ليبقى قلبك صافياً نقياً.

٢ - حافظ على حدٍّ معيّنٍ من العبادات لا تهبط عنه بأيِّ حالٍ من الأحوال، من النوافل والأذكار.

٣ - ابتعد عن الأماكن التي تزيّن لك العودة إلى المعصية أو تذكرك بها، وقاطع كلَّ شخصٍ له علاقةٌ بها.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما أمر الله تعالى بشيءٍ إلا وأعان عليه، ولا نهى عن شيءٍ إلا وأغنى عنه».

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح: (٣٣٣٤).

(٢) الترغيب والترهيب، وإسناده صحيح: ٢٨٩/٣.

لا تقل لنفسك: أريد أن أدعوه للتوبة كما ثبت، فليس هذا وقته، وتخلّص من كلِّ الأشياء التي تعيد إليك الحنين إلى لذة المعصية.

٤ - التزم رفقة سالحة من الأصحاب الملتزمين بدينهم، الناجحين في دنياهم، فإنَّهم خير عونٍ لك ووقاية من العودة إلى المعصية، وقد تكون هذه الرفقة متمثلةً في فتاةٍ سالحةٍ تنزوّجها، تعينك على الطاعة، وتساعدك في التوبة.

٥ - تعلّم العلم النافع، واحضر مجالس العلماء ومحاضراتهم، واعمل على تطوير تخصّصك الأكاديميِّ وأدائك المهنيِّ.

أشغل عقلك بالقراءة النافعة في علوم الدنيا والآخرة، وخاصّةً كتب الرقائق وتزكية النفس.

٦ - برِّ والديك، وصلِّ رحمك، وساعد إخوتك الصغار على شؤون دراستهم وعبادتهم.

٧ - أشغل نفسك بما يفيد المجتمع من مشروعاتٍ للشباب المسلم، ورعاية الفقراء المسنّين.

٨ - تذكّر دوماً ذلك الموقف العظيم، فمن منا يدري إلى جنة أو إلى نار يصير؟! ..

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على القبر يبكي حتى تبتلّ لحيته، ثم يقول: لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي، لاخترتُ أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير! ..





الأمل نِعَمَ الرفيق للإنسان؛ يقوِّي عزمته، ويفتحُ أمامه آفاقاً فسيحة، ويخفف من آلامه ومتاعبه ..

فهل للطالب إلا رجاؤه بنجاحه؟! .

وهل للسجين إلا أمله في بلوغ حريته؟! .

وهل للصانع إلا أمله بقطف ثمار عمله؟! .

وقد نرى الأمل في ابتسامة مريض، أو كلمة حانية من طبيب، أو عودة بعد غياب طويل لحبيب ..

أو نسمعه في صرخة بطل عظيم، أو محسنٍ كريم ..

أو قد نراه مع إطلالة قمر، أو إشراقة شمس يوم جديد ..

الأمل قوة تنقلنا من كهوف الشك والخوف، إلى واحات الثقة والإيمان، ومن وديان اليأس الحالكة، إلى قمم الإيمان الضاحكة ..

وأحسن الآمال ما كان مبنياً على منطق معقول، وواقع مقبول، وجهدٍ مبذول .. وإلا كان خيالاً وسراباً لا يمكن إليه الوصول ..

ومع الحب والأمل تتجدد الحياة شوقاً إلى الوصول ..

فالأمل هو العجلة الأولى التي تدفع مسيرة الحياة؛ يقول أحد الحكماء: الأمل شجرة نرونها بالعمل والجد، ونحميها بالصبر والقوة ..

ويقول الحسن رضي الله عنه: ما أطال عبدٌ الأمل إلا أساء العمل.

ويوصي أحد الشعراء عند موته بالعمل قبل فوات الأوان، وقبل

الركون إلى الأمل:

يا أيها الناس كان لي أملٌ أعجَلَنِي عن بلوغه الأجلُ
 فَلَيَتَّقِ اللهُ رَبَّهُ رجلٌ أمكَنَهُ في حياته العملُ
 وإياك أن يلهيك الأمل عن عملك لآخرتك؛ يقول الله تعالى عمَّن ألهاه
 الأمل: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمْلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

يقول عباس محمود العقاد: «الأمل مخدِّرٌ لذيد ينساب في العروق
 كانسباب الوَسْن في الجفون»..

ولكن حذار من أن يخدعك الأمل فتغرق في غياهب الأحلام..
 يقول محمد رشيد رضا: الأمل كالحظ لا يتحقق بالأحلام، بل بتعبيد
 الطرقات (أي: بالأخذ بالأسباب والعمل بجِد ونشاط).

ويحدِّر الشاعر محمد إقبال أيضاً من اليأس فيقول: «ما سيطر اليأس
 على قلب إنسان إلا أقعده عن العمل، وشغَلَه بالألم عن الأمل».

وأخيراً: إذا أردت أن تجعل الأمل رفيقك..

فاتخذ من الأمل موعظة وحكمة..

ومن اليوم عملاً وجداً..

ومن الغد أملاً لمستقبل أفضل..



● أرسل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - قائد جيش المسلمين في معركة القادسية - رسولا إلى كسرى فارس؛ يعرض عليه الإسلام أو الجزية وإلا فالحرب؛ فماذا كان جوابه؟..

لقد حمل الرسول الذي جاء من عند سعد كيلاً مملوءاً بالتراب، وقال له: اذهب إلى سعد، وقل له: هذا جوابي!..

وحمل هذا الرجل الكيل، والتراب يتساقط على ثيابه وبدنه، وكسرى وحاشيته يضحكون منه ويسخرون..

ولما وصل إلى سعد، ما غضب سعد ولا حزن، بل رأى في ذلك الأمل المنتظر، فقال لأصحابه: «أبشروا فقد أعطاكم الله أرضه».. فحوّل بتلك الكلمات إحباطهم إلى ثقة وهمة، وبدّل يأسهم إلى أمل كبير بنصر الله..

وتمّ أمر الله، وأنجز وعده بالنصر لعباده الصالحين: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصفات: ١٧١ - ١٧٣].

● ولو أن أديسون، وستيفنسون، وجيمس واط؛ تسرّب اليأس إلى نفوسهم بعد أن فشلت تجاربهم مئات المرات، ورماهم الناس بالشذوذ وغرابة الأطوار، فكفّوا عن بذل الجهد والوقت والمال، وألقوا سلاحهم.. لما كان هناك آلات، ولا سفن بخارية، ولا ضوء كهربائي، ولا هاتف أو مذياع.

فالمثابر لا يتقهقر، بل إنه دوماً يتقدم.

● رُوي أن كسرى خرج يوماً يتصيد، فوجد شيخاً كبيراً يغرسُ شجرَ الزيتون، فوقف عليه وقال له: يا هذا! أنت شيخ هرم، والزيتون لا يُثمر إلا بعد ثلاثين سنة؛ فلم تغرسه؟..

فقال: أيها الملك زرع لنا مَنْ قبلنا فأكلنا، فنحن نزرع لمن بعدنا ليأكلوا.

فقال له كسرى: «زه».. وكانت عادة ملوك الفرس إذا قال الملك منهم هذه اللفظة أُعطي ألف دينار، فأعطاهما الرجل.

فقال له الرجل: أيها الملك إن شجر الزيتون لا يُثمر إلا في نحو ثلاثين سنة، وهذه الزيتون قد أثمرت في وقت غراسها!.

فقال له كسرى: زه.. فأعطي ألف دينار..

فقال له: أيها الملك شجر الزيتون لا يُثمر إلا في العام مرة، وهذه قد أثمرت في وقت واحد مرتين!.

فقال له: زه.. فأعطي ألف دينار أخرى، وساق جواده مسرعاً، وقال: إن أطلنا الوقوف عنده نفد ما في خزائنا!..

● ولا تئس في حياتك مهما اسودّت الأمور وأظلمت الطرقات، وحتى لو كنت - لا سمح الله - مصاباً بمرضٍ عضال.. يقول الشاعر:

كم مريضٍ قد عاشَ من بعد يأسٍ بعد موتِ الطبيبِ والعُوادِ
قد يُصادُ القطا فينجو سليماً ويحلُّ القضاءُ بالصيادِ
(والقطا: طائر صغير).





- كن صادقاً، يَأْتَمَنُكَ الناس على أسرارهم، فإذا تَعَوَّدُوا الصّدق منك وثقوا بك وأحَبُّوك .
- كن أميناً، فالأمانة تَقَرِّبُ الناس إليك، وتجعلك تصعد سريعاً في سَلَمِ الحياة، وتكسب رضا الخالق رَبِّكَ .
- احترم الآخرين، فاحترامك للجميع يبدأ من لسانك، أشعر الناس باحترامك لهم ينجذبوا إليك .
- احذر القيل والقال والتحدث في أعراض الآخرين، فهذا ما سينفّر الناس منك .
- حافظ على الاعتناء بملبسك ومظهرك، فالأناقة والنظافة هي الطريق السريع إلى اجتذاب الناس إليك وتأثرهم بأفكارك .
- لا تكن بخيلاً، يهرب الناس منك .
- كن عاملاً منتجاً في أي عمل شريف، فالعمل يُضفي وقاراً على الإنسان . . . وكن طهوراً نظيفاً بعرقك وجهدك، مهما كان نوع العمل .
- كن عبداً شكوراً لله أولاً، ثم اشكر من أسدى إليك معروفاً، يلتفت الناس حولك، ويمنحونك حُبهم وتقديرهم .
- اقنع بما حباك الله من نِعَم، وازهد بما في أيدي الناس تكبر في عيون الناس، فالناس لا يأمنون مَنْ كان جشعاً .
- كن جواداً خيراً، وساعد من تستطيع قضاء حوائجه .
- كن واثقاً بالله أولاً ثم بنفسك ثانياً، فثقتك في نفسك تُسَمِّد من ثقتك بالله، وإياك أن تغترّ بما أعطاك الله تكن من الجاحدين الخاسرين .

- ضع لنفسك هدفاً محدداً، وثابر ليل نهار لتعمل على تحقيقه .
- كن متفائلاً، فالأمل هو المحرك الأساسي لطاقة الإنسان، والناس يميلون إلى المتفائل مهما اسودّت الحياة في عينيه .
- ثقّف نفسك، فالمثقف يحظى دائماً باحترام الجميع، وينال تقديرهم واهتمامهم .
- كن مَرِحاً باعتدال، ولا تكن مَرِحاً على حساب الآخرين .
- إن أخطأت اعترف بخطئك، فهذا يزيدك ولا يُنقصك، والاعتراف بالخطأ فضيلة، وهي سِمةُ العقلاء والعظماء . .
- ابتعد عن الغرور والكبرياء والتفاخر، وكن متواضعاً ودوداً يحبك الناس .
- تهادوا تحابوا، فالهدية طريق لمحبة الآخرين، ولكن ليست للرشوة والتزلف .
- حافظ على مواعيدك؛ فاحترام الوقت والمواعيد طريق لتقدير الناس لك، وانجذابهم نحوك .
- اقترب من ربك، وحافظ على عباداتك في أي مكان، وإياك أن تستحيي من إقامة شعائر الإسلام - وخاصة إذا كنت في بلد غير مسلم - يزداد احترامهم إليك .





كيف تؤثر في الآخرين؟

- إذا أردت كسب ثقة الآخرين بك، وأن تؤثر فيهم بما تقول أو تفعل؛
فإليك بعض النصائح التي لا بدّ منها:
- ١ - لا تقل قولاً قاسياً أو فظاً، وإياك أن تُستثار في ردّة فعلك وخاصة عندما تكون مُنهكاً تعباً.
 - ٢ - اصبر على ما يقولون، ففقدان الصبر قد يجعلنا نقول ما لا نقصد..
وما أكثر المواقف التي تمتحن قدرتنا على الصبر، فقد تنتظر شخصاً
تأخر عن مواعده، أو تستمع طويلاً لطفل يُفرغ عواطفه وأحاسيسه..
 - ٣ - حافظ على ما قطعته من وعود؛ فما أكره شيئاً أشد من خُلف المواعيد،
أليس هو ثلثُ النفاق؟!..
 - ٤ - أحسن النية في الآخرين، ولكن بحكمة، فلا تفترض حسن النية عند
مخادع كاذب غشاش..
 - ٥ - اعرف كيف يفكر الآخر قبل أن تجعل الآخر يفهمك، أشعره أنك
تفهمه وأنك تستوعب ما يقول..
 - ٦ - إذا أنت أخطأت فاعتذر للآخر قبل أن يُعلمك أنك أخطأت؛ لا تقدّم
أعداراً بل كن قوياً واثقاً من نفسك أنك حتى لو أخطأت فأنت قادر
على الاعتراف بالخطأ.
 - ٧ - إذا أساء إليك شخص فكن المبادر لإصلاح ما فسد من علاقة بينك
وبينه، افعل ذلك دون أن يكون في قلبك حقد أو غضب.
 - ٨ - لا تجادل في الحق؛ فالحق فوق كل شيء، وإذا ما جادلك أحد فلا
تفعل مثله، دعه يتكلم ويتكلم حتى يُفرغ جعبته..

- ٩ - سلّط الأضواء على الجوانب التي تجمع بينك وبين الآخرين من أفراد عائلتك أو أصدقائك أو العاملين معك .
- ١٠ - تقبّل الشخص الآخر كما هو؛ فأول خطوة لتغيير الآخر هو أن تتقبّله كما هو، فإذا لم تتقبّله بدايةً فإنه سيتوقف عن استماعه لك . .
- ١١ - كن مستعداً لأي قرار في قلبك وعقلك قبل لسانك وفِعْلِكَ، قرّر أن تستمع لأبنائك حين يأتون من المدرسة، أو لزوجك حين تلقاها في المساء .
- ١٢ - جرّب قدراتك على إدخال السرور على الآخرين، فما أجمل أن تحافظ على تلك القدرات بكفاءة عالية! .
- ١٣ - تجنب أن تحيل الخلاف إلى عنف، والنقاش إلى جدال، والحوار إلى مواجهة . .
- ١٤ - إياك والكلمة الساخرة، أو العبارة الجارحة، أو النقد اللاذع .
- ١٥ - اختر الوقت المناسب للنصح والإرشاد؛ فالناس يستمعون إليك حينما لا يشعرون أنهم مهدّدون، أو أنك غاضب منهم .
- ١٦ - لا تستسلم ولا تيأس؛ فإن ذلك يُفقد ثقة الآخرين بك إلى غير رجعة . .
- ١٧ - كن حاضراً عندما يسألك الآخر نصيحة وهو على مفترق طرق لا يدري أيّاً يسلك . .
- فكّر بهدوء وروية؛ فإذا كنت لا تستطيع نصحه فاعتذر إليه برفق، وإياك أن تُسرّع في نصحه دون أن تعلم خبايا الأمور . .





فَنُ التَّعَامُلِ مَعَ الْآخِرِينَ

- لا تسخر من الآخرين، وخاصةً من تعتقد أنهم أقلُّ منك من البسطاء الطيبين، فربما تكون منزلة خادمك عند الله أسمى وأرفع من كثير من علياء القوم؛ والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].
- لا تقلل من شأن أحلام الآخرين وطموحاتهم، فالدنيا بدونها رحلة جافة ومملة.
- فكّر كثيراً، واستنتج طويلاً، وتحدّث قليلاً، ولا تُهمل كلّ ما تسمعه، فمن المؤكد أنك ستحتاجه في المستقبل، فالكلمة الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها كان أحق بها وأهلها.
- لا تتردد في أن تقول: «آسف» لمن أخطأت في حقه، انظر إلى عينيه وأنت تنطق كلمة «آسف» ليقرأها في عينيك ويسمعها بأذنيه!..
- لا تحكم على شخص من حكمك على «أقربائه»، فالإنسان لم يختر والديه؛ فما بالك بأقربائه؟!..
- عندما لا تريد الإجابة على سؤال، ابتسم للسائل قائلاً: هل تعتقد أنه فعلاً من المهم أن تعرف ذلك؛ والله تعالى يقول: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].
- عندما تخسر جولة في رحلة الحياة، انهض فوراً مستبشراً أنها أولى درجات النجاح.
- عندما يرنُّ الهاتف ابتسم وأنت تمسك السماعة، فإن محدّثك على الطرف الآخر، سيرى ابتسامتك من خلال نبرات صوتك، وغالباً ما تكون نهاية المكالمة في صالحك.

- إذا أحببتَ شخصاً فإذهب إليه وأخبره أنك تحبه، وتأكد من أنك تعني ما تقول فعلاً، لأنه سيعرف الحقيقة بمجرد النظر في عينيك، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «إذا أحبَّ أحدكم أخاه فليُعلمه، فإنه أبقى في الألفة، وأثبت في المودة»^(١).
- لا تدع الأشياء الصغيرة تدمر صداقتك الغالية مع الآخرين، فالصداقة الحقيقية تاجٌ على رؤوس البشر لا يدرك قيمته إلا سكان الجدران الخالية والقلوب الخاوية.
- تزوج مَنْ تجيد المحادثة، فعندما يتقدم بك العمر ستعرف أهمية ذلك، إذ يصبح الحديث مع من تحبُّ قمة أولوياتك واهتماماتك!
- ضع نفسك في مكان الآخرين، ثم أسمعهم من الكلام ما تحبُّ أن تسمعه، وتصرف معهم بما تحبُّ أن يعاملك به الآخرون.
- احتفظ بهدوئك ورباطة جأشك عندما يستفزُّك شخص ما.
- إذا لم تكن الأجواء مناسبة للحديث في موضوع، فيفضل إنهاء الحديث بلباقة وتأجيله لوقت آخر.
- كن كريماً بالميسور وإن قلَّ؛ تحتلُّ أعلى المنازل في قلوب الناس.
- لا تتكلف في تعاملك مع الآخرين، وتوخَّ البساطة وعدم التعقيد.



(١) صحيح الجامع: (٢٨٠).



هل أنت مُحاورٌ جيّدٌ؟

لكلِّ حوارٍ ناجحٍ أصولٌ وقواعدٌ، تعلّم فنون الحوار لتكون من المحاورين الناجحين:

- ١ - قدّم التحية لمن تحاوره، وبروحٍ مرحّة، عرّف بنفسك وأين تعمل.
- ٢ - استخدم نبرة صوت هادئة، فمزاجك ينبغي ألا ينعكس على صوتك أثناء الحوار.
- ٣ - استخدم «اسم» من تحاوره في أول عشر ثوانٍ، وانتبه إلى لقبه الصحيح ومركزه.
- ٤ - دع فقرتك الافتتاحية، تسترعي انتباه من تحاور!.
- ٥ - تحدّث بشكل طبيعي ولا تتصنع أو تتكلف الكلام.
- ٦ - تجنب عبارات الأوامر المباشرة: يجب عليك القيام بالتالي..
- ٧ - زن الكلمة قبل أن تنطق بها!.
- ٨ - لا تُجرِ محادثةً هاتفيةً مع زميلك وأنت في حوارٍ مع شخصٍ آخر.
- ٩ - لا تتناول الطعام والشراب أثناء الحوار، ولا تتحدّث مع الآخر وفمك مشغول!.
- ١٠ - إذا كنت مستعجلاً اعتذر عن بدء الحوار، وعدِّ الشخص الآخر بمعاودة الاتصال به.
- ١١ - تجنب استعمال ضمير المتكلم (أنا).
- ١٢ - استخدم عبارة: (هلا تفضلتم بعمل كذا) لتقليل الإحباط، وعبارة: (أنا سوف أقوم بكذا) لبناء الثقة.

- ١٣ - قدّم «سبب اللقاء» أولاً لتوفير الوقت .
- ١٤ - استعمل الكلمات الإقناعية: (بحث جديد، أو شيء مجرب وفعال . . . إلخ).
- ١٥ - لا تقل لمحاورك: إن كلامه (كذب) حتى ولو كنت متأكداً، بل استخدم عبارة (كلامك ربما تنقصه الدقة)!
- ١٦ - احتفظ بوقارك وكن هادئاً متزناً في حوارك .
يقول الدكتور مصطفى السباعي رَحِمَهُ اللهُ:
احتفظ بوقارك في أربعة مواطن:
- في مذاكرتك مع من هو أعلى منك . .
 - وفي تعليمك لمن هو أكبر منك . .
 - وفي صمتك مع من هو أقوى منك . .
 - وفي مناقشتك مع من هو أسفه منك .
- ١٧ - أكد في ختام حوارك على الأعمال التي تريد أن تُنجز، وتحديد مسؤولية من سينجزها .





كُنْ حَكِيمًا

الليلة
٢٣٠

- الحكمة مصباح يهديك حتى في وضوح النهار، وهي ضالة المؤمن يأخذها أنى كانت: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].
- يقال: إن الحكمة أرادت أن تبني لها بيتاً، فلم تجد أرضاً للبناء مثل الصمت والتأمل..
- فأول مراتب الحكمة: أن تعرف كيف تمارس الصمت.
- وثانيها: أن تعرف كيف تتكلم قليلاً، وإذا تكلمت فكيف تعدل.
- وثالثها: إذا كان كلامك كثيراً: أن تعرف كيف لا تسترسل وكيف لا تسيء..
- ومن الحكمة: أن يتجاهل الإنسان سقطات الآخرين؛ فالحكيم يغفر زلة الجاهل، وترفّع عن الضغائن والأحقاد..
- والحكيم يستفيد من أعدائه أكثر مما يستفيد الجاهل من أصدقائه.
- سئل لقمان الحكيم: ممن تعلّمت الحكمة؟
- قال: من الجهلاء؛ كلما رأيت منهم عيباً تجنّبته.
- وسئل أحد الحكماء: ممّن يجب أن تؤخذ مبادئ الحكمة؟ فقال: من الأعمى؛ لأنه لا يضع قدمه على الأرض حتى يستوثق من موضعه بعصاه.
- فلا تسرع بالحكم على الأشياء حتى تتيقّن من حقيقتها؛ فكثيراً ما نرى الأشياء على غير حقيقتها؛ لأننا نكتفي بقراءة العناوين ولا ندخل في تفاصيل القضية.

● قال لقمان الحكيم لابنه :

يا بني لقد جمعتُ لك حكمتي في ست كلمات :

- اعمل لدنياك بمقدار مقامك فيها .
- واعمل للآخرة بمقدار بقائك فيها .
- واعمل لله بمقدار حاجتك إليه .
- واعمل من الذنوب بقدر ما تطيق من العقوبة .
- وإذا سألتَ فاسأل من لا يحتاج إلى أحد .
- وإذا أردتَ أن تعصي الله فاعصه في مكان لا يراك فيه . .

● وقال أحد الحكماء :

لا تفعلُ سبعاً فتسمع سبعاً :

- لا تتدخل فيما لا يعنك ؛ فتسمع ما لا يرضيك .
- ولا تتكلم وأنت مُغضب ؛ فتسمع ما يزيد غضبك .
- ولا تمدح مغروراً ؛ فتسمع منه ما فيه احتقارك .
- ولا تشكُ إلى مَنْ لا يغارُ عليك ؛ فتسمع منه ما يزيد من آلامك .
- ولا تُبدِ سُخْطك على جاهل ؛ فتسمع منه ما يزيدك سُخْطاً .
- ولا تنصَح من يستهين بك ؛ فتسمع منه ما يهينك .
- ولا تعظُ مفتوناً برأيه ؛ فتسمع منه ما يُزري برأيك .





حَرَارَةُ الْمَالِ

الليلة
٢٣١

- المال مصدر كل خير، ومصدر كل شرّ.
ولا خير في المال إلا مع البذل.
يقول الدكتور رضا عواضة:
إن رجلاً بلا مال رجل فقير، ولكن أفقر منه رجل ليس له إلا مال!..
والمال سماً إن كنزته بقي سماداً، وإن نثرته أخصب وأنتج خيراً..
يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].
- يقول أحد الحكماء:
المال لا يخلو صاحبه من ثلاث خصال:
- إما أن يكسبه من غير حِلِّه (فلا تجعل مالك إلا حلالاً)..
- وإما أن يمنعه من حَقِّه (فإياك أن تحرم الفقراء من زكاة مالك)..
- وإما أن يشغله جمعه عن عبادة ربه (فلا تُفْنِ نفسك في جمع المال
فتنشغل به عن الله).
واجعل شعارك دوماً قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ
وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القَصَص: ٧٧].
- يقول سعيد بن المسيب:
«لا خيرَ فيمن لا يكسب المال ليكفَّ به وجهه، ويؤدي به أمانته، ويصل
به رَحِمَه».
- فالمال ابتلاء من الله يُغشي عين صاحبه عن رؤية كثير من الحقائق التي

يراها أصحاب البصائر، وقد يودي بصاحبه إلى التهلكة تحت تأثير تخديره للعقول..

- وحرارة المال تلهب القلوب، لا سيما إذا أوشكت الأيادي على لمسها، فحينئذ قد تطير عقول، وتفسد ضمائر، ولا يسلم منها إلا من رحم ربك..

- وقليلون هم الذين لا يصاحبهم الشعور بالاستغناء عن الناس عندما تُقبل الدنيا عليهم..

والغني هو الغني بما في يده عمّا في أيدي الناس، والفقير الحقيقي هو من لا يُقنعه في الحياة مُقنع.

- يقول المنفلوطي رَحِمَهُ اللهُ:

«أنا لا أغبط الغني على غناه إلا في موطن واحد:

أغبطه إن رأيتُه يُشبع الجائع، ويواسي الفقير، ويعودُ بالفضل من ماله على اليتيم والأرملة، ويمسح بيده دمعة البائس والمحزون..

ثم أرثي له بعد ذلك في جميع مواطنه الأخرى...».





هَلْ طَعَامُكَ طَيِّبٌ؟

رياح الفساد عبثت بقلوب الكثير من المسلمين، فكثرت المطاعم والمظالم بين القريب والقريب، وامتلات بالشكاوى والدعاوى المحاكم.. وتخاصم الأخ وأخوه، والابن وأبوه، وارْتُكبت من خلفها جرائم! .

تسابقوا في جمع المال من حلال ومن حرام، وتنافسوا على الأراضي والضياع، وانعدمت الثقة بين أقرب المقرَّبين..

يدفع الرجل أموالاً لأخيه، فإذا به يُنكرها بعد سنوات..

ويطعم الابن بأموال أبيه فيحجُرُ عليه أو يُجبره على أن يتخلَّى عن أرضه وماله..

وكثير من المسلمين زهَّادٌ في المساجد، فإذا خرجوا منها أصبحوا وحوشاً في المطاعم..

أين هذا من أخلاق القرآن؟! أين هذا من أخلاق حبيبنا محمد ﷺ؟! .

أهكذا علَّمنا القرآن أن لا نفرِّق بين حق وباطل، وبين حلال وحرام؟!..

من أجل ماذا يختصمون؟!..

أما فكَّر أحدهم أن تلك الملايين التي يكسبها حراماً ستكون عليه وبالاً في الآخرة؟!..

أما فكَّر أن أخاه المظلوم سيأخذ بعنقه يوم القيامة، ولن يستردَّ مظلمته فحسب، بل سيُلقي بالظالم في درك جهنم؟!..

أمن أجل دراهم معدودات يرى المرء نفسه في المحاكم خصماً

لأخيه، أو جاره، أو أمه وأبيه؟! كيف يرضى هذا المسلم أن يأكل الحرام ويعيش في الحرام؟! ثم تأتيه المنية فجأة فلات ساعة مندم! .

إلى متى ما نحن فيه؟! إلى متى التخاصم والتنازع حول الأموال والضياع؟! ألا يعرف كل إنسان حقه؟! ..

ولكن الشيطان يسوّل لهم تلك الأموال، يمنيهم بالبيوت والقصور، ويغريهم بما سيلقي بهم في نار جهنم! .

الم يقل الرسول المصطفى ﷺ: **«يا سعد! أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة»**^(١) . . فكيف يكون ما نأكل وما نشرب من حلال؟ كيف يكون ما نكسب مالاً طيباً مباركاً؟ .

فلينظر كلُّ إلى ماله: من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ ..

فَمَنْ كان ماله من الربا أو من اعتداء على حقوق الآخرين؛ فماله في النار .

ومن حصل عليه من الرشاوى واختلاس أموال الدولة؛ فماله في النار .

ومن أتاه المال من غش وخداع، أو تدليس وتغدير؛ فماله في النار .

ومن كسب المال من بيوع محرمة شرعاً، أو احتكار لأقوات الناس؛

فماله في النار .

ثم لننظر هل أدينا زكاة أموالنا؟ .

هل تصدّقنا بما تجود به الأنفس وما تطمح إليه من ثواب؟ ..



(١) ضعيف الترغيب، للألباني: (١٠٧١) .



أَيْنَ تُنْفِقُ مَالَكَ؟

الليلة
٢٣٣

يقول لقمان الحكيم:

«يا بني! لا تضيع مالك وتصلح مال غيرك، فإن مالك ما قدمت لنفسك، ومال غيرك ما تركت وراء ظهرك» .
فلا تذهب نفسك على المال حسرات .

ويقول آخر:

«الفرق الوحيد بين الفقير وصاحب المال: أن الفقير يتعَبُّ بسبب وجبته اللاحقة، أما الغني فيتعب بسبب وجبته السابقة» . .

فلا تجعل أكبر همك جمع المال لتكون من أغنى الناس، وإياك أن يكون مالك من حرام . .

لا تخش الفقر؛ فإن الله هو الذي تكفل برزق عباده، لا يستثني منهم واحداً . .

ومن يُنْفِقِ الساعاتِ في جمع ماله مخافة فقرٍ فالذي فَعَلَ الْفَقْرُ ورضي الله عن ابن مسعود حيث يقول:

«ما مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَمَلَكَ ينادي: يا بن آدم! قليلٌ يكفيك خيرٌ من كثير يطغيك» .

وكثيرون هم الذين أصيبوا بخسارة مالية في الأزمة العالمية، وقليلٌ مَنْ تمكَّن من الخروج من أزماته فانفرجت أساريه . .

وليسأل أولئك الذين خسروا جزءاً من أموالهم: هل أنفقوا في سبيل الله عُسْرَ ما خسروا من أموال؟ . .

وماذا لو كانت تلك الخسارة في الآخرة؛ حيث لا عودة ولا مجال
لفرصة أخرى؟! .

يقول ﷺ: «نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»^(١) .

أما الرجل الخبيث فينفقه في خبائث الأمور .

يقول الإمام الحسن رضي الله عنه :

إذا أردت أن تعرف من أين أصاب الرجل ماله؛ فانظر فيم أنفقه، فإنَّ
الخبيث يُنْفِقُ فِي السَّرْفِ . .

ويقول المثل: من كان يؤمن بأن المال هو كل شيء؛ يفعل أي شيء
للحصول عليه .

ولا تكن عبداً للمال؛ فمتى دخل قلب الإنسان التعبُّدُ للمال، خرج
منه الدين والإيمان :

المالُ مولاك ما أمسكتَهُ طمعاً فَأَنْفَقَهُ فِي الْخَيْرِ تُصْبِحُ أَنْتَ مَوْلَاهُ
يقول أحد الحكماء :

«الذهب هو تذكرة عالمية تمكنك من الذهاب إلى حيث تشاء إلا إلى
السماء، وتمكنك من حيازة كل شيء إلا السعادة!» .



(١) صحيح الأدب المفرد، للألباني، رقم (٢٢٩) .



كأنني أكلت!

الليلة
٢٣٤

● هل سمع أحدكم بمثل هذا الاسم الغريب (كأنني أكلت)؟ .
هذا هو اسم مسجد صغير في اسطنبول، والاسم باللغة التركية
«صانكي يدم» أي: (كأنني أكلت)!.
ووراء هذا الاسم قصة طريفة؛ فقد كان يعيش في اسطنبول شخص
ورع اسمه: خير الدين أفندي .
وكان صاحبنا هذا عندما يمشي في السوق، وتتوق نفسه لشراء فاكهة
أو لحم أو حلوى؛ يقول في نفسه: «صانكي يدم» (كأنني أكلت)، ثم يضع
ثمن تلك الفاكهة أو اللحم أو الحلوى في صندوق له . .
ومضت السنون وهو يكف نفسه عن كل لذائذ الأكل، ويكتفي بما يقيم
أودّه فقط! .

وازدادت النقود في صندوقه، حتى استطاع بهذا المبلغ القيام ببناء
مسجد صغير في محلته . . ولمّا كان أهل منطقته يعرفون قصة هذا الشخص
الورع الفقير، وكيف استطاع أن يبني هذا المسجد؛ أطلقوا على المسجد
اسم «مسجد صانكي يدم» (مسجد كأنني أكلت) .

كم من المال سنجمع للفقراء والمحتاجين! وكم من المشاريع الإسلامية
سنشيد! وكم من فقير سنسد جوعه لو أننا اتبعنا نهج ذلك الفقير الورع، وقلنا
كلما دعتنا أنفسنا لشهوة زائدة على حاجتنا: (كأنني أكلت)^(١) . . .

لا تقل: لا أستطيع أن أفعل، بل تستطيع أن تفعل!
فإن لم تكن بئراً، فكن دلواً . .

(١) أورخان محمد علي، روائع من التاريخ العثماني .

وإن لم تكن دلوًا، فكن حبلًا .
ولكن لا تكن حصاةً تعكّر طمأنينة الماء !.

● يقول أحد الحكماء :

من عجز عن ثمانية فعليه بثمانية أخرى لينال فضلها :

- من أراد فضل صلاة الليل وهو نائم؛ فلا يعصِ بالنهار .
- ومن أراد فضل صيام التطوع؛ فليحفظ لسانه عمًا لا يعنيه .
- ومن أراد فضل العلماء؛ فعليه بالتفكير .
- ومن أراد فضل المجاهدين وهو قاعد في بيته؛ فليجاهد الشيطان في نفسه .
- ومن أراد فضل الصدقة وهو عاجز عنها؛ فليعلم الناس ما سمع من العلم .
- ومن أراد الحج وهو غير مستطيع؛ فليلزم الجماعة .
- ومن أراد فضل العابدين؛ فليصلح بين الناس، ولا يوقع العداوة .
- ومن أراد فضل الزاهدين، فليرض لأخيه ما يرضى لنفسه .

● يقول الدكتور رضا ديب عواضة :

- أنت شابٌ بقدر ما أوتيت من إيمان . .
- وكهلٌ بقدر ما مُنيت به من شك . .
- وشيخٌ بقدر ما أُصبت به من ضعف . .
- وهَرِمٌ بقدر ما ابتليت به من يأس . .
- وفتىٌ بقدر ما تمتعت به من قوة ومعرفة . .
- وعظيمٌ بقدر ما تحليت به من نبل وتسامح وعلو في الهممة . .
- وبطلٌ بقدر ما تسلحت به من شجاعة حكيمة وبعُد نظر وحسن تصرف . .



لَذَّةُ الْإِحْسَانِ

الليلة
٢٣٥

ما من لذة يلتذُّ بها الإنسان في حياته إلا ويشوبها الكدر، إلا لذة الإحسان؛ فإنها متعة في الدنيا وجزاء عظيم في الآخرة، فالصدقة الجارية هي التي تقدّمها في حياتك، ويستمر نفعها بعد مماتك لفترة من الزمن.. فحفر الآبار، وبناء المساجد أو دور الأيتام ومدارس تحفيظ القرآن؛ كلها من الصدقات الجارية.. والرسول ﷺ يقول: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً نشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته»^(١).

فيا من أنعم الله عليك بالمال الوفير؛ أتريد أن تحيا غنياً في هذه الحياة الدنيا، فقيراً في الآخرة؟! .

فليس كل ما تملكه من ثروات هو مالك الحقيقي! ألم ينبّه على هذا النبي المصطفى صلوات ربي وتسليماته عليه: «يقول العبد: مالي مالي.. إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فافتنى (أي: ادّخر ثوابه في الآخرة)، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركة للناس»^(٢).

ولقد جعل الله لك من ثلث مالك ما تنتفع به بعد الممات؛ يقول ﷺ: «إن الله ﷻ أعطاكم عند وفاتكم ثلث أموالكم زيادة في أعمالكم»^(٣).

وقد سارع صحابة رسول الله ﷺ إلى اتخاذ الوقف لتستديم حسناتهم

(١) صحيح الجامع: (٢٢٣١).

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح الجامع: (١٧٢١).

بعد وفاتهم؛ يقول جابر رضي الله عنه: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو مقدرة إلا وقَفَ.

ولا يستوي من قدّم لنفسه وهو في صحة وعافية، ومن قدّم عند سكرات الموت!.

قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: «أن تصدّق وأنت صحيح حريص، تأملُ الغنى وتخشى الفقر، ولا تُمهّل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان»^(١).

فقم بزيارة أحد مكاتب المؤسسات الخيرية الموثوقة فسترى عندهم العديد من مشاريع الصدقة الجارية.

شارك في بناء مسجد في دول شرق آسية أو إفريقية.. ادفع ثمن مصاحف توزع في الدول الإسلامية البعيدة، أو في بلدان الأقليات الإسلامية.. احفر بئراً لك في مجاهل إفريقية يشرب منه آلاف الناس..

يقول أبو سليمان الداراني: **إني لأُلْقِمُ اللقمةَ أخاً من إخواني، فأجدُ طعمها في حلقي!..**

يروى أن «غاندي» كان يجري ليلحق القطار، وقد بدأ القطار يتحرك، سقطت إحدى فردتي حذائه عندما كان يصعد القطار، فما كان منه إلا أن رمى بالفردة الأخرى بجوار الفردة الأولى على سكة القطار! تعجّب مَنْ حوّل من صنيعه.. فلماذا رميت الفردة الأخرى وأصبحت حافيي القدمين؟! قال: أحببتُ للفقير الذي سيجد الحذاء أن يستفيد منه، فيجد فردتي الحذاء معاً، فلو وجد فردةً واحدةً لما استفاد من الحذاء..



(١) رواه البخاري.



كان هارون الرشيد مرةً ينظر إلى السماء، فقال للغيمة المارة في السماء: أمطري أنني شئت؛ فإن خراجك سيأتيني ولو بعد حين!.. فتضحكُ زوجه زبيدة واثقة من قوة سيف الحق على جبروت الباطل، وتحمد الله بأن منَّ عليها أن تعيش في عصر العظماء.

تزوجت زبيدة بنت جعفر المنصور من ابن عمها هارون الرشيد سنة (١٦٥هـ)، وأنجبت له «الأمين» الخليفة الهاشمي الوحيد في بني العباس.

كانت لزبيدة حظوةٌ قلَّ أن تنالها امرأةٌ عبر العصور، فقد نَعِمَتْ بعيشة الأميرات المدللات بين كنف جدِّها المنصور وعمِّها المهدي، ثم زوجها هارون الرشيد.. إلى جانب هذا الترف كانت زبيدة مثقفة واعية، وفقية عابدة، وكان لها مئة جارية كلهن يحفظن القرآن.. وكان يُسمع لهن دويٌّ كدوي النحل، وقد جعلت لكلِّ منهن وِرداً يومياً بقراءة عُشر القرآن.

سَخَّرت مكانتها لأعمال البر، وسابقت به أكابر الرجال.. يروى أنها حجَّت ذات مرة إلى بيت الله الحرام، ولمست ما يلاقيه الحجاج وأهل مكة من المشاق في الحصول على ماء الشرب.. فدعتُ خازن مالها وأمرته أن يدعو المهندسين والعمال ليصلوا بين منابع الماء من «حنين» حتى مكة بمسيرة عشرة كيلومترات، حتى فاض الماء يحمل معه اسم «زبيدة» في صدقة جارية تجاوز عمرها مئات السنين، تحمل الخير لحجاج بيت الله الحرام، والحسنات الدائمة لزبيدة صاحبة هذا المشروع العظيم.. كما أمرت بتمهيد الطريق الذي يصل بين العراق ومكة، وحفرت له الآبار، وشيدت له المنازل والدور بما يُعرف باسم «درب زبيدة»، وقد بلغت نفقات مشروعها ملايين الدراهم^(١).

(١) إيمان الوزير، زبيدة الخير، بتصرف.

فما أجمل أن يصبح المال نعمة بين يدي صاحبه، يحمل له الثواب إلى قبره كل يوم! .

أنجبت زبيدة من الرشيد ابنها «محمدًا الأمين» . . وكانت تريد أن يتولى ابنها الأمين الخلافة بعد أبيه، لكن هارون الرشيد كان يرى أن المأمونَ (ابنه من زوجة أخرى) أحقُّ بالخلافة لذكائه وحلمه . .

لكن زبيدة لم توافق على ما كان يريده الرشيد، فغضبت منه وعاتبته، فقال لها الرشيد: ويحك إنما هي رعاية من استرعاني الله تعالى مطوِّقاً بعنقي، والخلافة لا تصلح إلا لمن كان لها أهلاً .

أجرى هارون الرشيد اختباراً بين الأمين والمأمون، فاستدعى المأمونَ أولاً، ولما وصل إلى باب المجلس سلّم على أبيه، ثم وقف مطأطئ الرأس حتى أذن له الرشيد بالجلوس والكلام . . استأذن بأن يقترب منه، فأذن له بذلك، فقال الرشيد: يا بنيّ إنني أريد أن أعهدَ إليك عهد الإمامة وأقعدك مقعدَ الخلافة، فإني قد رأيتك لها أهلاً، فبكى وقال: يا أبتاه! أخي (أي: الأمين) أحقُّ مني، ولا إخالُ إلا أنه أقوى على هذا الأمر مني، عرضَ الله لك ما فيه الرشاد، وللعباد الخير والصلاح . . ثم استأذن للخروج فأذن له الرشيد .

وبعد ذلك استدعى الرشيد ابنه الأمين؛ فأولُّ ما فعّله الأمينُ أن دخل على أبيه دون أن يستأذن، وهو يتبخترُ في مشيته! . . فبدأ الرشيد بسؤاله: ما تقول يا بنيّ أن أعهدَ إليك، فردَّ على الفور: ومنَ أحقُّ بذلك مني يا أمير المؤمنين؟! . . فصرَّفه أمير المؤمنين وقال لزبيدة: كيف رأيت؟ .

فقالت: يا أمير المؤمنين ابْنُكَ (أي: المأمون) أحقُّ بما تريد .

أنظرتهم إلى مَنْ هو أولى بالخلافة؟ .



لم يكن في حسابه أن التاريخ سيحكي قصته للأجيال من بعده..
فهو أول من أسلم من الرجال، وأول الخلفاء الراشدين..
سُمِّي عتيقاً لجمال وجهه، وصدَّق النبي ﷺ في الإسراء والمعراج
فسماه صدِّيقاً..

قال رسول الله ﷺ: «إِن مِنْ أُمَّنٍ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صَحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا
بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامِ
وَمُودَتِهِ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ»^(١).

جعل الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من نفسه خادماً يحلب للحَيِّ أغنامهم، فلما بُويع
بالخلافة قالت جارية: الآن لا تحلب لنا أغنام دارنا! وهزَّ الصوتُ أذنَ
الصِّدِّيقِ، فأتى الجارية فقال: بلى! لعمري لأحلبنَّها لكم، وإني لأرجو أن
لا يغيِّرني ما دخلتُ فيه (أي: الخلافة) عن خلُقٍ كنت عليه.. فكان يحلبُ
لهم وهو خليفة المسلمين!..

جلس الصِّدِّيقُ يوماً يتحدَّثُ إلى أصحابه، فسأل غلاماً له أن يسقيه،
عاد الغلام ومعه إناء من الفخار، أمسك الصِّدِّيقُ الإناء وهمَّ أن يشرب منه
فوجده ممتلئاً بعسل مشوب بالماء.. وضعَ الإناء ولم يشرب، ثم راح يمسح
دموعه، فسأله الحاضرون: ماذا يُبيكيك؟..

قال: كنتُ عند النبي ﷺ في مرضه الذي تُوفي فيه، فرأيتُه يدفع بيديه
شيئاً لا أراه، وهو يقول بصوت منهوك: «إِلَيْكَ عَنِّي.. إِلَيْكَ عَنِّي..».

نظرتُ فلم أرَ شيئاً، فقلتُ: يا رسول الله! أراك تدفع شيئاً ولا أرى

(١) رواه البخاري.

معك أحداً، فقال ﷺ: «هذه الدنيا تمثّلت لي بما فيها، فقلتُ لها: إليك عني! فتنحّت وهي تقول: إن نجوتُ مني لن ينجو مني من بعدك»..

ثم هزّ الصديق رأسه وقال بأسف وحسرة: فخشيتُ بهذا الماء المشوب بالعمس أن تكون الدنيا قد لحقتني، فذاك الذي أبكاني!

كان من أساطير الإيمان والورع، ترك الشبهات وأشاح وجهه عنها، فكان لأبي بكر غلام يخرج للعمل، فيأتي بالطعام، وكان الصديق يسأله عن الطعام من أين أتى به؟ قبل أن يأكله..

وذات يوم أتى الغلام حاملاً بعض الطعام، فأعطاه لأبي بكر ﷺ، فأكله، وأنساه الجوع أن يسأله عن مصدره! ولما سأله عن مصدره قال الغلام: كنتُ تكهنتُ (أي: فعلت الكهانة) لرجل في الجاهلية، فلقيني اليوم وأعطاني الطعام، وأخبرني أن كهانتي صدقتُ.. فقال أبو بكر ﷺ وقد علاه عرق الخوف: «كدتُ أن تهلكني»..

ثم دفع بيده إلى داخل حلقه، فاستقاء وأخرج ما بها من طعام..

ف قيل له: كل هذا من أجل هذه اللقمة؟

قال: لو لم تخرج إلا مع روعي لأخرجتها!..

وفي مرض موته جلست أم المؤمنين عائشة بجواره، فقال لها الصديق: يا بنيّة! إنني كنتُ أكثر قريش تجارة ومالاً، فلما شغلتنني الإمارة رأيتُ أن أصيب من المال بقدر ما شغلني، ولم يبقَ من هذا المال إلا هذه العبادة، وهذا الوعاء، وذاك الغلام؛ فإذا متُّ فأسرعي بهم إلى ابن الخطاب ﷺ..

فلما رحل عن الدنيا سنة (١٣هـ) ذهبت السيدة عائشة ﷺ بالعبادة والوعاء والغلام لعمر بن الخطاب ﷺ.. فقال عمر والدموع تنهمر من عينيه: يرحم الله أبا بكر! لقد أتعبَ من بعده! لقد أحبَّ أن لا يترك لقاتلٍ مقالاً..



عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه (١)

الليلة
٢٣٨

وقف التاريخ عنده طويلاً، وراح يروي على الأيام عدله وزهده..
وُلد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، وطار فؤاده إلى واحة الإيمان
قبل الهجرة بخمس سنين..

مدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن
الخطاب»^(١).. وصرخت الدنيا تحت وطأة ورعه..

اشتكى عمر رضي الله عنه مرضاً أصابه، فوصِفَ له العسل، وكان في بيت
المال وعاء صغير به عسل، فخرج من بيته متعكزاً حتى بلغ المنبر.. فقال:
إن أذنتم لي في وعاء العسل الصغير هذا أخذتُه، وإلا فإنه عليّ حرام..
فأذُنُوا له فيه عن طيب خاطر..

دخل على ابنه عبد الله رضي الله عنه فوجد عنده لحماً، فقال: ما هذا اللحم؟
قال عبد الله بتردد: اشتهيته!.

فقال عمر في ضيق: أو كلِّمنا اشتهيتَ شيئاً أكلتُه؟ كفى بالمرء سرفاً أن
يأكل كلَّ ما اشتهاه!.

تُرى ماذا نقول نحن عندما نأكل كل ما تشتهيهِ الأنفُس وتلذ الأعين؟
ماذا نقول للذين يملؤون صحنونهم بشتى أنواع الطعام في المطاعم والفنادق
(البوفيه المفتوح)، ثم يُرمى بأكثر ما وضعوه في أطباقهم لأنهم أُتخِموا
بالطعام؟.

ثم أتدري ماذا يفعل كثير من هؤلاء المطاعم في آخر النهار؟ يرمي
الكثير منهم بأطباق الطعام كما هي في سلة القاذورات!..

(١) صحيح الترمذي: (٣٦٨٦).

فهنيئاً للقائمين على جمعيات «حفظ النعمة» الذين يجمعون ما زاد من طعام في الحفلات وغيرها؛ يقومون بتعبئتها، ثم توزيعها على الفقراء والمحتاجين ..

أتى عمر يوماً بماء مشوب بالعسل، فقال: «إِنَّهُ لَطَيِّبٌ، لَكِنِّي أَسْمَعُ اللَّهَ ﷻ نَعَى عَلَى قَوْمٍ بِسَبَبِ شَهْوَتِهِمْ، فَقَالَ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠]، فأخاف أن تكون حسناتنا عُجِّلَتْ لَنَا.. فلم يشرب منه!

وجاءته ابنته حفصة رضي الله عنها يوماً فقالت له: يا أمير المؤمنين! قد فتح الله على يديك كنوز كسرى وقيصر، وحُمل إليك المال، ورُسِلَ العجم يأتونك، ووفود العرب يَرِدُونَ عليك، وعليك هذه الجبة قد رَقَعْتَهَا اثنتي عشرة رقعة!.. فلو غَيَّرْتَهَا بثوب لَيِّن يُهَاب فِيهِ مَنْظَرُكَ، وَيُؤْتِي إِلَيْكَ بِجَفْنَةِ طَعَامٍ!.

فبكى عمر بكاء شديداً ثم قال: هل شَبَعَ رسول الله ﷺ من خبز الشعير ثلاثة أيام؟ أو جَمَعَ بين عشاء وغداء حتى لحق بالله تعالى؟ قالت: لا. قال: أتعلمين أن رسول الله ﷺ لبس جُبَّةً من الصوف؛ فربما حَكَ جِلْدُهُ مِنْ كَثْرَةِ خَشَوْنَتِهَا؟.

ثم صاح: لن يأكل عمر طيباً، ولن يلبس ليئناً، ولن يجمع بين طعامين إلا الملح والزيت، ولن يأكل لحماً إلا في كل شهر مرة أسوء بصاحبيه (الرسول ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه).. فكان كما قال حتى لقي الله ﷻ!

مضى عمر يصرع الدنيا بثوب واحد منسوج من عشرات الرقع، ازدحم المسجد بالمصلين، وراح الناس يتبادلون النظرات ويتساءلون في صمت: لماذا تأخر أمير المؤمنين؟.

وبعد لحظات دخل عمر المسجد وصعد المنبر، ومضى يعتذر للناس قائلاً: إنما حبسني غسلُ ثوبي هذا؛ فليس لي ثوبٌ غيره!

.. يتبع ..



هوت على أقدام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعظم إمبراطوريات العالم القديم،
وجازت جيوشه إلى ما وراء بلاد العجم . .

انظر إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الموقف الذي يطغى فيه أعدل الحكام، انظر
إليه حين جاءه خبر فتح فارس وظفره بكسرى وبلاده؛ حين أصبح هو
إمبراطور فارس، ومَلِكِ الشَّامِ والجزيرة . . لم يصعّر خده، ولم يمش في
موكب الظفر كما مشى قواد روما . . صعد المنبر وبين أنه خادم للشعب،
وأن الحاكم ليس مالكا لرقاب الناس .

أرأيتم خريج دار الأرقم؛ دَخَلَهَا يريد قتل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخرج منها
غالب كسرى وقيصر؟! . .

قفز عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعقله الكبير إلى القرون التي لم تُخلق بعد، وسبق زمانه
بأشياء كثيرة ندرسها اليوم بإعجاب كبير . .

صرّح بأجلّ المبادئ التي لم يصل إليها البشر إلا بعد ثورات دامية
وجهاد طويل، فعمر أول حاكم ينشر مرسوماً يبيّن فيه للشعب أن الولاة
ليسوا سادة الناس، وأن الحريات مضمونة، والأموال محروسة، وما الولاة
إلا معلّمون وأئمة وُخُدَّامٌ للشعب . .

فَتَحَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بابه لكل شكوى تُرفع على أي أمير من الأمراء أو والٍ
من الولاة . . لقد دعا عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البطل العظيم فاتح مصر؛ حين
ضرب ابنه المصريّ، ومكّنه منه حتى انتصف منه، وقال كلمته الخالدة؛
الكلمة التي لم تقم الثورة الفرنسية بعد ألف سنة إلا لإعادتها مرة ثانية (ثم
لم تستطع إعادتها): «متى استعبدتُمُ الناسَ وقد ولدتهمُ أمهاتهم أحراراً؟!» .

منع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التسوّل في الطرقات، وجعل للعاجزين راتباً يعيشون

منه، وهو أمر لم تعرفه الحكومات إلا من عهد قريب .
 وفي شوارع المدينة انطلق عمر رضي الله عنه يعدو في عجل، فيلقاه علي بن
 أبي طالب رضي الله عنه سائلاً: إلى أين يا أمير المؤمنين؟ .
 يجيبه عمر رضي الله عنه دون أن يتوقف: بعيرٌ أفلت من إبل الصدقة . .
 نعم بعير من بعير المسلمين أفلت، يسعى خلفها عُمر ليحضرها! . .
 فيقلب عليٌّ يديه قائلاً: لقد أتعبت مَنْ بعدك! . .
 فيقول عمر رضي الله عنه: والذي بعث محمداً بالحق، لو أن شاة تعثرت
 بالعراق لخشيتُ أن يسألني الله عنها يوم القيامة: لِمَ لَمْ تعبُد لها الطريق
 يا عمر؟! . .

قتلَ عمرَ عبداً فارسي لثيم (أبو لؤلؤة المجوسي) سنة (٢٣هـ) وهو
 يصلي الفجر وعمره (٦٣ سنة) . . وكانت مدة حكمه (١٠ سنين) أو تزيد .
 عشر سنين وعُمر لا ينام من الليل إلا غراراً؛ لأنه مشغول بأمور
 المسلمين، ولم يبق لعُمر في الحياة إلا أمل واحد؛ وهو أن يكون في البيت
 مع صاحبيه اللذين أحبهما ولازمهما، فاستأذن عائشة أم المؤمنين أن يُدفن
 مع صاحبيه . .

وهناك أمام هذه الحجرة الشريفة يقف دائماً وأبداً وفود المسلمين من
 كافة أرجاء الأرض، خاشعين متأدبين، يقولون:

السلام عليك يا رسول الله . .

السلام عليك يا أبا بكر . .

السلام عليك يا عمر . .

لا ينقطعون، ولا يسكتون . . إلى يوم القيامة^(١) .

(١) قصة حياة عمر، للشيخ علي الطنطاوي؛ والزهاد مئة، لصديق المنشاوي، بتصرف .



- لم ينتظر من التاريخ كلمةً ثناء، ولا من أحد عبارة شكر..
رجل استحيت منه الملائكة، واشترى الجنة مرتين..
وُلد في السنة السادسة من عام الفيل، وشبَّ في الترف والنعيم..
تسرَّب الإيمانُ إلى مهجة قلبه؛ فكان مع السبعة الأوائل الذين أحاطت قلوبهم برسول الله ﷺ.
- أمّتحنَ في إسلامه، فتولى أمرَ تعذيبه عمُّه الحكم بن أبي العاص..
هاجر إلى الحبشة بأهله، تركَ الثراء والنعيم إلى مكان مجهول تتهدده الأخطار، فكان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام..
سُمِّي بذي النورين؛ لتشرفه بالزواج من ابنتي الرسول ﷺ رقية ثم أم كلثوم رضيتهما.
- يقول أبو هريرة رضي الله عنه: اشترى عثمانُ الجنةَ مرتين: مرة حين اشترى بئر رومة، ومرة أخرى حين جهَّز جيش العسرة..
- فقد كان بالمدينة بئر تدعى «رُومة» تفيض بالماء العذب، وكانت ملكاً لليهودي يبيع ماءها للمسلمين! فكان من المسلمين من لا يجد الثمن، فلا يستطيع الحصول على الماء.
- أحزنَ ذلك رسولَ الله ﷺ، فجمع الناس ومضى يرغبهم في شراء هذا البئر، فقال: «مَنْ يشتري بئرَ (رُومة) فيجعل دلوَّه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة؟»^(١).
- فنهض عثمان رضي الله عنه، وراح يساوم اليهودي حتى اشترى نصفها باثني

(١) صحيح الترمذي: (٣٧٠٧)؛ وصحيح النسائي: (٣٦١٠).

عشر ألف درهم، فجعله مجاناً للمسلمين.. فكانوا يأخذون الماء منها في يوم عثمان رضي الله عنه، فقال له اليهودي: يا عثمان أفسدت عليّ بئري؛ فلم يعد أحد من المسلمين يشتري الماء في يومي! فاشترى عثمان نصفها الآخر بثمانية آلاف درهم.

انظروا إلى حكمة عثمان رضي الله عنه وعدله؛ لم يُرد أن يؤذي اليهودي، فاشترى منه النصف الثاني، وكان بإمكانه ألا يسمع لشكوى اليهودي!

● ومرة أخرى يشتري عثمان رضي الله عنه الجنة: كان ذاك حينما صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر داعياً إلى الإنفاق على تجهيز جيش العسرة قائلاً: «من يجهز جيش العسرة؟».

فقام عثمان رضي الله عنه يجيب على صيحة النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله عليّ ثلاثمئة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله..

فنزّل رسول الله صلى الله عليه وسلم متهلل الوجه وهو يقول: «ما على عثمان ما عمل بعد هذا، ما على عثمان ما عمل بعد هذا»^(١)!

● وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه أمسكت السماء ماءها، وأصبح الناس في قحط شديد.

جاءت قافلة من مئة راحلة عليها الطعام من الشام، فهول التجار إلى باب عثمان رضي الله عنه، عرضوا عليه الأرباح، وأخذوا يزيدون في السعر.

عندها قال عثمان رضي الله عنه: لقد زادني الله تبارك وتعالى بكل درهم عشرة، وإنّي أشهد الله أنني قد جعلتُ هذا الطعام صدقةً على فقراء المسلمين.

● هجم عليه الثوار.. فقتلوه في بيته وهو صائم يقرأ في المصحف سنة (٣٥هـ)، وعمره (٨٢ سنة)، وكانت مدة حكمه (١٢ سنة)^(٢).

(١) الزهاد مئة، بتصرف.



في دار عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت تسكن امرأة من بني كلب؛ أحد أشهر بطون العرب في الفصاحة والبلاغة، تلك هي: نائلة بنت الفرافصة .
خطبها عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فحملها أهلها له، وحين اجتمع بها رفع قلنسوته عن رأسه فظهر الصلع فيه، فقال لها: يا بنت الفرافصة! لا يهولنك ما ترين من صلعي! فإن تحته ما تحبين . .
فأمسكت عن الكلام، فبادرها بقوله: إما أن تقومي إليّ، وإما أن أقوم إليك .

فقالت: أما ما ذكرت من الصلع فإنني من نساء أحبّ بعولتهن إليهن السادة الصلغ . . وأما قولك: إما أن تقومي إليّ وإما أن أقوم إليك، فوالله إن ما تجشمتُه من قطع الصحراء الواسعة لأبعد مما بيني وبينك، بل أقوم إليك! .

فقامت وجلست إلى جواره، فمسح على رأسها ودعا لها بالبركة، فبوركت بفضل من الله تعالى؛ فقد جعل كرم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحنانه في قلبها مودة ورحمة له؛ تهبها المرأة المسلمة لزوجها حين يزرع الزوج بذور الحب في قلبها . .

كانت لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طيلة حياتها معه الزوجة المطيعة الحانية، حتى وصل الطوفان إلى المدينة قادماً من البصرة والفسطاط، يحمل معه آفاً من الغوغاء الذين تأبطوا الشر بسيوفهم، يريدون قتل الخليفة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فحاصروا بيته ونائلة معه تشدُّ من عزمته وتؤنس وحدته . . قفز الرعاع على دار عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يألون لبيته حرمة، ولا لصحبته مكانة، فقرروا قتله وهو صائم يقرأ القرآن! . .

عندها أرادت نائلة أن تمنع دخولهم إلى منزلها، فنشرت شعرها ظناً منها أن في قلوبهم ذرة من إيمان أو ومضة من غيرة على الأعراس!.
 لكن عثمان رضي الله عنه منعها وقال: خذي خمارك؛ فلعمري لدخولهم عليّ أهونٌ من حُرمةِ شَعْرِكَ! .

فلم يكن من نائلة وهي ترى السيوف تقترب من زوجها الحبيب إلا وُضِعَ يديها لتتقي السيوف عن عثمان رضي الله عنه، ففَطَعَ السيْفُ أصابعَهَا، ومضى في بطن الخليفة حتى لقي ربه ..

لم تكن نائلة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، ولكنها نهلت من معين أحد صحابته، كزوجة لعثمان رضي الله عنه .. كانت بجانبه يوم الشدة، ودافعت عنه بجسدها حتى قُطعتْ أصابعها ..

كانت رمزاً لحبِّ قلِّ نظيره في هذا الزمان، بل ووفاء نادر لزوج حبيب بقيت ذكراه خالدة في قلبها ..

فقد خطبها بعد وفاة عثمان رضي الله عنه معاوية بن أبي سفيان، فرفضته .. وقالت حين سُئِلت عن سبب رفضها قولاً شهيراً: «إني رأيتُ الحزنَ يبلى كما يبلى الثوب، وإني خفتُ أن يبلى حزني على عثمان رضي الله عنه، فيطَّلَع مني رجلٌ على ما اطَّلَع عثمان رضي الله عنه، وذلك ما لا يكون أبداً»^(١) .

هكذا أحبَّت نائلةُ زوجها حياً وميتاً، ودافعتْ عنه حين داهمه الخطر. رحم الله عثمان رضي الله عنه بما أحبَّ نائلة، ورحم الله نائلة في إخلاصها لعثمان رضي الله عنه ..

ويا أيها الرجال أحبُّوا زوجاتكم يحبينكم ويعطينكم ماء العيون .



(١) إيمان الوزير، نائلة بنت الفرافصة، بتصرف.



علي بن أبي طالب عليه السلام

الليلة
٢٤٢

فارس أنجبه التاريخ من محراب الإسلام، كانت منزلته من النبي صلى الله عليه وسلم كمنزلة هارون من موسى عليه السلام.

استنشق الإيمان صبيّاً، وتنفس عبير الوحي غصّاً طريّاً . .

وُلد في الكعبة قبل البعثة بعشر سنين . . عاش طفولته بعيداً عن العبث، فلم يسقط في وحل الوثنية، ولم تكن له هفوة.

أسلم وعمره عشر سنوات، وشبّ في حجر النبي صلى الله عليه وسلم.

نام في فراش النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة، وشهد المعارك كلها . . لم يبارز أحداً إلا قهره.

قضى حياته في الدنيا بثوب واحد؛ لا يتركه حتى تفارق خيوطه الحياة.

وذات يوم لافح؛ خرج علي رضي الله عنه على أصحابه في ثوب غليظ خشن، مرصّع بالرقع . . فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين هلا اتخذت لنفسك ثوباً ألين من هذا؟ .

قال: هذا ثوب يصرف عني الزهو، ويساعدني على الخشوع في صلاتي . . ثم قرأ قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الفصص: ٨٣].

وذات يوم هام علي رضي الله عنه على وجهه في سوق المدينة يريد بيع سيفه؛ يقول بصوت ضعيف: من يشتري مني هذا السيف؟ فوالذي فلق الحبة لطالما كشفتُ به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته! . .

يقول علي رضي الله عنه: «لا يصدق إيمان عبد حتى يكون بما في يد الله أوثق مما في يده».

وقال: لا تعمل شيئاً من الخير رياءً، ولا تتركه حياءً..

وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن خيار العباد، فقال:

الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أسأؤوا استغفروا..

وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفروا..

وسئل علي رضي الله عنه عن جزاء المعصية، فقال:

جزاء المعصية: الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والنقص في اللذة..

قيل: وما النقص في اللذة؟

قال: لا ينال شهوةً حلالاً إلا جاءها ما ينغصه إياها..

وخطب علي رضي الله عنه على منبر الكوفة فقال:

أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى..

فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق..

ألا إن الدنيا قد ولت مدبرة، والآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما

بنون.

فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل

ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل..





عُظْمَاءُ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ

- أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لما احتضر أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين وفاته قال لابنته عائشة رضي الله عنها: «منذ ولينا أمر المسلمين، لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً، ولكننا قد أكلنا من جريش طعامهم، ولبسنا من خشن ثيابهم، وليس عندنا من فيء المسلمين إلا هذا العبد، وهذا البعير، وهذه القطيفة، فإذا متُّ فابعثي بالجميع إلى عمر».
- عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما طعن عمر جاء عبد الله بن عباس رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، أسلمت حين كفر الناس، وجاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خذله الناس، وقُتلت شهيداً، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راضٍ. فقال: المغرور من غررتموه، والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس لافتديتُ به من هول المطلع.. ويلي وويل أُمي إن لم يرحمني ربي!..
- عثمان بن عفان رضي الله عنه: قال حين طعنه الغادرون والدماء تسيل على لحيته: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، اللهم إني أستعينك على جميع أموري وأسألك الصبر على بليتي.
- علي بن أبي طالب رضي الله عنه: بعد أن طعن علي رضي الله عنه قال: ما فعل بضاربي؟ قالوا: أخذناه، قال: أطعموه من طعامي واسقوه من شرابي، فإن أنا عشت رأيت فيه رأيي، وإن أنا متُّ فاضربوه ضربة واحدة لا تزيدوه عليها.
- معاذ بن جبل رضي الله عنه: نادى ربه حين حضرته الوفاة وجاءت ساعة الاحتضار قائلاً: يا ربِّ إنني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أنني ما كنت أحب الدنيا لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، وإنما لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء

- بالرُّكْب عند حَلَقِ العلم . . ثم فاضت روحه بعد أن قال: لا إله إلا الله .
- **بلال بن رباح** رضي الله عنه: حينما أتى بلالاً الموتُ قالت زوجته: واحزنناه! فكشف الغطاء عن وجهه وهو في سكرات الموت وقال: لا تقولي: واحزنناه، قولي: وافرحاه، ثم قال: غداً نلقى الأحبة، محمداً وصحبه .
 - **أبو ذر الغفاري** رضي الله عنه: لما حضرته الوفاةُ بكت زوجته، فقال: ما يبكيك؟ قالت: وكيف لا أبكي وأنت تموت بأرضٍ فلاةٍ وليس معنا ثوبٌ يسعك كفنًا .
- فقال لها: لا تبكي، وأبشري؛ فقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا منهم: «**اليموتنَّ رجلٌ منكم بفلاةٍ من الأرض، يشهده عصابة من المؤمنين**» وليس من أولئك نفر أحدٍ إلا ومات في قرية وجماعة، وأنا الذي أموت بفلاة، والله ما كذبت ولا كُذِّبت! . .
- **سلمان الفارسي** رضي الله عنه: بكى سلمان الفارسي عند موته، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: عَهْدَ إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون زاد أحدنا كزاد الراكب، وحولي هذه الأزواد! وقيل: إنما كان حوله إناء يُجمع فيه الماء، وقصعةٌ يوضع فيها الطعام! .
 - **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه: لما حضرته الوفاة دعا ابنه، فقال: يا عبد الرحمن! **إني أوصيك بخمس خصال فاحفظهن عني:**
 - أظهر اليأس للناس، فإن ذلك غنى فاضل . .
 - ودع الحاجة إلى الناس، فإن ذلك فقر حاضر . .
 - ودع ما تعتذر منه من الأمور ولا تعمل به . .
 - وإن استطعت ألا يأتي عليك يومٌ إلا وأنت خيرٌ منك بالأمس فافعل . .
 - وإذا صليت صلاةً فصلِّ صلاةً مودِّع كأنك لا تصلي بعدها! . .



ليسَ بالسَّنِينِ يُعَرَفُ الْإِنْسَانُ (١)

● عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تبوأ مكانة سامقة في تاريخنا الإسلامي، لم ينلها إلا الأفاضل من القادة والفاحين والعباقرة من الكتّاب وأئمة العلم. ويزداد عجبك حين تعلم أنه احتلّ هذه المكانة بسنتين وبضعة أشهر قضاها خليفة للمسلمين! .

في حين قضى غيره من الخلفاء والزعماء عشرات السنين دون أن يلتفت إليهم التاريخ؛ لأن سنوات حكمهم كانت فراغاً في تاريخ أمتهم، فلم يستشعر الناس تحوُّلاً في حياتهم، ولا نهوضاً في دولتهم. فالقادة والزعماء يدخلون التاريخ بأعمالهم التي تُغيّر تاريخ أمتهم، لا بالسنوات التي عاشوها يحكمون.

خذ مثلاً الخليفة العباسي: الناصر لدين الله قضى ستاً وأربعين سنة في منصب الخلافة (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ = ١١٧٩ - ١٢٢٥ م)، ومضى دون أن يحفر لنفسه مكاناً في تاريخ أمته! . .

في حين لم يبق سيف الدين قطز سلطاناً في مصر إلا عاماً واحداً؛ نجح أثناءه في إلحاق أكبر هزيمة بالمغول في (عين جالوت)، وإعادة الثقة في نفوس المسلمين، ثم قضى نحبه على أيدي شركائه في النصر! .

● في المدينة المنورة وُلد لعبد العزيز بن مروان بن الحكم ولد سمّاه: عمر، على اسم جدّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأُمّ عمر بن عبد العزيز هي بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

وفي المدينة شبّ الفتى النابه بين أخواله من أبناء وأحفاد الفاروق عمر رضي الله عنه . .

لزم حلقات علماء المدينة، ونهل من علمهم، وتأدّب بأدبهم؛ فروى عن أنس بن مالك، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

بُويع بالخلافة بعد وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك وهو لها كاره، فنودي في الناس بالصلاة، وخطب الناس: «أما بعد: فقد ابتليت بهذا الأمر على غير رأي مني فيه، وإني أخلع بيعة من بايعني، فاختاروا لأنفسكم».. فضجّوا وصاحوا من كل طرف: «لا نريد غيرك».

وكان تولّيه المُلْك في عز شبابه في الخامسة والثلاثين من عمره.

● كان العصر الذي عاش فيه عمر بن عبد العزيز قبيل خلافته: زمن قسوة من الأمراء، وفيه من الفساد أن راح كل قادر على النهب ينتهب ما تصل إليه يده! غابت الأخلاق فشاع الترف والانحلال، وأخذت الأزمات المالية بخناق الدولة.

وفي اليوم التالي من خلافته رأى موكباً فخماً من الجياد المطهّمة يتوسطها فرسٌ زُيّنت كالعروس ليمتطي الخليفةُ ظهرها، فأمر بها إلى بيت مال المسلمين، ثم لما وصل إلى السرادق، فإذا هو كأيوان كسرى، فأمر بضمّه إلى بيت المال، ودعا بحصير ففرّشه على الأرض ثم جلس فوقه! فهذا ربيب المُلْك، وحفيد المجد، وابن القصور الناعمة.. تحولت حياته إلى حياة زهد وتقشف!.

بدأ عمر بن عبد العزيز بأهل بيته فأخذ ما بأيديهم من الثروات العظيمة التي تملكها أسرته، وإخوته وحاشيته، وردّها إلى أصحابها إن عرف أصحابها، أو إلى الخزانة العامة، ونفّذ على الجميع قانون: «من أين لك هذا؟».

.. يتبع ..





ليس بالسَّئِنِينَ يُعَرَّفُ الْإِنْسَانُ (٢)

● جمع عمر بن عبد العزيز أمراء البيت الأموي ويَبِين لهم أن ليس لهم من الحق في أموال الخزانة العامة أكثر مما للأعرابي في صحرائه، والراعي في جبله ..

وأن ما بأيديهم من أموال جمعوها من حرام ليس لهم، إنما هو لله، وأعلن في الناس أنه كل من كانت له مظلمة أو تعدى عليه أحد من هؤلاء فليتقدم بدعواه، وألّف لذلك محكمة خاصة! جرّدهم من هذه الثروات التي أخذوها بغير وجهها، وردّها إلى أصحابها أو إلى الخزانة العامة.

وكان يختار ولاته بعد تدقيق شديد، ومعرفة كاملة بأخلاقهم وقدراتهم؛ فلا يلي عنده منصباً إلا من رجحتُ كَفَّتُهُ كفاءةً وعِلماً وإيماناً.

كان يطلب النصيحة من عمرو بن مهاجر، فيقول له: يا عمرو! إذا رأيتني قد ملتُ عن الحق فضع يدك في تلابيبي ثم هزّني، وقل لي: ماذا تصنع؟ ..

● عمّ الأمن في البلاد، وشملت السعادةُ الناسَ، واختفت مظاهر البذخ الفاحش، ومظاهر الفقر المدقع، وصارت البلاد التي تمتد من فرنسا إلى الصين تعيش بالحب والعدل والإخلاص.

شبع في عهده الجياع، وكسى الفقراء، واستجاب للمستضعفين، وكان أباً لليتامى، وعائلاً للأيتامى، وملاً للضائعين.

كان الأغنياء يخرجون بركة أموالهم فلا يجدون فقيراً يأخذها!

قال الحسن القصاب: رأيتُ الذئبَ ترعى مع الغنم البادية في خلافة عمر بن عبد العزيز، فقلت: سبحان الله! ذئبٌ مع غنمٍ لا يضرُّها؟ فقال الراعي: إذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس.

كان يُقَسِّمُ تفاحاً أفاءه الله على المسلمين، فتناول ابنه الصغير تفاحةً، فأخذها من فمه، وعاد إلى البيت وما معه تفاحة واحدة، فقال لفاطمة: والله لقد انتزعتها من فم ابني وكأنما انتزعتها من قلبي، لكنني كرهت أن أضيع نفسي بتفاحة من فيء المسلمين قبل أن يُقَسِّمَ الفَيءُ.

رفض عمر أن يقبل تفاحة من ابن عمه، فقال لعمر: إن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يقبل الهدية!.

فقال عمر: ويحك، إن الهدية كانت للنبي ﷺ، وهي لنا اليوم رشوة.

● قيل في سبب وفاته: إن مولى له سمّه في طعام أو شراب وأُعطي على ذلك ألف دينار، فحصل له بسبب ذلك مرض، فأخبر أنه مسموم، فاستدعى مولاه الذي سقاه، فقال له عمر: ويحك ما حَمَلَكَ على ما صنعت؟ فقال: ألف دينار أُعطيْتُها، فقال: هاتها.. فأحضرها فوضعها في بيت المال، ثم قال له عمر: اذهب حيث لا يراك أحدٌ فتهلك.

دعا أبناءه.. فجاءوا مسرعين؛ وهم اثنا عشر ولداً وبناتاً، وراح يودعهم بقوله: يا بني إن أباكم خَيْرٌ بين أمرين: أن تستغنوا ويدخل النار، أو تفتقروا ويدخل الجنة، فاختر الجنة، وأثر أن يترككم الله الذي نزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين.

ولما احتضر قال لأهله: اخرجوا عني، فخرجوا، وجلس على الباب مسلمة بن عبد الملك وأخته فاطمة، فسمعوه يقول: مرحباً بهذه الوجوه التي ليست بوجوه إنس ولا جان، ثم قرأ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القَصَص: ٨٣]، ثم هدأ الصوت، فدخلوا عليه فوجدوه قد قبض.

وعندما توفي لم يكن في سجنه رجل واحد!..



● ليس أسعد للمرء من أن يعيش سليم الصدر، خالياً من الحقد والحسد، فإذا رأى أحداً في نعمةٍ فرحَ له بها، وذكر قول رسول الله ﷺ: «اللهم ما أصبح بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك»^(١).

وإذا رأى أذى يلحق بأحد؛ أشفق عليه ودعا الله تعالى أن يفرج كربه..

ذلك هو صاحب القلب السليم: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].. سليم من الشرك والنفاق، وسليم من الغل والأحقاد..

يقول ﷺ: «خير الناس: ذو القلب المخموم، واللسان الصادق» قيل: وما مخموم القلب؟ قال: «هو التقي النقي، الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد»^(٢).

فهل قلبك سليم؟ هل تنام على فراشك تشهد الله أنك لا تحمل ذرة حقد أو حسد لمسلم على وجه الأرض؟ ولماذا يكون في قلبك بغضٌ أو حقد على أحد؟ أمن أجل المال؟ أم من أجل وظيفة أو مرتبة عالية؟

● قال الفضيل بن عياض: «لم يُدرك عندنا من أدرك - أي: من وصل إلى المراتب العالية - بكثرة صيام أو صلاة، وإنما أدرك بسخاء الأنفس، وسلامة الصدر، والنصح للأمة».

● تَمَنَّ الخير للناس؛ فإن لم تقدر على نفع أخيك فلا تضره، وأحبَّ له ما تحبُّ لنفسك..

(١) الترغيب والترهيب: ٣٠٩/١، وإسناده صحيح.

(٢) صحيح الترغيب: (٢٩٣١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما بعد أن شتمه رجل : إنك لستمتني وفيّ ثلاث خصال :

- إني لآتي على الآية في كتاب الله سبحانه ، فلوددتُ أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم .

- وإني لأسمعُ بالحاكم من حكام المسلمين يعدلُ في حكمه ، فأفرح به .

- وإني لأسمعُ أن الغيث قد أصاب بلدًا من بلدان المسلمين ، فأفرح به ، وما لي من سائمة (أي : ليس لي فيه أي منفعة) .

هكذا يفرح الإنسان لفرح المسلمين ، ويدعو الله لهم في كل حين . .

● وهذا أبو دجانة رضي الله عنه ، دخلوا عليه في مرضه ووجهه يتهلل ، فقالوا له : ما لوجهك يتهلل ؟ فقال : ما من عمل شيء أوثقُ عندي من اثنتين : كنتُ لا أتكلم فيما لا يعنيني ، وكان قلبي للمسلمين سليماً . .

فيا ليتنا نحذو حذو أبي دجانة ، ويا ليت قلوبنا تخلو من أي غل أو ضغينة على أحد من المسلمين .

● يقول ابن القيم رحمته الله : ما رأيت أحداً أجمع لهذه الخصال - الصفح والعفو وسلامة الصدر - من شيخ الإسلام ابن تيمية ، حتى إن بعض أصحابه كان يقول : وددتُ أني لأصحابي مثلهُ لأعدائه وخصومه ، وما رأيتُهُ يدعو على أحد منهم قط ، بل كان يدعو لهم .

ويقول ابن القيم رحمته الله أيضاً : جئتُ يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه وأشدهم أذى له ، فنهزني واسترجع ، ثم قام من فورهِ إلى أهل بيت ذلك الخصم الذي مات ، فعزّاهم وقال : أنا لكم مكانه ، ولا يكون لكم أمرٌ تحتاجون فيه إلى مساعدتي إلا وساعدتكم فيه! . .





هل هذا القلبُ قلبُك؟

الليلة
٢٤٧

قلبٌ يحب الخير للناس، يفرح لسعادتهم، ويتألم لآلامهم . .
 قلبٌ لا يعرف الغلَّ ولا الحسد، ولا الكراهية لأحد من الناس . .
 قلبٌ يحب الطهر في اللسان، ويكره الفسوق والعصيان . .
 يُغضُّ الفاحشَ البذيء، ويُحبُّ المؤمنَ التقي النقي . .
 قلبٌ حنون؛ يبكي لزفرة أم، أو تنهيدة أب . .
 يحزن لحيرة أخٍ أو دموع أخت . .
 قلبٌ يدعو لمن ظلمه بالهداية والرشاد . .
 قلبٌ يُعطي الآخرين، ولا ينتظر منهم جزاءً ولا شكوراً . .
 قلبٌ مُعلّق بحب رب الأرض والسماء . .
 يتفقد أحوالَ مَنْ حَوَّله وإن لم يسألوه عن أحواله . .
 يَفِي بالعهود والوعود وإنْ نكثَ البعضُ في عهده ووعده . .
 قلبٌ لا يضجر؛ يتسم للشدائد ويصبر . .
 إذا خلا صاحبه بنفسه ذكَّر الله فازداد قلبه طهراً، ثم إذا سجد دعا الله
 أن يزداد قلبه نوراً على نور . .

نسأل الله تعالى أن يجعل قلوبنا من هذه القلوب:
 إلى الله نشكُّو قسوةً في قلوبنا وفي كلِّ يومٍ واعظ الموتِ يندبُ
 يقول أحد الحكماء: للعظيم قلبان: قلب يتأمل، وقلب يتألم!

ألم يأن لقلوبنا أن تتأمل في خلق الله، تتأمل في سنن الله، وتتألم لما يصيب المسلمين في كل مكان! ..

احفظ قلبك مع الله، كن صادقاً مع ربك في عبادتك، في معاملاتك، في كل خطوة تخطوها في هذه الحياة ..

يقول أبو العباس السيارى: «من حفظ قلبه مع الله بالصدق، أجرى الله على لسانه الحكمة».

فإذا رأيت من قلبك قسوة أو جفاءً، فاعلم أنك قد ابتعدت عن الله، وأن الدنيا قد أخذتكَ بركابها، فحذارٍ أن تستمرَّ على ما أنت عليه ..

يقول ابن الجوزي: مَنْ كانت الغفلةُ أغلبَ وقته، تراكم الصدأ على قلبه .. وصدؤه بحسب غفلته ..

وإذا صدأ القلبُ رأى الباطلَ في صورة الحق، والحقَّ في صورة الباطل.

فالغفلةُ واتَّباع الهوى يطمسان نور القلب، ويعميان بصره! .

يقول إبراهيم الخواص: دواء القلب خمسة أشياء:

- قراءة القرآن بالتدبر.
- وخلاء البطن.
- وقيام الليل.
- والتضرع عند السحر.
- ومجالسة الصالحين.



● يروى: أن رجلاً ذهب إلى أحد العلماء يسأله: كيف تكون التربية؟ .

فسأله العالم: كم عُمر ابنك الآن؟ .

قال: أربعة أشهر .

فقال العالم: لقد فاتتك التربية! .

بالطبع ليس هذا إحباطاً للناس، ولكنه أراد أن يعلمه أن التربية تبدأ منذ اختيار الزوجة؛ لأنها المدرسة الأولى للطفل في حمّله وبعد ولادته! وهي المربي الأسبق قبل الأب؛ لالتصاقها بالطفل ليل نهار، فمن يُرد إنشاء بيت مُحكم؛ فليتقن التأسيس .

هل رأيتَ أحداً يقود سيارة قبل أن يتعلم القيادة؟ ولكن كم من الناس من يُرزق بالأبناء وهو لم يقرأ كتاباً واحداً في تربية الأبناء! . .

هل يكفي تعلّم الممارسات التربوية الموروثة في تربية هذا الجيل؟ .

هل يمكن تطبيقها دون عَرْضها على ميزان الدين والعلم؟ .

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يجب أن تُشفق على ولدك من إشفاقك عليه» .

فأنفع ثروة تخلفها لأولادك أن تُحسنَ تربيتهم وتنشئتهم على البر والتقوى، وتُحسنَ تعليمهم فتكونَ قد أحسنت إليهم في الدارين .

وأدومُ أثرٍ منك ينتفعون به بعد موتك عِلْمُكَ، وما أسديت للناس من خدمات في حياتك .

● يروى: أن الروم أرادوا مرة غزو بلاد المسلمين، فأرسلوا جاسوساً يستطلع لهم أحوال المسلمين، ويتحسس أخبارهم..

وبينما هو يسير في أحد أحياء المسلمين، رأى غلامين في أيديهما النبل والسهم، وأحدهما قاعد يبكي، فدنا منه وسأله عن سبب بكائه، فأجاب الغلام: إني قد أخطأتُ الهدف..

فقال له الجاسوس: خُذْ سهماً آخر وأصِبِ الهدف!

فقال الغلام بلهجة غاضبة: ولكن العدو لا ينتظرني حتى آخذ سهماً آخر وأصيب الهدف!

انظروا إلى نُضج تفكير هذا الغلام، وغيرته على دينه وهو ما يزال غلاماً صغيراً..

عاد الجاسوس إلى قومه وأخبرهم بما رأى، فعلموا أن الوقت غير مناسب لغزو المسلمين..

مضت السنون، وتغيرت الأحوال، وأراد الروم غزو المسلمين، فأرسلوا جاسوساً يستطلع لهم الأخبار..

رأى شاباً في العشرين من عمره في أحد أحياء المسلمين قاعداً يبكي، فدنا منه وسأله عن سبب بكائه، فقال بصوت يتقطع ألماً وحسرة: إن حبيبتني التي منحتها قلبي قد هجرتني، وأحبت غيري.. ثم عاد إلى بكائه!

عاد الجاسوس إلى قومه مبشراً لهم بأن هذا الوقت وقت النصر على المسلمين!..





ساعد ابنك على تطوير شخصيته

طفلك كالجوهرة النفيسة الخالية من كل نقش، فإذا عودته الخير في صغره؛ نشأ على ذلك، وسعد في دنياه وآخرته، وشاركته ثوابه في كل ما يعمل.

وإذا أهملته، وسلك طريق الشر والفساد؛ شب على ذلك وخسر الدنيا والآخرة، وكانت كل أوزاره في عنقك.

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عودته أبوه
وإذا كنا نخاف على أبنائنا أن تمسهم نار الدنيا، ونهرع بهم إلى الطبيب إن أصابهم المرض والحمى.. فلماذا لا نصون أبنائنا من نار الآخرة؟!..

- علم ابنك مناقشة الأمور قبل الحكم عليها، وأن يعبر عن رأيه فيما يحب وما يكره، وفيما يعتقد أنه الأفضل..
- دعه ينتقد برنامجاً تلفزيونياً أو قصة أو مقالاً، ولو كان صغيراً..
- علمه أن يحل مشاكله بنفسه، وأن يقدم المشكلة ومعها خيارات للحل، وساعده في اختيار الحل الأنسب.
- امنحه فرصة الاختيار في الأمور التي تتعلق به، فيشتري الملابس التي يفضلها (ولكن ضمن المألوف في المجتمع).. نبهه إلى مساوئ الألبسة التي عليها صور اللاعبين أو المطربين، أو كلمات فاحشة أو مقاطع من أغنيات..
- علمه أن يكون صبوراً وقادراً على الانتظار قبل أن يحصل على ما يريد، وأن يقبل كلمة «لا» كجواب على بعض طلباته..

- عوّده على أن ينشأ على نظام صحي سليم في طعامه وشرابه، في نومه واسترخائه، وشجّعه على القيام بنشاط رياضي منتظم.
- اذكر حسناته وشجّعه على تطويرها نحو الأفضل، فذلك يُنمّي ثقته بنفسه.
- علّمه أن يكون معتدلاً في كل شيء، وأن الله لا يحب المسرفين؛ فلا يفرط في مصروفه، ولا يبذر فيما تنفق عليه.
- حدّره من مخاطر المخدرات والمسكرات والأمراض الجنسية وغيرها.. أعطه فكرة مبسطة عن تلك الأمور، واربطها بوعيه الديني، وبالتزامه بمبادئ الإسلام، وبتقوى الله في كل شيء..

يقول أحد خبراء التربية:

- إذا عاش الطفل في جو من النقد الدائم، تعلّم الذم..
- وإذا عاش في جو من الخوف، تعلّم الإحباط..
- وإذا عاش في جو من الغيرة، عرف معنى الحسد..
- وإذا عاش في جو من العدا، تعلّم المشاجرة..
- وإذا عاش في جو من المشاركة، تعلّم الكرم..
- وإذا عاش في جو من الأمانة، تعلّم العدل..
- وإذا عاش في جو من الرضا، تعلّم الحب..
- وإذا عاش في جو من التسامح، تعلّم الصبر..
- وإذا عاش في جو من المعرفة، تعلّم قيمة الأشياء..
- وإذا عشت أنتِ يا أمّه في هدوء فإن طفلك سوف يعيش في أمان!..



يقول أرنولد توينبي: «إن أي مجتمع لا يعطي الإبداع الفرصة الكافية إنما هو مجتمع ميت».

● فيها هو الجيش المسلم قد تمركز يوم بدر بالعدوة الدنيا عند أدنى ماء من بدر، وها هو الحباب بن المنذر ينظر إلى مواضع تمركز القوات فيجد فيها خللاً ظاهراً، فيتقدم إلى رسول الله ﷺ بأدب الجندي مع القائد، ويقترح ضرورة تغيير مواضع تمركز القوات المسلمة لأسباب ميدانية وجيهة.. فيعجب الرسول ﷺ برأيه، ويؤيد مقولته، وينزل - وهو القائد - عند رأي الجندي، ويأمر الجيش بالتمركز في المواقع الجديدة التي ارتآها الحباب بن المنذر.. وتدور المعركة، ويتحقق النصر.. وكان لهذا الرأي دور في تحقيق النصر يوم بدر.

● وتخيل معي مصير عتبة بن غزوان لما أرسله الخليفة عمر رضي الله عنه على رأس جيش لفتح مدينة الأبله - البصرة حالياً -.

كان جيش عتبة قليل العدد والعدة (ثلاثمئة رجل وبضع نساء)، وكان على أمل وصول المدد من المدينة ليساعده في مهمة فتح هذه المدينة، وما أن وصل عتبة حتى هاله موقعها الحصين، وكثرة السفن المحيطة بها؛ فماذا فعل عتبة؟.

صفت كل جنوده في طابور طويل يفصل بين الجندي والآخر مسافة وأعد للنسوة رايات، رفعها على أعواد الرماح، وأمرهن أن يمشين خلف الجيش، وقال لهن: إذا نحن اقتربنا من المدينة فأثرن التراب خلفنا حتى تملأن به الجو.

وما أن اقتربت مقدمة جيش عتبة من المدينة، حتى خرج إليهم جند الجيش الروماني، فإذا بهم يرون صورة جيش جرار، مقدمته على أعتاب

المدينة، ورايأته تخفق عاليةً في الخلف، وغبارُ خيوله على مرمى البصر.. فقال بعضهم لبعض: إنها طليعة العسكر، وإن وراءهم جيشاً جرّاراً يثير الغبار.. وسرعان ما عم خبر هذا الجيش الجرّار بين جنود الجيش الروماني، فعمّت الفوضى بين الجند والقادة، ودبّ في قلوبهم الذعر، فطفقوا يحملون ما خف وزنه وغلا ثمنه، وقفزوا إلى السفن الراسية في مياه نهر الفرات، وتركوا المدينة هاربين فارين، ودخلها «عتبة بن غزوان» وجنوده دونما قتال!

● وما زلتُ أذكر هذا الطفل الذي أعيتُ أهله الحيلُ لينتظم في الدراسة دون جدوى، كان الطفل يواجه كل هذه الإجراءات بمزيد من العناد المصحوب بالصراخ والبكاء.. إلا أن أحد المعلمين جاء إلى الطفل ذات يوم، مسح على رأسه، وهُدأ من روعه، وأعطاه عصاه وقال له: هذه عصاي خذها معك، على أن تُحضرها غداً في طابور الصباح.. لم ينس المعلم أن يوضح للطفل المخاطر الناجمة عن عدم إحضاره العصا في الصباح قبل بدء الطابور.

هدأت حفيظة الطفل، وظل يحمل عصا المعلم طيلة اليوم وهو يشعر بشيء من النشوة.. ومع انتهاء اليوم الدراسي عاد الطفل إلى بيته ومعه العصا.

وفي الصباح كانت المفاجأة لأهل الطفل؛ إذ بكرّ الطفل وأخذ يعدّ نفسه وحقيبته للذهاب إلى المدرسة مبكراً على غير عادة!.. ظلّ الطفل على هذه الحالة لفترة يتوجّه إلى المدرسة كل يوم في الصباح الباكر لا شيء إلا من أجل إحضار عصا المعلم، ومرت الأيام وانتظم الطفل في دراسته وانشغل في دروسه وواجباته، ولم تعد تُشغله حكاية عصا المعلم^(١).

(١) كن مبدعاً حتى أثناء نومك، للأستاذ طارق حسن السقا، بتصرف.



كيف نزرعُ حُبَّ اللهِ تعالى في قلوبِ أطفالنا؟

استعن بالله أولاً، واسأله أن يمنحك وزوجك العون على حسن تربيتهم.. ابدأ مبكراً وانتبه إلى كل مرحلة من مراحل عمر الطفل..

١ - مرحلة الجنين:

عندما تعلم الأم بوجود جنين في بطنها، تزداد قرباً من الله شكراً له على تلك النعمة، فيورث سكينه في قلبها، وراحة نفسية لجنينها.. تستمع إلى القرآن الكريم، فيعتاد سماعه وهو في بطن أمه، وقد أثبت العلم الحديث أن الجنين يفرح ويحزن أحياناً ويتأثر بما يسمع وما يحيط به.

٢ - مرحلة ما بعد الولادة حتى السنة الثانية:

حاولي أن يكون لفظ الجلالة ملامساً لسمعه، فإذا رفعتيه فقولي: يا رب يا معين.. وإذا جلسنا معه نكرر من حين لآخر: الحمد لك يا رب!

٣ - مرحلة من سنتين إلى ثلاث سنوات:

ابدئي في هذا السن بتحفيظه بعض قصار السور؛ كالفاتحة والعصر والكوثر، وتحفيظه بعض الأناشيد.

وكلما ازداد وعيه ردّدنا أمامه أن الله هو الذي رزقنا الماء والطعام، وهو الذي أعطانا المال والسيارة واللعب وغيرها..

وإذا جلسنا إلى الطعام قلنا بصوت يسمعه: «بسم الله»، وإذا انتهينا من الطعام قلنا: «الحمد لله»، فيعتاد الطفل ترداد ذلك بنفسه.. نخبرهم أن الله يحبهم ويسامحهم على أخطائهم ما داموا صغاراً؛ لأن الله يحب الأطفال.

٤ - من الثالثة حتى السادسة:

يكون الطفل في هذه السن شغوفاً بالاستماع للقصص.. استفد من

هذه الميزة في رواية القصص التي توجهه إلى التصرف السليم . . يجب أن نقرب إلى أذهان أطفالنا فكرة وجود الله مع عدم إمكانية رؤيته، فهناك أشياء نرى أثرها دون أن نراها كالهواء والكهرباء . . وإذا كانت الأم لا تستطيع تأليف القصص فيمكنها الاستعانة بالقصص المنشورة، مثل: قصص سفير للأطفال، وقصص الأديب التربوي: عبد التواب يوسف، وقصص الأنبياء للأطفال، وغيرها .

٥ - من السابعة إلى العاشرة:

وهي مرحلة في غاية الأهمية؛ ففيها تبدأ ملكاته العقلية والفكرية في التفتُّح بشكل جيد، وهو يحتاج في هذه المرحلة أن نعامله كصديق . . نشجعه على القراءة، ونكافئه بقصة أو مجلة جذابة مفيدة بدلاً من الحلوى، ونبتعد عن المجلات غير الهادفة؛ مثل: «ميكى» و«سوبرمان» و«الوطواط» وأمثالها . . التي تتحدث عن قصص في بيئة غريبة . ونأخذ بدلاً منها مجلة «ماجد» و«العربي الصغير» و«سعد» وغيرها من المجلات التي تبث القيم الدينية والأخلاقية في الطفل بشكل محبب .

٦ - مرحلة العاشرة وما بعدها:

في هذه المرحلة تظهر على الطفل أمارات الاستقلال والتشبث بالرأي والتمرد على نصائح الوالدين؛ لأنهما يمثلان السلطة والقيود بالنسبة له . . ولهذا فهو يميل إلى التحرر مما يظن أنها قيود، فيميل أكثر إلى أصدقائه ويفتح لهم صدره ويتقبل منهم ما لا يتقبله من والديه . .

يمكننا أن نروي له بعض القصص التي حدثت معنا أو مع من نعرفهم؛ تبين أن الله ﷻ هو خير عماد وسند، وأن صداقة الطفل معه ﷻ لا تتعارض مع صداقته لأقرانه .





الأطفال يتشاجرون! (١)

الليلة
٢٥٢

ليس هناك أم لا تشكو من شجار أطفالها بعضهم مع بعض، رغم أن أسباب هذا العراك قد تكون في معظم الأحيان بسيطة، لا تستدعي الشجار.

● لماذا يتشاجرون؟

- هناك عدد من الأسباب التي تجعل الأولاد يتشاجرون:
- ١ - تفضيل أحد الوالدين أو كليهما أحد الأبناء دون الآخر.
 - ٢ - الغيرة بين الإخوة بسبب الجمال أو التفوق أو أي سبب آخر.
 - ٣ - حب السيطرة وامتلاك الأشياء من أحد الإخوة.
 - ٤ - الرغبات المختلفة بين الإخوة؛ مثل تغيير قنوات التلفاز أو أماكن الجلوس.
 - ٥ - محاولة الظهور والتفوق فيما بينهم أمام الوالدين أو المحيطين.
 - ٦ - التفرقة في المعاملة بين الذكر والأنثى بحكم العادات والتقاليد.
 - ٧ - المشادات الكلامية الخفيفة وأساليب المزاح المستفزة.
 - ٨ - ظهور صفة الأنانية بين الإخوة فتكون وقوداً للشجار والخصام.
- وليس من المناسب أن يكون تركيز الآباء على منع الشجار بين الأبناء تماماً؛ لأن هذا مستحيل عملياً، إنما ينبغي التركيز على تعليم الأبناء بأسلوب النقاش والإقناع، وعدم الاعتماد على التجريح.

● وصايا عامة:

- ١ - بعض الأمهات يحاولن أن يقفن من مشاجرات أطفالهن موقف القضاة؛ فقد تسأل إحدى الأمهات: من هو البادئ بالشجار؟ ومن فعل هذا؟

ومن منكم المذنب الحقيقي؟ . . . ويتسابق كل طفل في الإجابة، هذا يتهم، وذاك يُدافع . . . وقيام الأم بدور القاضي خطأ؛ لأن الطفل سيدرك بفطرته أن كل مشاجرة ما هي إلا فرصة سانحة ينبغي استثمارها كي يثبت أنه الفائز.

- ٢ - لا تواجهي الأمر بالضرب أو التوبيخ أو الانتقاد الشديد.
- ٣ - لا تتركي وقت فراغٍ يتشاجرون فيه، لأن الفراغ يولد الصدام، املئي أوقاتهم بالبهجة واللعب، وادفعيهم لممارسة الأنشطة والهوايات المختلفة.
- ٤ - ركزي في كل مرة على أن يحب الأبناء بعضهم بعضاً، رغم أنهم لا يعرفون طريقة تسوية الخلافات فيما بينهم.
- ٥ - امنعي السخرية في البيت، سواء كانت من أحد أفراد المنزل أو من الآخرين، وعلمي أبنائك أن يعاملوا الآخرين بما يحبون أن يُعاملوا به.
- ٦ - اعترفي بالخطأ أثناء تعاملك معهم، أو في تعاملك مع الأب أمامهم؛ لأن ذلك ييسر للأبناء عدم المكابرة والعناد في الباطل.
- ٧ - علميهم احترام الاختلاف بين الناس؛ لأن الله خلقهم مختلفين، وأنه إذا اختلف معه أخوه في الرأي فهذا حقه، ومن المقبول أن يختلف معه، ولكن من غير المقبول أن يكرهه أو يتشاجر معه بسبب ذلك.
- ٨ - وأخيراً: تسلحي بالدعاء، وألا يفتر لسانك عن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، واستعيني بالله.

.. يتبع ..





الأطفال يتشاجرون! (٢)

الليلة
٢٥٣

● كيف تحلّ الأم شجار أبنائها؟:

- ١ - في كل مرة يبدأ ولدك في الشجار، عاقبيهما بإبعادهما عن بعضهما؛ فعندما يدركان أنه غير مسموح لهما باللعب معاً، تصبح هذه رغبتهما الوحيدة.
- ٢ - الجئي إلى نظام المكافآت، بمعنى: أنه كلما طالت مدّة التوافق بين الأبناء ازدادت المكافأة التي يتلقونها.
- ٣ - علّمي أطفالك على عدم الصراخ أو مقاطعة بعضهم بعضاً أثناء الحديث.
- ٤ - لا توبّخي طفلك عندما يتشاجر مع أخيه، بل اسأليه: لماذا تؤذيه؟ .. واجعليه يشارك في الحل.
- ٥ - حين يغار الأبناء من بعضهم، أشيدي بما يميز كلاً منهم.
- ٦ - اسأليهم عن الأشياء التي يتشاجرون بشأنها، ففي معظم الأحوال ينسى الأطفال ما هو السبب الحقيقي للشجار، ومن ثم يعودون إلى اللعب بهدوء مرة أخرى.
- ٧ - اجعلي طفليّك يجلسان على الأرض في مواجهة بعضهما، وحاولي إبقاءهما على هذه الحالة حتى يبدأ في الضحك.
- ٨ - عندما يشكوان من أن أحدهما يضرب الآخر، كلّفي من يقوم بالضرب ببعض المهام التي تحتاج إلى مجهود عضلي حتى تعيدي توجيه طاقته.

● ماذا تفعل عندما يبدأ الشجار؟:

بعض الآباء يتدخلون بين أبنائهم مع أول بادرة للشجار، ولكن سيعتاد الأطفال أن تكون القاضي في كل مرة يتم فيها الشجار! .. وربما لا يحاولون حل خلافاتهم ومشاكلهم بأنفسهم.

والبعض الآخر يهمل الشجار تماماً، غير مباليين بالصراخ والسباب.. ولا يقلقون من أن يؤذي بعضهم بعضاً جسدياً أو بكلمات قاسية.

يجب على الآباء أن يعرفوا متى يكون تدخلهم ضرورة، ومتى لا يكون ضرورة..

فإذا كان الشجار هادئاً حاول أن تهمله، وتصرف كأنك لم ترَ أو تسمع.. مع متابعتك الخفية للموقف، لأن ذلك يعلم أطفالك الاعتماد على النفس في حل الخلافات والمشاكل التي تواجههم.

أما إذا اشتدت حدة الشجار، أو كان هناك أذى جسدي أو نفسي أو ألفاظ نابية، فعليك بالتدخل حينها مع مراعاة ما يلي:

١ - لا تكن قاضياً أو حَكماً، على الأقل في أول الأمر، حتى تستمع لجميع الأطراف.

٢ - تصرف بهدوء، لا تصرخ، لا تهدد، لا تقرر العقاب الآن.

٣ - أخبرهم أنهم يلعبون معاً يومياً، وأنت على يقين بأنهم قادرين على حل مشاكلهم بأنفسهم.

.. يتبع ..





الأطفال يتشاجرون! (٣)

الليلة
٢٥٤

● وإذا لم يفلح ذلك:

- ١ - افصل بينهم بحزم وهدوء في غرفة منفصلة على سبيل المثال، وامنحهم الوقت الكافي للهدوء.
- ٢ - اجتمع بأطفالك بعد ذلك، كل الأطراف معاً، واستمع إليهم..
- ٣ - اتركهم يعبرون عن أنفسهم، وما الذي جعلهم يغضبون؟..
- ٤ - اطلب منهم الاتفاق على التعامل بلا صياح، أو كلمات سيئة، أو ضرب.. وأن لكل منهم وقت يبدأ فيه، وأن هناك وقت محدد مثلاً لكل لاعب.
- ٥ - أخبرهم بعقاب الخروج عن هذه القواعد، وأن هذا العقاب سيُنَفَّذ، وليس فيه إهانة لأحد..

● كيف تقلل من حدوث شجار الأطفال؟:

- ١ - لا تفرّق بين الأشقاء في المعاملة؛ لا تقارن بينهم، حتى لا تزرع بذور الغيرة بينهم.
- ٢ - احرص على الانفراد بكل طفل ولو لخمس دقائق يومياً، تستمع إليه وتحدث معه.
- ٣ - لا تُهنئ أيّاً منهم، أو تطلق عليه ألقاباً سيئة.
- ٤ - ذكّر أطفالك أن هذا الشجار والخصام، إنما هو من عند الشيطان فليحذروه.
- ٥ - وذكّرهم بحب الله تعالى للعفو: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

- ٦ - وعلمهم أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه .
- ٧ - إذا أخطأ أحد الأبناء فينبغي أن يكون العقاب بحجم الخطأ ، فلا إفراط ولا تفريط .
- ٨ - وإذا كان الخطأ لأول مرة فابدأ بالتوجيه لا بالعقاب .
- ٩ - رسّخوا لدى أطفالكم مبدأ (عاملٌ كما تحب أن تُعامل) ^(١) .
- ١٠ - عوّد أطفالك على الستر؛ فإذا أخطأ الطفل لأول مرة فأخبره أنك لن تعلن ذلك الخطأ في البيت ، وذلك عملاً بقول النبي ﷺ : «من ستر أخاه المسلم في الدنيا ستره الله يوم القيامة» ^(٢) .

● ماذا يمكن أن يحدث إذا وقف الوالدان دون تدخل في خلاف أبنائهما؟:

- ١ - قد يكره أحد الأبناء أحد والديه بسبب وقوفه ساكناً دون تدخل .
- ٢ - قد تتحول العلاقة بين الإخوة إلى فوضى وخصومات دائمة .
- ٣ - قد يتطور إلى عراك جسدي مؤذٍ، وإذا تغلب أحدهم على الآخر فقد تتولد عند الأخير رغبة في الانتقام ، وقد يكره الأخ أخاه أو أخته .
- ٤ - قد يتعمّد الخلاف ويتحوّل إلى أزمة قد تستمر طويلاً ، ويتحوّل المنزل إلى ساحة توتر ونزاع مستمر .



(١) السلوك العدواني للأبناء، حسنين محمد الكامل، علي السيد سليمان؛ وسيكولوجية العدوان، خليل قطب أبو قورة .

(٢) صحيح الجامع: (٦٣٨٧) .



وفي السَّيَّارة يتشاجِرُونَ !

الليلة

٢٥٥

لا يتوقف الأطفال عادة عن الشجار عند ركوبهم للسيارة، وقد تبدأ المشاجرة حتى قبل أن يدير الأب محرك السيارة . .

يقول الأول: (لقد ضربني)، ويقول الآخر: (لقد أخذ لعبتي)، ويقول الثالث: (أريد أن أركب عند النافذة) وهكذا . . فكيف نحل هذه المشكلة؟ . .

لا شك أن الأطفال تملؤهم الحيوية والنشاط؛ يتشاجرون في بيت كبير وحديقة واسعة . .

ولكن كيف والمقاعد الخلفية للسيارة ذات مساحة ضيقة، وبعض الأطفال مربوطون بالأحزمة، فيلجؤون إلى هذا العراك الطبيعي في حياتهم؟! . .

١ - كن هادئاً ولا تجعل نفسك طرفاً ثالثاً في هذه المعركة التي ستخسرهما أنت، فإنَّ غضبك ورفع صوتك لتهدئتهم سوف تجعل أعصابك تثور، وتكون قيادتك للسيارة غير آمنة! . .

٢ - علِّم أبناءك آداب ركوب السيارة، وكرِّرها من فترة لأخرى .

٣ - ضع في المقاعد الخلفية أشياء تسليهم؛ كالكتب والألعاب أو أوراق أسئلة ومسابقات وغيرها . .

٤ - قم بتشغيل شريط مناسب لهم يستفيدون منه، وقل لهم: سأناقشكم في الشريط بعد عشر دقائق من الآن .

٥ - احرص على أخذ بعض الوجبات الخفيفة الصحية التي تشغلهم عن العراك .

- ٦ - بمجرد ركوبك في السيارة وقبل نشوب المعارك ابدأ الحديث معهم حول مواضيع تهمهم .. حاورهم في دراستهم، في مشاكلهم، فيما يشغل بالهم ...

● عندما تبدأ المشاجرات:

- ١ - توقف على جانب الطريق واخرج من سيارتك، أخبرهم أنك لا تستطيع قيادة السيارة وهم يتشاجرون ..
- ٢ - وكلما تكرر الشجار كرر الوقوف، وستنتهي هذه المشكلة بإذن الله على الأقل في هذه المرحلة.
- ٣ - اخرج بهم إلى مكان محبب لهم؛ كمحل للألعاب، أو مكان مثير لهم .. وإذا بدأت المشاجرات استدر بالسيارة وعد إلى المنزل مباشرة، وسيكون هذا درساً قاسياً عليهم ..
- ٤ - علّمهم أنك ستكرر هذا في أي رحلة معهم إذا استمر الشجار فيما بينهم .



كيف تحمي أبناءك من أخطار الطريق؟



كان الآباء والأمهات في الماضي ينصحون أبناءهم: «انظر يميناً ويساراً قبل أن تعبر الطريق»، «لا تكلم غريباً لا تعرفه». . . ولكن هذه الوصايا ليست كافية في هذه الأيام؛ فليس الخطر مجرد سيارة متهورة أو شخص غريب؛ فهناك أشكال أخرى للأخطار كلما بعدت المسافات بين البيوت والأسواق. . .

- ١ - لا تقل لابنك: «لا تتحدث مع الغرباء» فإن ذلك يجعلهم يخافون جميع الناس. . . قل لابنك: «رغم أن أكثر الناس طيبون، إلا أن هناك فئة قد تتصرف بشكل سيئ وتؤذيك» . . .
- ٢ - علم أبناءك كيف يتصرفون في الحالات الطارئة؟ ماذا يفعل الولد أو البنت لو فقد أهله في مكان معين؟ علمهم أن يبقوا في نفس المكان، أو يبحثوا عن رجل أمن، أو أمّ مع أطفال صغار فيطلبوا المساعدة. . .
- ٣ - كن على اتصال دائم بأبنائك، علمهم أن يفصحوا عن أي شيء مريب يحدث معهم، أو أي تصرف مشبوه من قريب أو مدرس أو صديق. . .
- ٤ - علمهم أن يُخبروك دوماً عن مكان وجودهم، أو يخبروا أي شخص كبير في البيت عن المكان الذي يذهبون إليه، وخاصة أننا في عصر الجوال. . . لا تدع ابنك أو ابنتك تذهب إلى مكان من دون «جوال»، أو أن يكون مع من حولها جوال.
- ٥ - احرص على أن يكون حول أولادك أصدقاء طيبون. . . تأكد من أسمائهم، من عائلتهم، وحاول أن تتعرف عليهم.
- ٦ - حدّثهم عن أخطار الأماكن المعزولة أو المهجورة حتى وإن أوحوا لك أنهم يعرفون كل ما تتكلم عنه. . .

- ٧ - علّمهم أن ركوب سيارة شخص غريب أمر محظور، وحذّرهم من أخذ أية هدية من شخص غريب . .
- ٨ - على الأبناء ألا يثقوا بأي شخص يأتي المدرسة أو النادي عند الانصراف يخبرهم أن أباهم قد أرسله ليصحبهم إلى المنزل أو المستشفى، مدّعياً أن أباهم في حالة خطرة، أو غير ذلك .
- ٩ - على الصغار أن يعلموا أن ليس كل من يعرف اسمهم هو بالضرورة صديق! علّمهم ألا يعطوا أسماءهم أو عنوانهم لأي شخص .
- ١٠ - إذا صمم شخص غريب على إمساك الصغير أو جذبه لمكان معين، فليصرخ بأعلى صوته، ويعرف كل من حوله أن هذا رجل غريب .
- ١١ - ينبغي على الأبناء أن يتعلّموا سلوك الطرق الرئيسة، وأن يتجنبوا الطرق الفرعية الخالية من المارة .
- ١٢ - إذا كنت تُوصل ابنك لمكان معين؛ فأوصله إلى مدخل المكان . . أعطه مبلغاً قليلاً من المال وعلّمه ألا يُظهر ما لديه من مالٍ إلا للضرورة .
- ١٣ - درّب أبناءك على أن يظهروا بمظهر الواثق من نفسه، وأن يكونوا متيقظين دوماً . . وعليهم ألا يستخدموا الأجهزة السمعية التي تمنع سمّاعاتها من سماعهم ما يدور حولهم، أو سماع نداءات التحذير من الآخرين .
- ١٤ - من الأفضل أن يسير الأبناء على الرصيف في اتجاه معاكس للسيارات، حيث يمكنهم رؤية السيارات أمامهم . . أما لو كانوا في الاتجاه الذي تأتي منه السيارات فلن يتمكنوا من رؤية من يأتي خلفهم^(١) .
- ١٥ - وأخيراً: ادعُ الله لهم أن يحفظهم ويرعاهم في حلّهم وترحالهم .

(١) كيف نحمي أبنائنا من أخطاء الطريق؟، للدكتور جاسم المطوع، بتصرف .



● إهمال الفتاة خطيئة:

نعم إهمال الفتاة خطيئة وربما كانت أعظم جرماً من وأدها (رغم أن الواد جرم عظيم بالطبع)؛ فإذا انحرفت و سلكت سبيل الشيطان دخلت جهنم وربما أدخلت أباهها معها .

لا تقسُ على ابنتك أو أختك فتضربها وتهينها! .

ولا تمتنع عن تلبية رغباتها طالما أنها في حدود الشرع . .

بل أعظم من ذلك ظلمها بعدم تزويجها من الكفء الذي ترضاه، أو تزويجها برجل لا ترضيه! يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « لا تُكرهوا فتياتكم على الرجل القبيح؛ فإنهن يحبين ما تحبون» .

فالفتاة إذا أهملت وأوصدت في وجهها الأبواب، وصارت محرومة من بسمة وفرحة، من كلمة طيبة وقلب حنون، وكان عندها ضعف في الإيمان وقلة في الوعي، فإنها قد تبحث عن متواصل معها، ويعوّضها الحرمان، ويُشبع عاطفتها ولو بعلاقة محرمة! .

وكثير من شباب السوء يستغلون ضعف مثل هؤلاء الفتيات، فيوقعون بهن في شراكهن، ويسلبونهن العِرض والشرف! . .

● عشر وصايا للفتاة التي تعاني من الفراغ العاطفي:

١ - إذا حَرَمَكِ أهلك العطف والحنان فلا تيئسي أبداً، اعلمي أن هذا بلاء من الله وامتحان لك ليري ماذا تفعلين، فاصبري وصابري، واحتسبي أجرك من الله .

٢ - وإن كنتِ حُرِمْتِ من صاحبات، فأنت بحمد الله تتمتعين بصحة وعافية، وكثير من الصفات الحسنة؛ فوجّهي نظرك إلى ما حباك الله به من النعم، واستثمري ذلك، ولا تلتفتي إلى ما نقص منك وفاتك! .

- ٣ - أحسن الظن بالله ولا تنظري بمنظار اليأس والحزن، فإن الفرج بإذن الله قريب، راجعي نفسك وصححي مسيرتك . . .
- ٤ - قوي صلتك بالله، بالذكر والقرآن والدعاء، املئي قلبك بحب الله ورسوله، واستعيني بالله وتوكلي عليه .
- ٥ - تذكري أن هذا واقعك وقدرك، كُتِبَ عليك لحكمة يعلمها الله، فتعاملِي معها بحكمة، وابحثي عن حلول مناسبة وفرص جديدة .
- ٦ - أشغلي نفسك بالبرامج النافعة والإبداع، ولا تستسلمي للفراغ القاتل . . التحقي بالأنشطة المفيدة من دروس القرآن وغيرها، وطوري من قدراتك وإمكانياتك، وحاولي إدخال السرور على الآخرين ولو بالكلمة الطيبة، فإن هذا من أسباب انشراح الصدر .
- ٧ - اعني بجمال نفسك ومظهرك، واحترمي ذاتك، وطوريها نحو الأفضل بالقراءة والهوايات المفيدة .
- ٨ - تفاءلي قدر الإمكان، وانظري إلى الحياة بنظرة حلوة، واعلمي أن هذه المرحلة ستزول بإذن الله عما قريب، فحافظي على دينك وخلقك^(١) .
- ٩ - احذري أشد الحذر من اللجوء إلى الصداقات المحرمة والعلاقات المشبوهة، وتيقني أن هذا الطريق وإن كانت بدايته جميلة، لكنه ينتهي بخسارة عظيمة وخزي في الدنيا وندامة في الآخرة . . ولا تثقي بأحد من الشباب يخاطبك على الجوال أو «بالشات» وغيره، مهما أظهر لك حسن النية، وخاطبك بالألفاظ الحسنة، وعبارات الحب والغرام .
- ١٠ - تواصلِي مع والديك وإخوانك، وقوّي صلتك بهم، تحاوري معهم وأوصلي لهم شكواك بطريقة مناسبة، لا تنتظري منهم العطاء وتقتصري على اللوم والشكوى، بل اعني باهتماماتهم ومواضيعهم ولو كانت تافهة .

(١) عشر وصايا للفتاة التي تعاني من الفراغ العاطفي، خالد البلهد، بتصرف .



دعتِ البنتُ على أبيها فقالَ: آمين!

الليلة
٢٥٨

كان ممَّن تأثرتْ أخلاقُهُم وأفكارُهُم بالطفرة المادية، فأصبح المال محبوبه الأول، وأعمتِ المادةُ بصيرته، فلم يعد يُبصر إلا من خلال ثقوبها الضيقة، وأصبح المال ميزانه الذي يزن به الأمور.

كانت له ابنة بلغت مبلغ الزواج، وأخذ الخُطَّاب على اختلاف مراتبهم يدقُّون بابه راغبين في الزواج من ابنته.

ولكنه كان يردُّهم بحجج واهية ظاهرها المصلحة وباطنها المادة، مع أن من هؤلاء الخُطَّاب أصحاب دين وخلق، ممن أوصى الرسول ﷺ بهم، ولكن لسان حاله كان يقول: أين الذي يدفع أكثر؟.

ومرَّت الأيام، وظل على أحلامه المادية، وترك قطارُ الزمن ابنته في محطة العنوسة، وغادر الخُطَّابُ بابه واتجهوا لغيره ممن لديهم دين وخلق، ممن يرفضون بيع بناتهم كالنعاج!.

وذبل شباب ابنته، وانطفأت نضارتها، ودبَّ السقم في جوانحها، وأصببت بداء عضال أضنى الأطباء شفاؤه، ونُقلت إلى المستشفى، وحانت لحظاتها الأخيرة.

أخبر والدها بالأمر، فأفاق من عالمه المادي وأتى مسرعاً، ليرى ابنته في ثوب المرض، بعد أن حرمها من ثوب الزفاف، نظر إليها مشفقاً عليها، ونظرتُ إليه بعينين قد اغرورقتا بالدموع.. أخذت تتمتم وتحرك شفثيها، دنا منها ليسمع ما تريد البوح به في لحظاتها الأخيرة، فوجدها تطلب منه أن يقول: آمين، فقال: آمين، ثم تمتمت مرة أخرى، وطلبت منه أن يقول: آمين، فقال: آمين، ثم فعلت ذلك مرة ثالثة، وطلبت منه أن يقول: آمين، فقالها.

وبعد فترة من الصمت المشحون بالأسى، سألتها برفق عن الدعاء الذي طلبت منه أن يؤمّن عليه، فأنحدرت دموعها الأخيرة، وأجابت بعد صمت بصوت واهن مليء بالحزن والأسى: لقد دعوتُ الله أن يحرمك الجنة كما حرمتني من الزواج! ..

وطوى القبرُ في باطنه مأساة دامية، وبقي المجرم الذي أعمى الجشعُ بصيرته، بقي يندب نفسه وابنته، ويعض أصابع الندم، ولات ساعة مندم.

لا شك أن دعاء البنت على أبيها غير جائز، وينبغي أن تترفع عنه الفتاة المسلمة، وإن ظلمها أبوها، وإنما ذكر هذا الموقف - على ما فيه - تحذيراً للآباء والأمهات من إعضال بناتهم.

والعنوسة ابتلاء من الله، ينبغي للمرأة أن تصبر وتحاسب له، وأن ترضى بما كتب الله لها، فالرسول ﷺ يقول: «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها»^(١). . . فاختيار الله للعبد خير من اختياره لنفسه.

ولا شك أن لهذا الأب أقرباء وأصدقاء وجيران ربما لم ينصحوه، ولم يوجّهوه. . . وقد يغتابونه وينهشون عرضه بذكر مثالبه في المجالس.

ولو أن كلَّ مخطئ وجد من ينصحه، ووجد مجتمعاً يقوّمه لما ركب رأسه، وحكّم هواه كما فعل هذا الأب! ..



(١) رواه البخاري.

يروى مستشار في الشؤون الأسرية قصة مأساته، فيقول:

أصبحتُ وحيداً بعد فراق زوجتي وابني!..

يا له من يوم مرعب ذهبْتُ فيه حياة زوجتي وطفلي الصغير في حادث سيارة، عندما تحدّثْتُ ابني بأبني أستطيع قيادة السيارة بسرعة فائقة! كان الطريق خالياً من السيارات والمشاة فأسرعتُ.. أَرْضَيْتُ رغبةَ ابني فسرّاً بذلك، كانت زوجتي تحذرنني كثيراً، ولكنني لم ألتفتُ إليها.

أنا السبب، وها أنذا الآن أدفع ثمن غلطتي؛ أصبحتُ وحيداً من غير أنيس في وحدتي..

أتذكر بحسرةٍ تلك الأيام الخوالي؛ نداء زوجتي كل صباح لتناول الإفطار، وحركات ابني في كل مكان..

أصبحتُ حياتي كئيبه موحشة، أحسستُ أنني لم أعد أتنفس الهواء فخرجتُ من المنزل..

ذهبتُ مشياً على الأقدام إلى العمل فقالوا: لِمَ أتيت متأخراً؟ فهناك عشرات الأشخاص يريدون استشارتك في أمورهم العائلية وحياتهم الشخصية!.

قلتُ في نفسي: وأنا؛ من أستشير؟ مَنْ يُخرجني مما أنا فيه؟ أنا مستشار الناس؛ أسمع قصصهم الأليمة كل يوم، ولكن أنا أستشير مَنْ؟.

وفجأة سمعتُ صوت امرأة مسنّة تصرُّ على أن تقابلني اليوم؛ أخذتُ تتوسل إلي كي أستمع شكواها.

قالت: يا سيدي المستشار! أنا أرملة ولي ثلاثة أبناء، كبروا وتعلّموا وتزوَّجوا.. بدأ الواحد تلو الآخر يغادر منزلي، وتركوني وحيدة..

فقلتُ: منذ متى وأنتِ وحيدة؟ قالت: منذ عشر سنوات؟ .. صعقتُ لسماع ذلك، ووقفتُ مشدوهاً.. قلتُ لها: أنتِ وحيدة منذ عشر سنوات، وليس معك أحد من أبنائك يؤنسك في وحدتك؟! ..

قالت: نعم، ولكن المشكلة لم تأتِ بعدا.

قلتُ وأنا في شبه صراخ: أي مشكلة بعد أن يتركوك وحيدة؟! ..

قالت: لقد أرسلوا إليّ رسالة يخبرونني فيها أنهم قادمون، وأنهم افتقدوني كثيراً.. وجئتُ أستاذي: أأغضب منهم؛ لأنهم لم يسألوا عني أبداً طوال تلك السنين؟ أم أسامحهم وأصفح عنهم؟ ..

عندها تذكرتُ زوجتي وابنتي وعدم عودتهم أبداً مهما طالت السنون.. قلتُ لها بعد تفكير عميق: لا.. استقبلهم بابتسامة على وجهك وكأن شيئاً لم يكن؛ فهم أولادك من لحمك ودمك، وقد نفصوا عن أنفسهم غبار التقصير..

قالت وعطر الشوق يفوح من ضحكتها، والابتسامة تغطّي تجاعيد وجهها: أشكرك أيها المستشار على نصيحتك الغالية، لقد أثلجت صدري، وأعدك بأني لن أخيب ظنك بي.. وذهبتُ.

ساءلتُ نفسي: لماذا لا تكون الابتسامة على وجهي مثلما ارتسمت على محيّا هذه المرأة؟ ما الفائدة من هذا الندم الدائم؟ لماذا أعاقب نفسي الآن؟ أليس هذا من قدر الله، وعليّ الرضا بقضاء الله وقدره.

لقد كنتُ وحيداً، أما الآن فلا! وأخيراً استيقظتُ أعماقي.. فسوف أنطلق ولن أتوقف^(١).



(١) هوازن مصطفى محمد، وحيداً ولكن، بتصرف.



«لا تقل لو أني فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَّرَ اللهُ وما شاء فعل؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان»^(١).

هكذا يعلمنا الحبيب المصطفى ﷺ كي لا نعيش متحسرين على الماضي، مهمومين بما سيأتي!..

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لئن يعصَّ أحدكم على جمرة حتى تُطفأ؛ خير له من أن يقول لأمرٍ قضاه الله: ليت هذا لم يكن».

ويقول ابن القيم رحمته الله: «من رضي بقضاء الله جرى عليه وكان له أجرٌ، ومن لم يرضَ جرى عليه وحبط عمله».

مرَّ إبراهيم بن أدهم على حزين مهموم، فقال له: إني سائلك عن ثلاث فأجبني: أيجري شيء في هذا الكون لا يريده الله؟ قال: لا.

فقال: أفينقص من رزقك شيء قدَّره الله؟ قال: لا.

فقال: أفينقص من أجلك لحظة كتبها لك في الحياة؟ قال: لا.

فقال: فعلامَ الهم والحزن؟!..

سهرتُ أعينٌ ونامتُ عيونُ في شؤونٍ تكونُ أو لا تكونُ
فدعِ الهمَّ ما استطعتَ فحملانك الهمومَ جنونُ
إن ربًّا كفاك ما كانَ بالأمسِ سيكفيك في غدٍ ما يكونُ

قال رسول الله ﷺ لأسماء بنت عميس:

(١) رواه مسلم.

«ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب أو في الكرب؟: الله الله ربي، لا أشرك به شيئاً»^(١).

كلمات خفيفة سهلة، تنطلق على كل لسان، ولكنها عند الله ذات شأن كبير.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أعلمك الكلمات التي تكلم بها موسى عليه السلام حين جاوز البحر ببني إسرائيل؟» فقلنا: بلى يا رسول الله! قال: «قولوا: اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

قال عبد الله بن مسعود: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢).

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كانت الآخرة هممه؛ جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة..»

ومن كانت الدنيا هممه؛ جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأتها من الدنيا إلا ما قُدِّر له»^(٣).

يقول صفي الدين الحلي:

وَكِلِ الْأُمُورَ إِلَى الْقَضَا	كُنْ عَنْ هَمِّكَ مُعْرِضًا
تُسَلِّكُ عَمَّا قَدْ مَضَى	وَانْعَمْ بِطَوْلِ سَلَامَةٍ
وَرَبِّمَا ضَاقَ الْفَضَا	فَلرَبِّمَا اتَّسَعَ الْمَضِيقُ
لَكَ فِي عَوَاقِبِهِ رِضَا	وَلرَبِّ أَمْرٍ مُسْخِطٍ
فَلَا تَكُنْ مُعْتَرِضًا	اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ



(١) صحيح أبي داود: (١٥٢٥).

(٢) رواه الطبراني، وقال المنذري: إسناده جيد، كما في الترغيب والترهيب: ٦١٨/٢.

(٣) صحيح الجامع: (٦٥١٠).



مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ: مَاذَا يَفْعَلُ؟

١ - من أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَسْتَرْجِعْ، وَلِيَحْتَسِبْ لِحِظَةِ وَقُوعِ الصَّدْمَةِ، ثُمَّ يَرْكُنْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعُوِّضَهُ عَنْ مِصَابِهِ.

ورسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: **إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اؤجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها**»^(١).

وقد بشر الله الصابرين بثلاث كل منها خير مما يتحاسد عليه أهل الدنيا: **صَلَوَاتٌ، وَرَحْمَةٌ، وَهَدَايَةٌ** من رب العالمين! قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

ويقول رسول الله ﷺ: «ما يصيب المؤمن من وصب، ولا نصب، ولا سقم، ولا حزن، حتى الهم يهته إلا كفر به من سيئاته»^(٢).

والوصب: هو المرض. والنصب: هو التعب.

٢ - ليحمد الله تعالى على أن مصيبته وقعت عند هذا الحد، وأنه تعالى لو شاء لجعلها أعظم مما هي.

٣ - أن يوظن المصاب نفسه على أن كل مصيبة تأتيه هي من عند الله تعالى، وأنه لم يقدرها عليه ليعذبه بها، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره. . وأن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. . لا تتسخط

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

أو تعترض على قدر الله فتفتوه بألفاظ التظلم والشكوى؛ قال ﷺ: «لا تتهم الله ﷻ في شيء قضى لك به»^(١).

٤ - لا يدعو المصاب على نفسه أو يحزن؛ فالنبي ﷺ يقول: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير؛ فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»^(٢).

٥ - ليعلم المصاب أن ليس في الدنيا لذة إلا وهي مشوبة بالكدر؛ فنوح ﷺ بكى ثلاثمئة عام، وإبراهيم ﷺ كابد النارَ وذبح الولد، ويعقوب ﷺ بكى حتى ذهب بصره، وموسى ﷺ قاسى من فرعون وقومه المحن، ومحمد ﷺ عانى من الاضطهاد ونفور قومه عنه.

٦ - أن يعلم المصاب أنه لولا محن الدنيا ومصائبها لأصابه من أدواء الكبر والعجب وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً.

٧ - أن يطفىء المصاب نار مصيئته بالتأسى بأهل المصائب؛ ففي كثير من بيوت المسلمين من أصيب مراراً بمصائب مختلفة!

٨ - على المصاب ألا ينشغل بالجزع والشكوى؛ فالجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها، وإذا صبر واحتسب أخزى شيطانه وأرضى ربه.

٩ - ينبغي للمصاب في نفسه أو بولده أو بغيرهما أن يجعل مكان الأنين والتأوه ذكر الله تعالى والاستغفار.

١٠ - أن يعلم المصاب أن من أعظم مصائب الدنيا والآخرة: المصيبة في الدين، وكل مصيبة دونه تهون^(٣).



(١) السلسلة الصحيحة، للألباني: (٣٣٣٤).

(٢) رواه مسلم.

(٣) ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين؛ وابن الجوزي، تسلية أهل المصائب.



● يصف الله تعالى بيت العنكبوت بأنه أوهن البيوت: ﴿وَأِنَّ أَوْهَنَ
الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

ولكن هل ساءلت نفسك يوماً عن بيتك الذي تعيش فيه: هل هو بيت
قوي متماسك أم أنه بيت ضعيف واهن؟ .

فالبيت الذي شُغل فيه الأب، وتخلت عنه الأم؛ بيت واهن .

والبيت الذي امتلأ بالأثاث الفاخر، وفرغ من الدين؛ بيت واهن .

والبيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن، ولا تُقام فيه صلاة؛ بيت واهن .

والبيت الذي دبَّ فيه الشقاق، وامتلاً بسوء الظن؛ بيت واهن .

والبيت الذي لا يُحترم فيه الكبير، ولا يُرحم فيه الصغير، بيت واهن .

والبيت الذي دخلت فيه أخلاق الكفر، وخرجت منه أخلاق الإسلام؛

بيت واهن .

والبيت الذي لم يدخله حب العطاء، ولم تخرج منه صدقات، بيت

واهن .

لستُ هنا لأبعث في قلوب البعض اليأس والإحباط، ولكن لا بدَّ من

وقفة ومراجعة للحسابات.. لا بد من محاسبة للنفس، ونظرة تفحُّص وتأمل

فيما نحن فيه ..

● دخل عامل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فوجده مستلقياً على ظهره،

وصبياناه يلعبون على بطنه، فأنكر ذلك عليه! فقال له عمر: كيف أنت مع

أهلك؟ .

قال: إذا دخلتُ سكتَ الناطقُ! .

فقال له: اعتزل، فإنك لا ترفق بأهلك ولا ولدك؛ فكيف ترفق بأمة محمد ﷺ؟! .

فيا أيها الآباء الذين إذا دخلوا بيوتهم اختبأ منهم الكبار والصغار خوفاً وهلعاً؛ ارفقوا بأهلكم، واستمعوا لما قال عمر رضي الله عنه! .

● مقارنة بين أم.. وزوجة:

كثير من الأخطاء والمشكلات تنشأ من المقارنة بين الأمهات والزوجات، فننظر الزوجة إلى الأم على أنها منافسة لها، وتنظر الأم إلى الزوجة على أنها معتدية عليها .

وقد يكون الزوج سبباً في الوصول إلى مثل هذه المواقف عندما لا يُحسن المعاملة والموازنة .

مرّضَ صخر بن عمرو وطال مرضه، وكانت أمه وزوجته سليمة يمرّضانه - أي: يُشرفان على علاجه وما يحتاج إليه من أكل وشرب ونظافة - فطال مرض صخر. . سُئلت زوجته سليمة عن حاله يوماً وكانت قد ضجرت، فقالت: لا هو حي فيرجى، ولا ميت فيبكي! .

فسمعها زوجها صخر، فقال الأبيات التالية مقارناً بين أمه وزوجته، موضّحاً أن الزوجة لا تكون بأي حال من الأحوال مثل الأم، لأن شفقة الأم وحنانها أعظم من حنان الزوجة:

أرى أمّ صخرٍ لا تَمَلُّ عيادتي	وملّتْ سُلَيْمَى مضجعي ومكاني
وما كنتُ أخشى أن أكونَ جنازةً	عليك ومن يغترُّ بالحدثان
لعمري لقد نَبّهتُ من كان نائماً	وأسمعتُ من كانت له أذنان
وأبيّ امرئٍ ساوي بأمّ حليلةً	فلا عاشَ إلا في شقاً وهوان





● لا شك أن عقل المرأة يتحجّر إن هي جلست في بيتها ولم تطوّر نفسها باستمرار من خلال ما تقرأ وتسمع . .
وينفّر الزوج من الزوجة الفارغة من الثقافة والمعرفة؛ فلا حديث لها إلا عن القشور التافهات من هذه الحياة .
كما أن تربية الأبناء في هذا العصر تحتاج من الأم وعياً وإدراكاً يتماشى مع طبيعة هذه الأيام .
وتستطيع ربة البيت مثلاً أن تستمع إلى شريط فيه أحد الدروس المفيدة، وهي تقوم بأعباء البيت مثلاً .
نظّمي وقتك وتابعي البرامج المفيدة التي تعرض في القنوات الهادفة؛ فلا يمكن أن نجعل أنفسنا تركّة في يد الأعباء الملقة على كاهلنا .
لِمَ لا تجتمع بعض الأخوات على لقاء تثقيفي أسبوعي في بيت إحداهن بالتبادل؟ ولماذا لا تتخذ كل زوجة من زوجها عوناً على طاعتها لله، فيصليان القيام جماعة، ويتولى كلٌّ منهم تنبيه الآخر لصلاة الفجر؟ .
يقول الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ :

الرجال هم حاملو الأعباء الثقال في قافلة الحياة السائرة؛ فهم يعودون إلى بيوتهم فقراء إلى المشاعر الدافئة والعون المبذول . .
والبيت الذي تكون قاعدته امرأة تنفخ هذه المعاني، بيتٌ رفيع القدر، بل هو بيتٌ يحتوي على أئمن الكنوز! . .

● وصايا عامة:

١ - استقبلي زوجك بابتسامة وحب وحنان .

٢ - إذا غضب زوجك فلا تفاجئيه بالشتم والانتقام، فالعفو من شيم الكرام.. اشحنه بدفء الحب والحنان، فسوف يعضُّ أصابعه ندماً وخجلاً! وإذا لم تستطعي ذلك فعليك بالصمت، وإياك أن تصبّي الزيت على النار!

٣ - لا تدّعي زوجك يرى إلا النظافة في البيت؛ فالنظافة من الإيمان، ولا تؤخّري مائدة الطعام عن الوقت المعتاد.

٤ - حافظي على تربية أبنائك تربية صالحة، ازرعي فيهم الأخلاق النبيلة والآداب الفاضلة، علميهم كيف ينالوا ثقافة إسلامية راقية.

٥ - أطيعي زوجك؛ فطاعة الزوج تزرع الحب والمودة والوئام.

٦ - احترمي زوجك وأولادك كي يحترم الجميع بعضهم بعضاً.

قال عبد الله بن جعفر لابنته:

يا بنية! إياك والغيرة؛ فإنها مفتاح الطلاق..

وإياك والمعاتبة؛ فإنها تورث الضغينة..

وعليك بالزينة، واعلمي أن أزين الزينة الكحل، وأطيب الطيب الماء.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل همّ بطلاق امرأته: لِمَ تطلّقها؟ قال: لا أحبها، فقال عمر: «أوكّل البيوت بُنيت على الحب؟ فأين الرعاية والتدّم؟».

٧ - لا تنسي أن تكثري من الدعاء لأبنائك؛ فقد دعت أم الشيخ عبد الرحمن السديس (إمام الحرم المكي) له أن يصبح إماماً للحرم، فصار!

وأعرف آخر دعت له أمه أن يخاطب العالم، فصار أحد الدعاة على الفضائيات يخاطب الملايين في أرجاء العالم!





كم من حوار بين زوج وزوجته لم يُراعَ فيه أصول الحوار وآدابه كانت نهايته الطلاق! ..

وكم من حوار نزع الشيطان فيه بين المرء وصاحبه؛ فكانت عاقبته الفراق! ..

وكم من القلوب تشتت بسبب جدل لا طائل منه! ..

والرسول ﷺ نهانا عن المراء فقال: «أنا زعيمٌ بيتٍ في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحققاً»^(١).

وتخطئ الزوجة التي تفتح باب الحوار (بل باب المشاجرة) مع زوجها وهو غضبان؛ ولذلك قال أحد الرجال قديماً يوصي زوجته:

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتني حين أغضب
ولا تُكثري الشكوى فتذهب بالهوى ويأباك قلبي والقلوب تُقلَّب
فإني وجدتُ الحب في القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهب!

ولمَّا دخل أبو الدرداء رضي الله عنه على زوجته قال لها: إذا رأيتني غضباناً فرضيني، وإذا رأيتك غضبي رضيتك، وإلا لا نعيشُ بعد اليوم أبداً! .

دع أهل بيتك يعبرون عن آرائهم بصراحة في حواراتهم معك، وأحظ هذه الصراحة بسورٍ من أدب الحديث الذي تعلّمناه من الإسلام، فهذا هو سيد البشر ﷺ يسمح لزوجاته أن يُراجعه في القول، فتُدلي كلُّ واحدةٍ منهن برأيها، وتعبّر عمّا في صدرها بل وتدافع عن نفسها، فليس هو وحده الذي يتكلم في البيت! .

(١) رواه أبو داود: (٤٨٠٠). وربض الجنة: طرفها.

قالت زوجة عمر - وقد أنكر عليها عمر رضي الله عنه مراجعتها له بالحديث -:
«إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه».

فبعض الأزواج ما إن تحاوره زوجته حتى يحمراً وجهه، وتنتفخ أوداجه، ويعلو صوته حتى يسمعه الجيران فضلاً عن الأولاد!

وقد قيل قديماً: «إن كثرة صخب الرجل دليل على حماقته وقلة عقله».

وإذا كان ارتفاع الصوت في غير موضعه من الرجال قبيحاً، فهو من النساء أقبح وأشنع، ولذلك أغلظ أبو بكر لعائشة رضي الله عنها عندما سمعها ترفع صوتها على النبي صلى الله عليه وسلم، حيث جاء رضي الله عنه يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم، فسمع عائشة وهي رافعة صوتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأذن له، فدخل.

فقال: يا بنة أم رومان - وتناولها - أترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! ..

قال: فحال النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبينها.

قال: فلما خرج أبو بكر جعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها - يترضاها -: «ألا ترين أنني قد جِلتُ بين الرجل وبينك؟» (أي: أنني دافعتُ عنك).

قال: ثم جاء أبو بكر فاستأذن عليه فوجده يضحكها.

قال: فأذِنَ له، فدخل، فقال له أبو بكر: يا رسول الله! أشركاني في سِلمكما كما أشركتماني في حربكما^(١).



(١) السلسلة الصحيحة: ٩٤٤/٦.



الليلة
٢٦٥

مَنْ أَفْضَلُ: الْعَالِمُ أَمْ الْغَنِيُّ؟

قيل لحكيم: الأغنياء أفضل أم العلماء؟.

فقال: العلماء أفضل!.

فقيل له: فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء، ولا نرى الأغنياء يأتون أبواب العلماء؟.

فقال: لأنَّ العلماءَ عَرَفُوا فَضَلَ الْمَالِ، وَالْأَغْنِيَاءَ لَمْ يَعْرِفُوا فَضَلَ الْعِلْمِ!.

يقول أحد العارفين:

«العالمُ يعرف الجاهل؛ لأنه كان جاهلاً..

والجاهل لا يعرف العالم؛ لأنه لم يكن عالماً»!.

تعلّم العلم لتعمل به، ولا تتعلّمه لتحديث به؛ فيكون عليك وزره، ولغيرك نوره.

كان داودُ الطائي يوماً يحضر مجلس أبي حنيفة رضي الله عنه، فجاءت امرأة إلى أبي حنيفة تسأله عن مسألة، فأجابها! فأعجبت بجوابه، ثم قالت: هذا العلم؛ فأين العمل؟! فأثر كلامها في قلب داود، فصار عظيم الشأن عالماً وعملاً، وزهداً وورعاً.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة؛ فإذا سمع العلم خاف ورجع وتاب، فانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء».

وليس العلم أن تعرف ما كنت تجهل، ولكن أن تستفيد من معرفتك،

وأن تعمل بما علمت.. ومن هنا قول رسول الله ﷺ: «سلوا الله علماً نافعاً، وتعوّدوا بالله من علم لا ينفع»^(١).

لا تأخذ العلوم من الكتب وحدها، مهما بلغت درجة الفهم عندك.. خذ العلم من أفواه العلماء؛ اسألهم وناقشهم، تثبّت من المعلومات قبل أن تناقش فيها أحداً..

يقول الحسن بن يسار: لولا العلماء لصار الناس أمثال البهائم.
ويقول الجاحظ:

إذا لم تكن حافظاً واعياً فجمّعك للكتب لا ينفع
ويقول أحدهم: إن الله إذا استرذل عبداً؛ زهده في العلم.

تعلم أن تكتب ما تسمع، واستمع إلى قول الشاعر:

العلم صيدٌ والكتابةُ قيدهُ قيّد صيودك بالحبالِ الوثاقه
فمن حماقة أن تصيد غزاله وتفكّها بين الخلائق طالقه
يقول الحسن البصري: لقد كان الرجل إذا طلب العلم يرى ذلك في
بصره، ولسانه ويده، وصلاته وزهده.

أما الآن.. فقد أصبح العلم (مضيدة).

وما أجمل قول الإمام مالك رضي الله عنه: «ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يضعه الله في القلوب».



(١) صحيح الجامع: (٣٦٣٥).



هَلِ الْوَقْتُ مِنْ ذَهَبٍ؟

الليلة
٢٦٦

لو أننا سألنا فطاحل العلماء والمخترعين، والعظماء والناجحين: عن سبب نجاحهم، وسر ما وصلوا إليه؛ لأجابوك بلا تردد: «الوقت من ذهب».

أفلا نعجب بعد ذلك من أناس يقتلون الوقت وكأنه العدو اللدود؟! يمضون ساعات وساعات أمام الفضائيات، أو عابثين لاهين على الإنترنت والشات، أو في المقاهي والصالات، أو في متابعة المباريات!..

والله إن المرء ليعجب من فرح هؤلاء بمرور الأيام، وسرورهم بانقضائها، ناسين أن كل دقيقة تمضي من عمرهم تقربهم من القبر والآخرة، وتبعدهم عن الدنيا:

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ نَقْطَعُهَا وَكُلَّ يَوْمٍ مَضَى جِزْءٌ مِنَ الْعُمُرِ
يروى: أن الإمام الطبري قال لتلاميذه: هل تنشطون لتفسير القرآن (في الدروس التي يعطيها لتلاميذه)؟ قالوا: في كم صفحة سيكون؟ قال: سيكون نحواً من ثلاثين ألف صفحة.. قالوا: سيفنى عمرنا قبل تمامه وما انتهينا من الدرس!..

فاختصره في ثلاثة آلاف صفحة!..

وبعد أن انتهى منه، قال: أتنشطون في كتابة التاريخ من عصر آدم إلى يومنا هذا؟ قالوا: في كم صفحة؟ قال: في ثلاثين ألف صفحة.. قالوا: هذا ما تفنى الأعمار قبل إتمامه!..

فاختصره في نحو من ثلاثة آلاف صفحة، ثم قال: **﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ**

رَجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].. لقد ماتت الهمم!..

تُرى ماذا يقول لو جاءنا الطبري الآن ورأى همم معظم الناس؟..

ورحم الله الشاعر الذي يقول:

الوقتُ أنفسُ ما عنيْتُ بحفظِهِ وأراهُ أسهلَ ما عليكِ يُضَيِّعُ
هل فكرتَ في العطلة الصيفية أن تقرأ: «رياض الصالحين»؟ أو تقرأ
شرحه؟ هل فكرتَ أن تقرأ تفسيراً واحداً (في مجلد واحد) للقرآن
الكريم؟ ..

ثم أليس أكثرنا يضيِّع أوقاته في القيل والقال، في الدرهم والدينار،
أو في أحاديث فارغة؟ ..

وهذا الإمام البخاري كان يستيقظ في الليل أكثر من عشرين مرة؛ في
كل مرة يستيقظ ليسجِّل خاطرة (أو فائدة علمية) خطرَتْ على باله، فيقوم
ليُشعل السراج، ثم يكتب الجملة أو الجملتين، ثم يُطفى السراج ويرجع
لينام! .

ألَسنا نردد مقولة: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك؟ .

ولكن لماذا لا نطبقها في حياتنا اليومية؟! ..

هل جلستَ يوماً في صالة الانتظار، وقرأت كتاباً تحفظه في جيبك؟ .

هل استفدتَ من أوقات فراغك الكثيرة فيما يفيدك؟ .

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: ما ندمتُ على شيء ندمي على يوم غربت
شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي .

تحكّم بالوقت ولا تدعه يتحكّم فيك، خذ الأولويات الأول فالأول،
ولا تترك وقتك بأشياء غير ضرورية . . اكتب قائمة يومية بالأشياء التي تريد
أن تنجز .

نظّم وقتك ولكن ليس على حساب وقت غيرك، واستفد حتى من
دقائق معدودات .



النجاح مطلب الجميع، وتحقيقه هدف أساس عند الطالب .

وهذه وصايا تخرج من قلب يلهم بالدعاء لك بالنجاح :

١ - الطموح كنز لا يفنى: لا يسعى للنجاح من لا يملك الطموح، فكن طموحاً وانظر إلى المعالي، فهذا عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين يقول معبراً عن طموحه: «إن لي نفساً تَوَاقَة، تمنَّت الإمارة فنالتها، وتمنَّت الخلافة فنالتها، وأنا الآن أتوق إلى الجنة وأرجو أن أنالها».

٢ - العطاء يساوي الأخذ: فاعمل واجتهد وابذل الجهد لتحقيق النجاح والهدف، فمن جدّ وجد، ومن زرع حصد.

٣ - غير رأيك في نفسك: فأنت أقدر ممّا تتصور، وأقوى مما تتخيل، وأذكى مما تعتقد... اشطب كل الكلمات السلبية عن نفسك؛ مثل: «لا أستطيع، لست شاطرًا».. وردّد باستمرار: «أنا أستحق الأفضل، أنا قادر».. فالناجح يبدأ رحلته بحب النجاح والتفكير فيه، وعليك أن تؤمن بأنك ستنجح - بإذن الله -.

والناجحون لا يفوزون وهم جالسون لاهون ينتظرون النجاح، ولا يعتقدون أنه فرصة حظ، وإنما يصنعونه بالعمل والجد واستغلال الفرص.

٤ - الفشل مجرد حدث وتجارب: لا تخشَ الفشل، بل استغلّه ليكون معبراً لك نحو النجاح؛ فأديسون مخترع الكهرباء قام بـ (١٨٠٠) محاولة فاشلة قبل أن يُحقّق إنجازَه الرائع.. والوحيد الذي لا يفشل هو من لا

- يعمل، فلا تخف من الفشل، ولا تترك محاولة فاشلة تصيبك بالإحباط، وما الفشلُ إلا هزيمة مؤقتة تخلق لك فرص النجاح.
- ٥ - املأ نفسك بالإيمان والأمل: فالإيمان بالله يمنحك القوة، وينير لك الطريق.
- ٦ - اكتشف مواهبك واستفد منها: فلكل إنسان مواهب وقوى داخلية ينبغي اكتشافها وتنميتها.
- ٧ - الدراسة متعة في طريق النجاح: فالمرحلة الدراسية من أمتع لحظات الحياة، ولا يعرف متعتها إلا من مرّ بها والتحق بغيرها، وخصوصاً لو ارتبطت عند صاحبها بالإخلاص لله، فطالب العلم عابد لله.
- ٨ - الناجحون يثقون دائماً في قدرتهم على النجاح: فالثقة في النجاح يعني دخولك معركة النجاح بنفسية عالية، والذي لا يملك الثقة بالنفس يبدأ معركته منهزماً.
- ٩ - الجهد المبذول تسعة أعشار النجاح: أما الإلهام والخيال فلا يشكل أكثر من (١٪).
- ١٠ - لا تحسبنَّ المجدَ تمرّاً أنتَ آكلُهُ لن تبلغَ المجدَ حتّى تعلقَ الصَّبْرُ
لا تنسَ أن تبغني في كل عملك وجه الله تعالى، تنجح وتُوجر.





عَشْرُ خُطُوبٍ لِلإِسْتِعْدَادِ لِلْمُنَادِرَةِ

الليلة
٢٦٨

- ١ - أخلصِ النية لله، واجعل طلب العلم عبادة.
- ٢ - ثق بتوفيق الله، وابذل الأسباب.
- ٣ - احذف كلمة «سوف» من حياتك، ولا تؤجّل.
- ٤ - احذر الإيحاءات السلبية: «أنا فاشل»، «المادة صعبة».
- ٥ - ثق في أهمية العلم وتعلّمه.
- ٦ - احذر رفقاء السوء وقتلة الوقت.
- ٧ - نظم كراسيتك وأوراقك، ولا تكن فوضويّاً.
- ٨ - أدِّ واجباتك، وراجع ما تأخذ يوماً بيوم.
- ٩ - تزوّد بأحسن الوقود من الغذاء، فأكثر من الفواكه والخضراوات، وتجنّب الوجبات السريعة.
- ١٠ - لا تذاكر أبداً وأنت مرهق.

● نظم وقتك:

- ١ - تذكّر أن أحسن طريقة لاستغلال الوقت أن تبدأ الآن!
- ٢ - حدّد أولوياتك الدراسية وفق الوقت المتاح.
- ٣ - ضع جدولاً يومياً أو أسبوعياً لتنظيم الوقت والأولويات.

● من طرق تقوية الذاكرة:

- ١ - افهم أولاً؛ فإن ذلك يساعد على الحفظ والتخزين.
- ٢ - استذكر موضوعات متكاملة بدلاً من أجزاء متفرقة.

- ٣ - الربط بين ما تذاكر وما لديك من معلومات يقوّي الذاكرة.
- ٤ - اتباع الأساليب الصحيحة عامل أساس لتقوية الذاكرة: نوم مريح، وغذاء متكامل، ورياضة بدنية، وتفاؤل وحسن تعامل مع الناس.
- ٥ - لا تنسَ أن الاهتمام وحبّ الاستطلاع وسائل لتقوية ذاكرتك.
- ٦ - صنّف المواد حسب المواضيع، وحسب البساطة والصعوبة، فإن ذلك يسهّل عملية الاستذكار.

● من أجل حفظ متقن:

- ١ - ادعُ الله تعالى أن يجعل علمك طاعة لله.
- ٢ - افهم ما تقرأ، ثم بادر إلى الحفظ.
- ٣ - صمّم على تسميع ما ستحفظ (استمع لنفسك).
- ٤ - قسّم النص إلى وحدات، ثم احفظ.
- ٥ - ورّع الحفظ على فترات زمنية.
- ٦ - كرّر، ثم كرر، ثم كرر.
- ٧ - اعتمد على أكثر من حاسة في الحفظ، ارسم صوراً تخطيطية، لَوّن بعض الرسوم أو الفقرات الرئيسة.
- ٨ - لا تؤجّل الحفظ إن أخذت الدرس اليوم.
- ٩ - قاوم النسيان، وادعم التذكّر بالتخيل والربط، وبالتكرار والتلخيص.
- ١٠ - تجنب المعاصي وتذكر قول الشافعي:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأنّ العلمَ نورٌ ونورُ الله لا يُهدى لعاصي





الليلة
٢٦٩

ابنك قَبْلَ الامتحان.. رسالةٌ إلى الأم

لأُم دور كبير في تهيئة الجو المناسب للأبناء أيام الامتحانات، فيدخلونها آمنين مطمئنين إلى توفيق الله تعالى:

- ١ - احرصى على تنظيم وقتك، وتقسيمه بين أعمالك المنزلية، ومراجعتك لأولادك، ومشاغلك الأخرى.
- ٢ - أشعري أولادك باهتمامك بهم؛ فإن ذلك يبعث الطمأنينة في قلوبهم.
- ٣ - أعدّي لهم غرفة خاصة للمذاكرة، وحاولي توفير جو من الهدوء.
- ٤ - ذكّريهم بمواعيد الصلاة، وعلمهم الاستعانة بالله، تطمئن قلوبهم إلى ركن رشيد.
- ٥ - تجنبى الخلافات الزوجية أمام الأبناء، فتوترك ينعكس عليهم ويُربك حالهم.
- ٦ - طمئني ابنك قبل الامتحان إلى أن الله سيرى عمله، ولن يضيع ما سهر من ليالٍ، وما بذل من جهد.. ذكّريه بأن عليه أن يجتهد ويعمل، ويترك النتائج لله تعالى.
- ٧ - أفهميه أن واجبه في مرحلة الدراسة هو بذل أقصى ما يستطيع من جهد في المذاكرة وتحصيل العلم.
- ٨ - لا تنسى أن أبناءك أطفال يحتاجون للعب واللهو والترويح، فلا يمكن أن نطلب منهم أن يكونوا كآلات المصانع!..
- ٩ - اتركهم يلعبون خلال أوقات الراحة؛ فإن ذلك يساعدهم على تجديد النشاط، فيقبلون على المذاكرة بعد ذلك بتركيز وحماس.

- ١٠ - اهتمي بالغذاء الصحي المتوازن؛ لأن الطفل يحتاج إلى مجهود ذهني تُوفِّره العناصر الغذائية والمشروبات الطبيعية التي تمدُّ العقل بما يحتاجه من طاقة للتفكير والتحصيل.
- ١١ - لا تنسي مبدأ الثواب والعقاب عند مراجعة الدروس، وليكن الثواب بحبِّ، والعقاب بعيداً عن العنف.
- ١٢ - اغرسي روح التنافس الجميل بين أبنائك، وراعي الفروق الفردية بينهم، لا تقارنيهم بغيرهم؛ فإنهم ينظرون للمقارنة نظرة اتهام لهم بالتقصير.
- ١٣ - ذكريهم بقدراتهم ومواهبهم من حين لآخر، تنغرس الثقة في نفوسهم.
- ١٤ - وفي يوم الامتحان لا تنسي أن توصي ابنك بقراءة الأسئلة وفهمها جيداً قبل الإجابة عنها، مع تعميق ثقته بالله أولاً ثم بنفسه.
- ١٥ - علِّمهم أن يبدؤوا بما دعا به موسى ﷺ: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٥ - ٢٨].
- ١٦ - وأخيراً: لا تنسيهم من الدعوات المباركات في الليل والنهار؛ فليس هناك شيء يعدل دعاء الأم لأبنائها بالرضا والتوفيق.





عيناي لم تعودا تدّمعان!

الليلة
٢٧٠

تمرُّ على بعض الناس فترات يشعرون خلالها بتراجع في الإيمان، وفتور في العلاقة مع الله . .

وهو شعورٌ طبيعيٌّ قد ينتاب الإنسان، فإن أصابك الفتور وأنت محافظ على الفرائض والنوافل والطاعات، فلا تقلق كثيراً، فهي حالةٌ طبيعيةٌ تمضي إن شاء الله، وستعود بمشيئة الله تعالى إلى أفضل مما كنت، شريطة الحفاظ على ما تقوم به من طاعات .

وقد يكون سبب ذلك تطورات طرأت في حياتك من مشكلات، أو دراسة، أو التزامات عائلية، قللت من تركيزك في طاعتك، فأثر على شعورك بلذة هذه الطاعات! .

انظر في هذه المستجدات، لا تجعلها تمتلك كل تفكيرك ووقتك، وبذلك تستطيع العودة لتركيزك وخشوعك .

- فعندما يقول ﷺ في الحديث الرائع حقاً: «تبسّمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلالة لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة»^(١) .

- وعندما يخبرنا ﷺ: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك فأخذه، فشكر الله له فغفر له»^(٢) .

(١) صحيح الترمذي: (١٩٥٦).

(٢) رواه البخاري .

- وعندما يأمرنا ﷺ بالسماحة: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى»^(١).

- وحين يصف المنافق بـ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوّمن خان»^(٢).

كلُّ هذا الكم من الأوامر والفضائل «المعاملاتية»، هل هي لمجرد العلم، أم هي للممارسة أيضاً؟.

وهل لها - إذا ما طبقناها - علاقة بزيادة الإيمان في قلوبنا أم لا؟ ..

ابتسم في وجوه الناس تزدد إيماناً، أمط الأذى عن الطريق، عامل الناس بخلق حسن، كن سمحاً سهلاً ليناً مع الناس، يرتفع إيمانك.

تقرب إلى الله بالمعاملة، مثلما تقربت إليه بالطاعة.

أتقن عملك، التزم في مواعيدك، كن فرداً نافعاً فعالاً في المجتمع، وافعل كل ذلك إرضاءً لله تعالى.

كن طالباً مُجِدِّدًا، أكثر من الأعمال التي تُشعرك بقربك من الله تعالى، أكثر من قراءة القرآن، أنفق في الخفاء حتى لا تعلم شمالك ما تنفق يمينك؛ تجد لذة في النفس لا تعدلها لذة.

احمد الله على أن أعانك على المزيد من طاعته.

واسأله سبحانه أن يعيد السكينة والهدوء إلى قلبك، وأن يرجع إليك العين التي لا تمسها النار: «عينٌ بكت من خشية الله».



(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري ومسلم.



قَطْرَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى اللَّهِ

إذا مرّت عليك أيام لم تدمع فيها عيناك من خشية الله، ثم رأيت عينيك تذرفان دمعة في لحظات رُوح وإيمان؛ فاعلم أنه غيث السماء، يرسله الله على جذباء الأرض، فینبت فيها الحياة من جديد.

يقول ﷺ: «ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين، وأثرين: قطرة دموع من خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله، وأما الأثران فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله»^(١).

يقول الله تعالى: ﴿وَيَخْرُجُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

وكان الضحّاك بن مزاحم إذا أمسى بكى! فيقال له: ما يبكيك؟ فيقول: لا أدري ماذا صعد اليوم من عملي!.

وقال كعب الأحمار: لأن أبكي من خشية الله فتسيل دموعي على وجنتي؛ أحب إليّ من أن أتصدق بوزني ذهباً.

كان ابن المنكدر إذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه، ويقول: بلغني أن النار لا تأكل موضعاً مسّته الدموع.

ولم يكن بكاء الصالحين على شيء من الدنيا..

بل كان تذكراً لذنوبهم وسيئاتهم..

أو تفكراً في تقصيرهم تجاه ربهم..

أو خوفاً من عذابه، أو أن تُردّ أعمالهم..

أو خوفاً من الموت قبل الاستعداد له..

(١) صحيح الترغيب: (٣٣٢٧).

أو شوقاً إلى الله جلّ في علاه .

ويقول بكر بن عبد الله المزني: «مَنْ مِثْلَكَ يَا بَنَ آدَمَ؟ خُلِّيَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمِحْرَابِ تَنَاجِي رِبِكْ، لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ . . وَتَتَطَيَّبُ بِعَطْرِ الْمُؤْمِنِ بِهَذِهِ الدَّمُوعِ تَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنَيْكَ، فَأَيْنَ الَّذِينَ يَتَطَيَّبُونَ بِهَذَا الطَّيِّبِ؟!» .

١ - خذ لنفسك خلوة في أوقات إجابة الدعاء؛ تحاسب فيها نفسك، وتصارع فيها قلبك، فتعرف مقامك وتقصيرك، وعندها تسارع إلى الاستغفار والبكاء من خشية الله .

٢ - أنصت إلى شريط أو برنامج فيه تذكرة أو موعظة، فكم من كلمة طيبة كانت سبباً في تغيير حياة إنسان؟! .

يقول إبراهيم بن أدهم: علامة سواد القلوب ثلاث، ذكر منها: ألا يجد المرء في التذكرة مألماً . .

٣ - حاسب جوارحك، وتذكر قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَئِن لَّجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢٠ - ٢١] .

فقد نظر يونس بن عبيد إلى قدميه عند موته، فبكى وقال: «هذه قدماي لم تغبرا في سبيل الله»! .

فهو يحاسب نفسه قبل أن يحاسب! إنها حسرات الصالحين .

مرَّ أبو بكر رضي الله عنه على رجل يبكي من خشية الله، فقال: هكذا كنا حتى قست قلوبنا! . .

فإذا كنت تقول هذا يا أبا بكر! فماذا نقول نحن؟! . .





قال الحسن البصري رضي الله عنه لرجل عاد من جنازة: أترأه لو رجع إلى الدنيا لعمَلٍ صالحاً؟ قال: نعم.

فقال له الحسن البصري: فإن لم يكن هو، فكُنْ أنت! .

فلماذا نطلب من الآخرين أن يكونوا صالحين وننسى أنفسنا: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤].

يقول لقمان الحكيم لابنه: «يا بني إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيه ناس كثيرون، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله ويعيها، وحمولتها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله ويعيها».

فإذا كنا نعرف السفينة وما تحمل، ونعرف طريق النجاة وما فيه؛ فلماذا نحيد عنه؟! .

يقول الحسن البصري:

«يا بن آدم! بعْ دنيك بآخرتك؛ تريحهما جميعاً..»

ولا تبِعَنَّ آخرتك بدنيك؛ فتخسرهما جميعاً..»

مَنْ منا يريد خسران دينه ودنياه؟! ولكن ألا تجد، في واقعنا، كثيراً من الناس بها مفرطين؟! ..

يقول أحد العارفين:

القلب لا يخلو من حلاوة المحبة: إما محبة الدنيا، وإما محبة الله..

وهما في القلب كالماء والهواء في القدرح..

فالماء إذا دخل في القدرح خرج الهواء؛ ولا يجتمعان! ..

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما كانت الدنيا همَّ رجل قط إلا لزم قلبه أربعُ حصال: فقرٌ لا يُدرِّكُ غناه، وهمٌّ لا ينقضي مداه، وشغلٌ لا ينفذ أولاه، وأملٌ لا يبلغُ منتهاه!». .

ولكن كيف السبيل إلى صلاح الدنيا والآخرة؟ ..

أليس الأجدر بنا أن نقوِّم أنفسنا؛ نُصلح ما طرأ عليها من اعوجاج، نعيد رسم طريقنا إن تلبَّدت سماء القلوب بالضباب! .. تعالوا نعيد إلى القلوب صفاءها، وإلى الأرواح جلاءها، ونعيش أجواء الإيمان والإحسان:

إذا الإيمانُ ضاعَ فلا أمانٌ ولا دنيا لمن لم يُحْيِ ديننا
ومن رضيَ الحياةَ بغيرِ دينٍ فقد جعلَ الفناءَ له قرينا
سائل نفسك: أيها الذُّ وأبقى: طعام وشراب وملبس، أم دعوة من
تائه اهتدى على يديك؟ ..

يقول مصطفى لطفى المنفلوطي رحمته الله: «لو أن جميع لذائذ الدنيا مأكلاً ومشرباً وملبساً ومسكناً وُضعت لي في كفة، ثم وُضعت لي في الكفة الأخرى لذتي في هداية تائه ضلَّ به طريقه، أو معونة بائس انقطع به أمله، لرجحت عليها!». .





قيل لإبراهيم بن أدهم: اجلس إلينا فحدّثنا! .

قال: حتى أفرغ من ثلاث! .

قيل: وما هي؟ .

قال: الأولى: لَمَّا نزل المَلَكُ لتصويري في الرحم، وقال: يا ربُّ! أشقيِّ أم سعيد؟ فما أدري ما كان الجواب؟ ..

الثانية: حينما ينزل المَلَكُ لقبض روعي، ويقول: يا ربُّ! على الإيمان أم على الكفر؟ فما أدري ما يكون الجواب؟ ..

الثالثة: لَمَّا يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وينادي المنادي: يا أهل الجنة! خلودٌ بلا موت، ويا أهل النار! خلود بلا موت؛ فما أدري مع أي الفريقين أكون؟ ..

تزوّد من التّقوى فإنّك راحلٌ وسارِعٌ إلى الخيرات فيمن يُسارعُ
فما المأل والأهلون إلا ودائعٌ ولا بدّ من يومٍ تُردُّ فيه الودائعُ
والتوفيق للطاعة نعمة محضة من الله تعالى تستوجب الشكر،
وتستوجب المزيد من التذلل إلى الله تعالى لئلا يحرمك منها .

وليست العبرة بكثرة الأتباع في هذه الحياة، إنما العبرة بالنجاة من عذاب النار . .

يقول أحد العارفين: «الناس يطلبون العزَّ بأبواب الملوك، ولكنهم لا يجدونه إلا في طاعة الله» .

خلّ الذنوبَ صغيرها وكبيرها ذاك التّقي

واصنع كَمَا شِ فوقَ أَرَضِ الشَّوْكِ يحذرُ ما يرى
لا تحقرنَّ صغِيرَةً إِنَّ الجِبَالَ من الحَصَى
فلا تحقرنَّ صغائرَ الذنوبِ، ولا تنظرِ إلى صغرِ المعصية بل انظرِ إلى
عظمة من تعصيه .

يقول أحد الصالحين: «اتق الله أن يكون أهونَ الناظرين إليك» . .

فإياك أن تستهين بنظرة الله إلى ما تفعل! . .

ويقول وهب بن الورد: خَفِيَ اللهُ على قَدْرِ قُدْرته عليك، واستَحْي منه
على قَدْرِ قُربِهِ منك . .

فطوبى لمن كان من الله قريباً، لمن استجاب لدعوة الله تعالى:
﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩] . . اقترب مني أيها الإنسان الضعيف؛ هكذا
المولى يناديك . . ونحن نزداد بُعداً عن الله - إلا من رحم - . . تذكر ذلك
الموقف حين تُكشف الأوراق، وتُعرض الأعمال على مرأى الناس
أجمعين؛ فماذا أنت فاعل؟ .

إِذَا مَا قَالَ لِي رَبِّي أما استَحْيَيْتَ تعصيني
وَتُخْفِي الذنْبَ عن خَلْقِي وبالعصيانِ تأتيني
فَمَا قَوْلِي لَهُ لَمَّا يعاتبُني ويُقْصيني

يقول أحد العارفين: «متى اعتصم العبد بالله هانت عليه المشاق،
وانقلبت المخاوف أمناً، فبالله تزول الهموم والغموم والأحزان، فلا همَّ مع
الله، ولا غمَّ ولا حزن» .





أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمُّه إلى النبي ﷺ فقالت:
يا رسول الله! قد عرفتَ منزلة حارثة مني، فإن يكُ في الجنة أصبر
وأحتسب، وإن تكُن الأخرى ترَ ما أصنع؟..

فقال ﷺ: «ويحك، أَوْ هَبِلتِ، أَوْ جِنَّةٌ واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة،
وإنه لفي جنة الفردوس»^(١).

فرجعت وهي تضحك وتقول: بَخٍ.. بَخٍ.. يا حارثة.

يقول الحسن البصري:

«يا قوم! تصبَّروا وتشدَّدوا..

فإنما هي ليالٍ تُعدُّ..

وإنما أنتم ركبٌ وقوف..

يُوشِكُ أن يُدعى أحدكم فيجيب..

فيُذهَبُ به ولا يلتفت..

فانقلبوا بصالح الأعمال..

واعلم أن العبد لا يزال بخير..

ما إذا قال؛ قال الله..

وإذا عمل؛ عمل الله..

واعلم أن أحبَّ العباد إلى الله..

(١) رواه البخاري.

الذين يحبُّون (الله) إلى عباده . .
 ويعملون في الأرض نُصْحاً . .
 فإذا صدقتَ الرغبة في الآخرة؛ حَبِّبْ إليك أعمالها . .
 وإذا صدقتَهُ حَبِّ رسولهِ؛ حَبِّبْ إليك اتباع سنتهِ . .
 وإذا صدقتَهُ الشوق إلى لقاءهِ؛ أَحَبِّ اللهُ لقاءك .
 جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أي الناس خير؟

قال: «من طال عمره وحسن عمله».

قال: فأبي الناس شر؟.

قال: «من طال عمره وساء عمله»^(١).

يقول أحد الحكماء:

«الناس هلكى إلا العالمون . .

والمؤمنون هلكى إلا العاملون . .

والمخلصون هلكى إلا المخلصون . .

والمخلصون على خطر عظيم! . .

فاللهم اجعلنا من المخلصين الآمنين . .



(١) صحيح الجامع: (٣٢٩٧).



الليلة

٢٧٥

كيف بك؟!

كيف بك إذا بلغت الروح الحلقوم، وفارقت الزوج والأهل والأبناء والأحباب؟! ..

كيف بك إذا حُمِلت على الأكتاف، ووَسَدَت التراب؛ فأصحبت في ظلمة الدجى وضيق اللحد؟! ..

كيف بك إذا جاءك منكر ونكير فأجلساك وأقعداك وجدًا في السؤال؟! ..

كيف بك إذا خرجت من القبور يوم البعث والنشور؟! ..

كيف بك إذا تطايرت الصحف ونُصِب الصراط ووُضِع الميزان؟! ..

الله الله يا إختوتي، هذا هو المآل وهذا هو المصير: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠ - ١٠١].

يقول الحسن البصري:

أنتم تسوقون الناسَ (أي: تشيِّعون الناس). .. والساعةُ تسوقكم. .. وقد أسرع (أي: الموت) بخياركم؛ فماذا تنتظرون؟! ..

وأفضل الناس حالاً من لا يعبأ بساعة الموت متى تأتيه؛ فلقاء الله أحب إليه من الدنيا وما فيها. ..

ورحم الله الشاعر الذي يقول:

الموتُ بابٌ وكلُّ النَّاسِ داخلُهُ
الدارُ دارُ نعيمٍ إن عملتَ بما
يا ليتَ شعري بعد الموتِ ما الدَّارُ؟
يُرضي الإلهَ وإن فرطتَ فالنارُ

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله عطني وأوجز، فقال ﷺ: «إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودّع، ولا تكلم بكلام تعتذر منه، وأجمع اليأس عما في أيدي الناس»^(١) . .

فلا تطمع بما في أيدي الناس تكن أغنى الناس، والرسول ﷺ يقول: «عز المؤمن استغناؤه عن الناس»^(٢) .

فافعل اليوم ما تحب أن تراه غداً في آخرتك، وأدخر لنفسك في حساب الآخرة ما تشاء .

اليومَ تفعلُ ما تشاءُ وتشتهي وَغداً تموتُ وتُرفعُ الأَقلامُ
وصدق الشافعي حين قال:

يومَ القيامةِ لا مالٌ ولا ولدٌ وَضَمَّةُ القبرِ تُنسي ليلةَ العُرسِ
ويقول آخر:

أنسيَتَ أنَّ الموتَ حقٌّ واقعٌ ونهايةُ كُتبتَ على الإنسانِ
أنسيَتَ أنَّ اللهَ يبقَى وحدهُ وجميعُ مَنْ خَلَقَ المهيمَنُ فانِ

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله رضي الله عنه وهو يحتضر: اطرح وجهي على التراب لعلَّ الله تعالى أن يرحمني . . ثم قال: ويل لعمر وويل لأمه إن لم يُغفر له! . .



(١) صحيح ابن ماجه: (٣٣٨١).

(٢) مختصر المقاصد: (٦٤٣)، وإسناده حسن .



ثَمَانِي مَهْمَاتٍ عَلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ

ثمانِي مهْمَاتٍ فِي اليَوْمِ، لِكُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، مُحَدَدَةٌ الْأَهْدَافِ، معلومة الثواب، تقوده إلى طريق الجنة، فهل من سالك لهذا الطريق؟:

١ - صَلَّ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً نَافِلَةً «السَّنَنِ الرَّاتِبَةِ»، وَهِيَ: (اثْنَتَانِ قَبْلَ الْفَجْرِ، وَأَرْبَعٌ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَاثْنَتَانِ بَعْدَهُ، وَاثْنَتَانِ بَعْدَ الْمَغْرَبِ، وَاثْنَتَانِ بَعْدَ الْعِشَاءِ) فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْنِي لِلْمَدَاوِمِ عَلَيْهَا بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ: فَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى فِي يَوْمٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَجْدَةً، تَطَوُّعًا، بَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»^(١).

٢ - صَلَّ رَكْعَتَيْنِ فِي اللَّيْلِ يُسْتَجِبُ دَعَاؤُكَ، وَيُغْفَرَ ذَنْبُكَ، وَتُقْضَى حَاجَتُكَ: لِقَوْلِهِ ﷺ: «يُنزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ؟»^(٢).

٣ - صَلَّ صَلَاةَ الضَّحَى رَكْعَتَيْنِ عَلَى الْأَقْلِ، تُؤَدِّي صَدَقَةً عَنْ كُلِّ مَفْصَلٍ مِنْ مَفَاصِلِ جَسَدِكَ: فَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «يَصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيَجْزِي مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضَّحَى»^(٣).

٤ - اقْرَأْ سُورَةَ الْمُلْكِ؛ فَقَرَأَتْهَا تَنْجِي مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ: فَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ:

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

«إِنَّ سُورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً، شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]»^(١).

٥ - قل: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير» مئة مرة: فالرسول ﷺ يقول: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، في يوم مئة مرّة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة، ومُحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي، ولم يأتِ أحدٌ بأفضل ممّا جاء به، إلا أحدٌ عمل أكثر من ذلك»^(٢).

٦ - صلِّ على النبيِّ محمد ﷺ مئة مرّة: تكن لك براءة من البخل، وصلاة من الله: فالرسول ﷺ يقول: «فإنه من صلَّى عليَّ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشرًا»^(٣).

٧ - قل: «سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» مئة مرّة؛ تُغرَس لك في الجنة مئة نخلة: فالرسول ﷺ يقول: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده غُرِسَتْ له نخلةٌ في الجنة»^(٤).

٨ - قل: «أستغفر الله» مئة مرّة؛ يفرِّج الله كربك، ويوسِّع رزقك: فالرسول ﷺ يقول: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كلِّ ضيقٍ مخرجاً، ومن كلِّ همٍّ فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»^(٥).



(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه أبو داود.

(٥) رواه مسلم.



لا يكذب المرء إلا من مهانته !

● الكذب جماع كل شر، وأصل كل ذم؛ لسوء عواقبه...

فهو يُنتج النميمة، والنميمة تُنتج البغضاء، والبغضاء تؤول إلى العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة..

قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم:

١٠ - ١١]؛ فالمشاء بنميم: ناقل حديث السوء من قوم إلى آخرين..

وقد حذّر أعرابي ابنه من سوء عاقبة الكذب، فقال: يا بني إن الكذاب يتعرض للعقاب من ربه، إن قال حقاً لم يُصدّق، وإن أراد خيراً لم يُوفَّق.. فما صحّ من صدقه نُسب إلى غيره، وما صحّ من كذب غيره نُسب إليه.

يقول أرسطو: يستفيد الكذّابون من الكذب في شيء واحد؛ هو عدم تصديق الناس لهم إذا صدقوا!..

ويقول أحد الحكماء:

عليك بالصدق وإن كان فيه ما تكره، فإنه عزّ..

وإياك والكذب وإن كان فيه ما تكره، فإنه ذلّ..

عليك بالصدق ولو أئنه أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولى فأغبى الورى من أسخط المولى برضا العبيد

فالكذب أم الرذائل، بل هو رذيلة الرذائل، ولا يكذب إلا مهين..

لا يكذب المرء إلا من مهانته أو فعله السوء أو من قلة الأدب

ولا تصدّق الرجل الذي يقسم لك دائماً بأغلظ الأيمان في كل

مناسبة..

أما الصدق فأمان يُستمد زاده من الله؛ فكلما كنت صادقاً مع ربك،
ازداد شعورك بهذا الأمان! ..

● الصدق حتى في الإعلان:

إذا كنت صاحب عمل تريد الدعاية لمحلّك؛ فلا تكذب في دعائتك،
وإياك والكسب الحرام. . .

ومن طرائف الإعلانات: أن صاحب محلّ لبيع الأسماك علّق على
بابه لوحة كتب عليها: (طعام للسّمك) .. فلاحظ أحد الزبائن الخطأ في
اللوحه (طعام وليس طعام) .. فقال لصاحب المحل: ألم ينبهك غيري إلى
هذا الخطأ؟ قال: لقد دخل كثيرون قبلك ينبّهونني إليه، ولم يخرج أحد إلا
واشترى شيئاً من السمك! .

وخيرٌ خلال المرءِ صدقُ لسانِهِ والصدّقُ فضلٌ يستبينُ ويبرزُ
ومن ادّعى نصرة الله له وهو لا يسلك سبيل الصادقين، كان كمن
يدّعي نصرة الله له وهو يسلب حقاً من حقوق الآخرين! .

يقول ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حَمَلُ الصّدق كحمل الجبال الرواسي؛ لا يطيقه
إلا أصحاب العزائم! ..





الليلة
٢٧٨

غيبَةٌ .. ونميمةٌ .. وسعايةٌ ..

الغيبه: هي أن تذكر أخاك بما يكره .
 والنميمة: نقل الحديث من قوم إلى قوم على وجه الإفساد .
 أما السعاية: فهي الوشاية بين الناس باختلاق الأكاذيب .
 صفات ذميمة وأخلاق قبيحة تُوغر الصدور، وتثير الأحقاد . . هي
 داعية الفساد، بل رأس كل بلاء . .
 تحط بصاحبها إلى أسفل الدرجات، وتؤدي به إلى المهلكات . .
 يُروى: أن رجلاً حضر مجلس الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز،
 فأخبر الخليفة أن شخصاً قال عن الخليفة قولاً سيئاً! .
 فقال عمر: **إن كنت صادقاً فأنت نمام! وأنت ممن قال الله عنه:**
﴿هَمَّازٍ مَسَّاءٍ بِنْيَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١] .
وإن كنت كاذباً فأنت فاسق! وأنت ممن قال الله عنه: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بِنْيَاً فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦] .
 فإن شئت فاعتزل مجلسنا، وإن شئنا عفونا عنك على ألا تعود لمثلها
 أبداً . .
 فقال: العفو يا أمير المؤمنين! ولن أعود لمثلها أبداً . .
 فكم منا من يأتيه من يخبره: «فلانُ قال عنك: إنك بخيل» و«فلان قال
 عنك: إنك لا تفهم من الأمر شيئاً» . . . وهكذا .
 أيفكر أحدنا تفكير عُمر؟ . . أنواجه هذا القائل بما واجهه عمر؟ . .

ألم يخبرنا رسول الله ﷺ بقوله: «لا يدخل الجنة نمام»^(١).
 قيل لأحد الصالحين: إن صاحبك فلاناً قال فيك كذا وكذا.
 فقال: يا هذا! والله ما راعيتَ حق مجالسته حتى نقلتَ إليَّ حديثه،
 ولا رعيتَ حقي حتى تبلغني عنه!.

مَنْ يُخْبِرُكَ بِشْتِمٍ عَنْ أَخٍ فَهُوَ الشَّاتِمُ لَا مَنْ شَتَمَكَ
 ذَلِكَ شَيْءٌ لَمْ يَواجِهْكَ بِهِ إِنَّمَا اللُّومُ عَلَى مَنْ أَعْلَمَكَ

يُروى: أن إبراهيم بن أدهم دعي إلى طعام، فلما جلسوا قالوا: فلان
 لم يجيء، فقال بعضهم: إنه رجل ثقيل! فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام، وقال:
 إنما أفعلُ هذا في بطني لأنني شهدتُ طعاماً اغتیب فيه مؤمن..

فكم تشهد مجالسنا من غيبة لإخواننا! ولو فعلنا ما فعل إبراهيم بن
 أدهم ما تناولنا طعاماً قط!..

قال المأمون: النميمة لا تقرب مودةً إلا أفسدتها، ولا عداوةً إلا
 جدَّدتها، ولا جماعة إلا بدَّدتها..

فحذار حذار من المشي بالنميمة، وإياك والتفريق بين الأحبة،
 ولنستمع إلى ما يقوله الحبيب المصطفى ﷺ: «إِنْ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحَاسِنُكُمْ
 أَخْلَاقاً، الْمُوطَّوُونَ أَكْنَافاً، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ
 الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمةِ، الْمَفْرَقُونَ بَيْنَ الْأَحْبَةِ، الْمَلْتَمِسُونَ لِلْبِرَاءِ الْعَيْبِ»^(٢).



(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح الترغيب: (٢٦٥٨).



كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانِهِ؟

كم من الناس من أودى كلامهم بحياتهم، وألقى بهم في التهلكة! ..
 ليتهم كانوا من الذين قالوا كلمة حق أمام سلطان جائر ..
 وليتهم كانوا من الذين دعوا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ..
كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانِهِ كانت تهاب لقاءه الشُّجْعَانُ
 لما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت أطال الصمت، فقيل له: ألا
 تتكلم؟ .

فقال: **الكلام صيرني في بطن الحوت!** .

يقول لقمان الحكيم: «يا بني! إذا افتخر الناس بحُسنِ كلامهم،
 فافتخر أنت بحُسنِ صمتك» .

يقول مالك بن أنس: كل شيء يُنتَفَعُ بفضله - أي: بزيادته - إلا
 الكلام؛ فإن فضله يضر!

مُتْ بَدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
 ويقول الفضيل بن عياض: شيطان يقسيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة
 الأكل .

يقول أحد الحكماء: **تكلم وأنت غاضب، فستقول أعظم حديث تندم
 عليه طوال حياتك!** .

ولا تجادل بليغاً ولا سفيهاً؛ فالبليغ يغلبك، والسفيه يؤذيك ..

مرَّ المسيح عليه السلام بخلقٍ من بني إسرائيل شتموه، فكلما قالوا شراً قال
 المسيح خيراً! فقال له أحد الحواريين: أكلما قالوا شراً قلت لهم خيراً؟ قال
 المسيح عليه السلام: «كل امرئ يُنفق ويعطي ما عنده» .

وإياك أن تسكت عن الحق؛ فالساكت عن الحق شيطان أخرس .

ويقول أحد الحكماء: البر ثلاث: المنطق والنظر والصمت:

- فمن كان منطقُهُ في غير ذكر الله فقد لغا . .

- ومن كان نظرهُ في غير اعتبار فقد سها . .

- ومن كان صمتهُ في غير تفكير فقد لها (من اللهو) . .

يقول عطاء: فضول الكلام ما عدا:

- تلاوة القرآن . .

- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . .

- وأن تنطق في أمرٍ لا بدَّ لك فيه في معيشتك . .

ويقول آخر: الزم الصمت إلا عن:

- حقٍّ توضحه . .

- أو باطلٍ تدحضه . .

- أو حكمةٍ تنشرها . .

- أو نعمةٍ تذكرها . .

وعليك بالصمت من غير حاجة، فإنه يكسوك ثوب الوقار، ويكفيك

سوء الاعتذار، ويكسبك صفو المحبة، ويكفيك سوء المغبّة . . .





أَسْكَتَتْنِي كَلِمَةٌ

الليلة
٢٨٠

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «من نصَّب نفسه للناس إماماً؛ فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه». وليكن فعلك خيراً دليل على حال قلبك:

إِيَّاكَ أَنْ تَعِظَ الرِّجَالَ وَقَدْ أَصْبَحْتَ مُحْتَاجاً إِلَى الْوَعِظِ

يقول أحدهم: أسكتني كلمة سمعتها من عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عشرين سنة؛ قال فيها: «من كان كلامه لا يوافقُ فعله، فإنما يوبِّخ نفسه!». .

جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال: إني أريد أن أعظ، فقال: إن لم تخشَ أن تُفتضح بثلاث آياتٍ من كتاب الله فافعل.. قال: ما هي؟ .

قال: الأولى: قول الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤].

[فلا تأمر الناس بالبر والمعروف، وتنسى أن تأمر نفسك أولاً بها].

والثانية: قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٢ - ٣].

والثالثة: قول نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَدَكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه:

«يا بني! حملتُ الجندل والحديد وكلَّ شيءٍ ثقيل؛ فلم أحمل شيئاً هو أثقل من جارِ السوء.. .

وذقتُ المرار كلَّه؛ فلم أذق شيئاً أمرَّ من الفقر.. .

يا بني! لا ترسل رسولاً جاهلاً؛ فإن لم تجد حكيماً فكن رسول
نفسك .

يا بني! احضر الجنائز ولا تحضر الأعراس؛ فإن الجنائز تذكرك
بالآخرة، والعرس يشهيك الدنيا! ..

يا بني! لا تأكل شبعاً على شبع؛ فإن إلقاء إياه للكلب خيرٌ من أن
تأكله! ..

يا بني! اجعل خطاياك بين عينيك إلى أن تموت، وأما حسناتك فאלه
عنها؛ فإنه قد أحصاها مَنْ لا ينساها! ..

رُوي: أن رجلاً خرج من بني إسرائيل إلى طلب العلم، فقال له
نبيهم:

يا فتى أعظك بثلاث خصال فيها علم الأولين والآخرين:

- خف الله في السر والعلانية ..
 - وامسك لسانك عن الخلق؛ لا تذكُرهم إلا بخير ..
 - وانظر خُبزك الذي تأكله، حتى يكون من حلال ..
- فيا ليت الناس وعوا هذه الخصال والتزموا بها، إذن لنالوا سعادة
الدارين ..





ماذا تفعلُ مَعَ الحاسدِ؟

الحسد أول ذنب عُصي به الله في السماء، فحَسَدَ إبليسُ آدمَ حتى خرج من الجنة! وهو أول ذنب عُصي به الله في الأرض، فحَسَدَ قابيلُ هابيلَ حتى قَتَلَهُ.

يقول الإمام الغزالي: الحسد نوعان:

الأول: كراهة النعمة وحب زوالها عن المُنعم عليه.

والثاني: عدم محبة زوالها مع تمنّي مثلها، وهذا يسمى الغبطة.

وفرق كبير بين المنافسة والحسد؛ فالمنافسة في الخير طلب التشبُّه بالأفضل من الناس من غير إدخال ضرر عليهم، أما الحسد فغاياته أن يُحرَمَ الأفضلُ فضلهم (فيزول ما بهم من نعمة) من غير أن يصل للحاسد منه شيء..

فالمؤمن يغبط، والمنافق يحسد.

والحسد يأكل الحسنات كما تأكل النارُ الحطب.

ويحذّر ابن مسعود رضي الله عنه من معاداة نِعَمِ الله؛ فيقول: لا تُعادوا نِعَمَ الله وَجَلَّ، فقالوا: ومن يعادي نِعَمَ الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

أليس في الحسد إساءة الأدب مع الله والاعتراض على حكمه؟!..

ألا قُلْ لِمَنْ كَانَ لي حاسداً أتدري على مَنْ أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه لأنك لم ترض لي ما وهب
فأخزأك ربّي بما زادني وسدّ عليك وجوه الطلب

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما من أحدٍ عنده نعمة إلا وجدت له حاسداً» . . فإن وجدت من يحسدك فأنت صاحب نعمة، فاحمد الله . .

ويقول ابن سيرين: «ما حسدتُ أحداً من الدنيا؛ لأنه إن كان من أهل الجنة؛ فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى الجنة؟! وإن كان من أهل النار؛ فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى النار» .

وليس هناك شرُّ أشد من الحسد، يقول ابن السماك: إن الله تعالى أنزل سورة جعلها عودَةً لخلقه (أي: يتعوذون بها) من صنوف الشر، فلما انتهى إلى الإعادة من الحسد جعلها خاتماً، إذ لم يكن بعده في الشر نهاية» .

فكانت خاتمة السورة: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ . . فأكثر من قراءة المعوذتين في الصباح والمساء وفي كل حين .

اصبر على الحاسد وابتعد عنه . . تجنب ذكر ما أنعم الله عليك أمام حسود حاقد .

اصْبِرْ عَنِ حَسَدِ الْحَسُودِ دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ
فَالنَّارُ تَأْكُلُ بَعْضُهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

ويقول آخر محذراً من أن تلوم الحاسد أو أن تردّ عليه :

دَعِ الْحَسُودَ وَمَا يَلْقَاهُ مِنْ كَمَدٍ يَكْفِيكَ مِنْهُ لَهيبُ النَّارِ فِي كَبَدِهِ
إِنْ لُمْتَ ذَا حَسَدٍ نَفْسَتْ كُرْبَتَهُ وَإِنْ سَكَتَ فَقَدْ عَذَّبَتْهُ يَدُهُ



شَرُّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ



الليلة
٢٨٢

من هو شر الناس عند الله يوم القيامة؟
من الذي نال تلك الرتبة الدنيئة عند ملك الملوك؟
يقول ﷺ: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ
اتِّقَاءً فُحْشَهُ»^(١).

تخيل ذلك المنظر: أناس يتعدون وينأون .. عمَّن؟ ..
عن مريض مصاب بمرضٍ مُعدٍ؟! .. لا ..
عن دميم الوجه قبيح الشكل؟! .. لا ..
إنهم ينأون عن ذاك الذي ينطق ألفاظاً بذيئة وكلماتٍ فاحشة ..
كلمات تجلب له العداوة والبغضاء، وتجرُّه إلى الخصومة
والمشاحنة ..

تُفَكِّكُ عُرَى الْمَحَبَّةِ، وتقطع روابط الألفة ..
ويحل الخصام محلَّ الوثام ..
يقول تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ
سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨].

ويقول ﷺ: «ما شيءٌ أثقلُ في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلقٍ
حسن، فإن الله يُبغضُ الفاحش البذيء»^(٢).

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح الجامع: (٥٦٣٢).

وحذّر رسول الله ﷺ من أن يسبّ المسلم أخاه، فقال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»^(١).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أي المسلمين أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٢).

قيل للبخاري: إن أقواماً يقولون فيك كذا وكذا، فقال: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

فقالوا له: ألا تدعو عليهم؟ فقال: يقول عليه الصلاة والسلام: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض»^(٣).

شتم رجلٌ أبا ذر رضي الله عنه، فقال له: يا هذا! لا تُغرّقن في شتمنا، ودع للصلح موضعاً، فإننا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه!.

ومرّ زين العابدين بقوم، فسمعهم يسبّونه ويتناولونه بالفاحش من الكلام، فقال لهم: غفر الله لكم إن كنتم ظالمين، وغفر الله لي إن كنت ظالماً..

وما استبّ رجلاً إلا غلب ألامهما؛ يقول الشاعر:

إذا سبّني نذلٌ تزايدتُ رفعةً وما العيبُ إلا أن أكون مُسأبِبه
ولو لم تكن نفسي عليّ عزيزةً لمكنتُها من كل نذلٍ تحاربه



(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري.



هَلْ أُدِّيتِ الْأَمَانَةَ؟

الليلة
٢٨٣

● الأمانة التي أمرنا الله تعالى أن نحافظ عليها ونؤديها لأصحابها، لا تكون بحفظ أموال الناس فحسب، وإنما تكون في أشياء أخرى كثيرة: فإذا أعطاك أحد أي شيء حتى ولو كان رخيصاً، وقال لك: احفظه لي وديعة عندك حتى أطلبه منك؛ فهو أمانة.. .
وحفظ أسرار الآخرين أمانة.. .
ونقل رسالة كلّفك بها إنسان أمانة.. .
وأن تشهد في موقفٍ ما بما رأيته بالضبط من غير تغيير أمانة.. .
والوقت أمانة، فلا تقضيه إلا في ما هو مفيد، ولا تضيّعه فيما يغضب الله.. .

وأداء العبادات التي كلّفنا الله بها كالصوم والصلاة هي من أهم الأمانات؛ فالأمانة تقتضي أن نؤدي الصلاة في وقتها، نتمّ ركوعها وسجودها بخشوعٍ ودون تقصير أو إهمال.

وعدم الغش في البيع أو الشراء أمانة، والتاجر الأمين هو من ينصح المشتري، ولا يبيعه سلعة قبل أن يوضّح له كل ما فيها، ولا يحاول أن يخفي عيوبها، ويتعد عن الغش بكل أنواعه، قال رسول الله ﷺ: «من غشنا فليس منا، والمكر والخداع في النار»^(١).

والمحافظة على المواعيد أمانة، فإذا أعطيت زميلاً لك موعداً باللقاء؛ فعليك أن تذهب إليه في الموعد المحدد بالضبط، ولا تتأخر أو تتخلف عن الموعد.

(١) صحيح الجامع: (٦٤٠٨).

وطلب العلم أمانة، وإفادة الناس بما تعلّمناه أمانة . .
 وجسم الإنسان أمانة، نحافظ عليه، ولا نستخدمه إلا في رضا الله .
 وتأدية العمل بإتقان، ودون إهمال أمانة . .
 فالتلميذ أمين على دروسه وواجباته المدرسية، ولا يغشّ في الامتحان
 ولا يغشّ غيره .
 والمعلم أمين على العلم والمتعلمين . .
 والموظف أمين على وظيفته، وعليه مساعدة المراجعين دون إبطاء أو
 تقصير .

والجندي أمين على وطنه يحافظ عليه من الأعداء .
 والأم أمينة على بيتها وتربية أولادها .
 وكل ما يُكَلَّفُ به الإنسان من عمل مفيد له وللناس أمانة في عنقه .
 ● فماذا أعدَّ الله تعالى للإنسان الأمين في الآخرة؟ إنها جنة الفردوس
 أعلى مراتب الجنة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾
 وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
 الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ [المؤمنون: ٨ - ١١] .

● أراد عمر بن عبد العزيز أن يستعمل رجلاً على عمل فأبى، فقال له
 عمر: عزمْتُ عليك لتفعلنّ، قال الرجل: وأنا أعزم على نفسي ألا أفعل،
 فقال عمر للرجل: لا تعص، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى
 قال: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ
 مِنْهَا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] .



كن يا أخي الحبيب كالماء..

● **واسع الصدر والأفق:**

ألا ترى أنه لا يميّز حين يتساقط - أي: الماء - بين قصور الأغنياء، وأكواخ الفقراء.. بين حدائق الكبراء، وحقول البسطاء؟!..

فلا تميز بين الناس حسب جنسياتهم؛ قال ﷺ: «ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم»^(١).

● **نقيًا:**

ألا ترى أن البحر طاهر مطهر لا يكدره شيء، ولو رميته بحجر، لتكدر سطحه لبرهات، ثم سرعان ما يعود إلى ما كان؟!..

أليس هذا مثل المؤمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ دَكَرُوا أَنَّ اللَّهَ فَاَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] فعادوا طاهرين أنقياء!.

● **حكيمًا:**

ألا ترى أنه إذا اشتد الحر، تبخر - أي: الماء - وانطلق نحو السماء.. وحينما يلطف الجو، يتكاثف ويعود إلى الأرض في قطرات المطر؟!..

أليست هذه صفة المؤمن كما ذكرها الحبيب المجتبي عليه الصلاة والسلام: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين»^(٢).

(١) السلسلة الصحيحة: (٢٧٠٠).

(٢) رواه البخاري.

● **صبوراً:**

ألا ترى كيف تندفع الأمواج نحو الصخور؛ موجة تلو أخرى، ويوماً بعد يوم، وقرناً بعد قرن، حتى تترك آثارها في الصخر الأصم؟! ..

يقول تعالى معلماً حبيبه المصطفى ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨].. فاستمر في دعوتك للناس ولا تيأس! فقطرة الماء تثقب الحجر، لا بالعنف، ولكن بالترار! ..

● **ودوداً:**

ألا ترى كم هو لطيف ذلك الندى الذي تراه كل صباح؛ يداعب أوراق النبات الخضراء، ويجري مع نسيم الصباح بخفة وصفاء؟! ..

والله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأُنْفُسُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

● **ليناً:**

يُسكب - أي: الماء - في أوعية مختلفة الأشكال والأحجام، فيغيّر شكله، لكن دون أن يبدّل تركيبه ومعادنه.. ودون أن يكون بوجهين اثنين! ..

● **متواضعاً:**

ألا ترى أنه - أي: الماء - ينزل من سحب في أعالي السماء، فيختفي في أعماق الأرض ليكون للناس خيراً وعطاء؟! ..

والرسول ﷺ يقول: «ما تواضع لله أحد إلا رفعه»^(١).



(١) صحيح الجامع: (١٧٨).



قد يهاجر البعض إلى بلد آخر لكسب لقمة عيش، أو استزادة في جاه ومال، فتلك هجرة تهواها الأنفس، وتُدلُّ عقباتها الآمالُ ..

أما أن تهاجر من أرضك مُرغماً خائفاً، تاركاً أهلَكَ ومالك ووطنك، وقد عُرِضَتْ عليك الدنيا بمفاتها ومغرياتها (على أن تترك دينك)، فتختار على ذلك كله النجاة بدينك؛ فتلك هي الهجرة الحقيقية ..

أليس هذا ما هاجر من أجله محمد ﷺ وأصحابه الطاهرون؟ ..

وها نحن اليوم قد أمنا - والحمد لله - في أوطاننا؛ فهل لنا من هجرة إلى الله ورسوله؟ ..

نعم .. بل نحن مطالبون بهذه الهجرة؛ فإن لم تكن من أرض إلى أرض؛ فمِنْ جهلٍ إلى وعي، ومن تخلفٍ وهوانٍ إلى سمو وارتقاء^(١) ..

هجرة داخل ذاتنا؛ نهجرُ بها التقصير والكسل، نهجرُ ما اختلط به إيماننا من جهل وخرافات ..

هجرة نهجر بها سيئ الأعمال والأقوال، ونُصلح فيها الأنفس والأخلاق، ونُحسن معاملتنا للآخرين، فنكون قدوة للعالمين .. همُّنا هموم المسلمين وما يحيط بهم من مصائب وملِّمات ..

هجرة توحد الأمة ولا تشتتها بخلافات وسجلات ..

نهجرُ الخلافات في الأمور الفرعية والجزئيات، ونلتقي على عظام الأمور والمهمات ..

(١) قطفوف إسلامية، للأستاذ محمد الصانع، بتصرف.

هجرة ننسى فيها أطماعنا وما شابَ قلوبنا من حب للجاه والكسب الحرام..

نهجر السلبية التي نقابل بها الشرور في حياتنا؛ فإن نشروا الشرَّ سنعلن الخير، وإن نشروا الداء سننشر الدواء..

هجرة من الكراهية والأحقاد إلى المحبة والصفاء؛ يحب الأخ فيها أخاه، والأختُ أختها، ويعطف فيها الكبير على الصغير..

نصل فيها الأرحام، ونتواصى بالمحبة والوئام..

هجرة ليس فيها لأصحاب النفوس الدنية مكان..

نهجر بها الفضائيات الهابطة والأغاني الماجنة..

وينأى بها الشاب عن أصدقاء سوء وشلة الحائرين الضائعين..

وتنأى بها الفتاة عن البنات الضائعات المائلات المُميلات..

هجرة نهجر فيها هدر أوقاتنا بالعبث واللهو على الإنترنت والفضائيات..

هجرة نتقن فيها دراستنا وما نقوم به من عمل، فننال محبة وعدها الله لمن أتقن عمله..

تلك هي الهجرة الحقيقية الثانية.. فهل آنَ لنفوسنا أن تهاجر؟!..



حكى أن أبا حامد الغزالي بلغه أن مَنْ أخلصَ لله أربعين يوماً تفجّرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه . . قال: فأخلصتُ لله أربعين يوماً فلم يتفجّر شيء! فذكرتُ ذلك لبعض العارفين، فقال لي: إنما أخلصتَ للحكمة ولم تُخلص لله تبارك وتعالى، أخلصتَ لتتفجّر الحكمة بين يديك وعلى لسانك ولم تخلص لله رب العالمين . .

فالإخلاص سر بين العبد وبين ربه لا يعلمه مَلَكٌ فيكتبه، ولا شيطان فيفسده . .

والإخلاص ينافيه: الرياء والسمعة والعُجب .

فأما الرياء: فهو أن تُظهر العبادة - كالصلاة مثلاً - بقصد أن يراك الناس فيمدحوك! يقول أبو العتاهية:

ثوبُ الرِّياء يشفُّ عمّا تحتهُ فإذا التحفّت به فإنك عاري
وأما السمعة: فهي أن تعمل حتى يقول الناس عنك: إنك صاحب شأن ومركز .

وأما العُجب: فهو أن يُعجب الإنسان بعبادته، ويرى نفسه بعين الإعجاب والتفاخر .

وكل هذه من مهلكات الأمور . .

يقول يحيى بن كثير: إن المَلَك ليصعد بعمل العبد مستفتحاً به، حتى إذا انتهى إلى ربه قال: اجعلوه في سجين . . إني لم أرُذ بهذا! . .

فيا مَنْ تعمل من أجل سمعة أو تفاخر بين الناس، ولا تقصد بعملك

وجه الله، إياك أن تُحبط عملك فتحسر الدنيا والآخرة.. وردد بقلبك وجوارحك قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

قال أبو نواس:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ولا أن ما تُخفيه عنه يغيبُ

فمن الناس من يكثر من الأعمال الصالحة في أيام الامتحانات..
يُكثر من الصلاة، ويصوم النوافل.. يقوم الليل وقلبه يقول له: إنه إذا أكثر
من العبادات فسوف يُوفق في امتحاناته، أو سيفوز بوظيفة ما..

ومن الناس من يذم نفسه بين الناس! يريد بذلك أن يُري الناس كم هو
متواضع!.. فيرتفع بذلك عندهم، ويسقط من عين الله..

يقول سفيان الثوري: ما عالجتُ شيئاً أشدَّ عليّ من نيتي؛ لأنها تنقلب
عليّ في كل حين!.

وكان من دعاء المطرّف بن عبد الله: «اللهم إني أستغفرك مما زعمتُ
أني أريدُ به وجهك فخالط قلبي منه ما قد علمت».

تذكّر في كل صباح وأنت خارج من البيت أن تدعو بهذا الدعاء:
اللهم اجعل عملي كله خالصاً لوجهك الكريم.





لَمْ أَصِلْ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئاً!

● سئلت عشيبة العابدة مرة: لِمَ نومك قليل؟ .

فقالت: أتمنى النوم فلا أقدر عليه! وكيف ينام من لا ينام عنه حافظاه؟! ..

بكى الباكونَ للرحمنِ ليلاً وباتوا دَمَعَهُمْ لا يسأمونا
بِقَاعِ الأَرْضِ - من شوقٍ إليهم - تحنُّ، متى عليها يسجدونا

● وهذه عصمة الدين زوجة الملك الصالح نور الدين زنكي.. تقوم في الصباح من نومها غاضبة، فيسألها زوجها: ما الذي أغضبك؟ .

هل فاتتك حلقةٌ من مسلسل؟ أو فيلم كان يُعرض على إحدى الفضائيات؟ أو لقاء مع مطربة أو ممثلة؟ ..
والله ما فاتها شيء من هذا ولا ذاك! ..

تقول وهي تبكي: «لقد فاتني وردي البارحة؛ فلم أصِلْ من الليل شيئاً»! .

عبادُ ليلٍ إذا جنَّ الظلامُ بهم كم عابِدٍ دمعهُ في الخدِّ أجراهُ

● ويدخل على عائشة رضي الله عنها ابنُ أختها ليسلمَ عليها، فينظر إليها وهي تصلي وتقرأ آية وتبكي.. يقول: فتركَّتها، ثم جئتُها في منتصف النهار وهي تقرأ الآية نفسها وتبكي.. من هي؟ إنها عائشة أم المؤمنين التي بُشِّرت بالجنة، تبكي وهي تقرأ: ﴿فَمَنْبَأُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَدَابَ السَّمُورِ﴾ [الطُّور: ٢٧].
فماذا نقول عن بعض النساء في هذه الأيام؟ تدخل الواحدة منهن على البائع فتكلمه وتضحكه وهي تطلب منه خفض السعر! .

وتذهب إلى العمل فتُمازح فلاناً وتُضحك آخر!.. وماذا عن نسوة همهنّ المسلسلات والأفلام، والأزياء والموضات، أو التجوال في الأسواق؟!..

وتظل هؤلاء النسوة يشتكين من وحشة في الصدر.. تقول إحداهن: لقد سمعتُ الأغاني، وتابعتُ الأفلام، ولبستُ الموضات، وخرجتُ إلى المطاعم، وسافرتُ إلى كل مكان، وفعلتُ كل شيء.. إلا أن الهموم ما زالت تلاحقني!..

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

تفنى اللذائذُ ممن نالَ صَفْوَتَهَا من الحرامِ ويبقى الوزرُ والعارُ
تبقى عواقبُ سوءٍ في مغبَّتِهَا لا خيرَ في لذةٍ من بعدها النَّارُ

● كانت هناك بنتٌ لاهية؛ ما من أغنية إلا وتستمع إليها.. رجعت ذات يوم إلى بيتها من المدرسة، فوجدتُ عند الباب شريطاً.. أخذته وقالت: لعلَّه شريط جديد لأحد المطربين.. وضعت الشريط في المسجّل فإذا رجل يتحدث عن الجنة والنار، والقبر والموت.. تقول: وما انتهى الشريط حتى فتح الله قلبي وصلح حالي واهتديت إلى الله..

فكم من الناس من هداهم الله بشريط، برسالة، بدمعة أو بكلمة.. وكم من الناس من زاد إيمانه وهو يقرأ في كتاب مفيد أو مجلة نافعة في أماكن الانتظار من عبادات أو مؤسسات أو محلات!..





● المروءة حلية النفوس، وزينة الهمم، لا تعين قوياً على ضعيف، ولا تؤثر دنيئاً على شريف...

هي تعفّف عن حرام، وترفّع عن إثم، وكفّت عن ظلم، وامتناع عن فعل ما يقبح من الأفعال..

يقول أحد الحكماء: المروءة هي الصبر على البلوى، والشكر على النعمة، والعفو عند المقدرة.

● سئل الحسن رضي الله عنه عن المروءة، فقال: أما المروءة فأصلاح الرجل أمر دينه، وحسن قيامه على ماله، ولين الكف، وإفشاء السلام، والتحبب إلى الناس...

ومن المروءة أن تعطي قبل أن تُسأل.. يقول الشاعر:

وفتّى خلا من مالهٍ ومِن المروءة غيرُ خال
أعطاك قبل سؤاله وكفأك مكره السُّؤال

● سئل ابن عيينة عن المروءة، فقال: الإنصاف من نفسك، والتفضّل على غيرك (دون أن تمنّ عليه)، ألم تسمع قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [التحل: ٩٠]، فلا تتم المروءة إلا بهما: العدل: وهو الإنصاف، والإحسان: وهو التفضّل (أي: تعطي الفضل من مالك، دون منّ ولا أذى).

وإذا الفتى جمّع المروءة والتقى وحوى مع الأدب الحياء فقد كمل

● قال ربيعة بن عبد الرحمن: للسفر مروءة، وللحضر مروءة:

فالمروءة في السفر: بذل الزاد، وقلة الخلاف مع الأصحاب، وكثرة المزاح دون أن تُسخط الله . .

والمروءة في الحضر: إدمان المشي إلى المساجد، وتلاوة القرآن، وكثرة الإخوان في الله ﷻ . .

● يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من لم يكن فيه خمس فلا ترجوه لشيء من الدنيا والآخرة، ولا تعدّه من أهل المروءة:

- من لم يُعرف بالوثيقة في أرومته (أي: أصله ومنبته).
- وبالكرم في طبيعته . .
- وبالدمائة في خُلُقهِ . .
- وبالنبل في نفسه . .
- وبالمخافة لربه».

● وسئل أحد الحكماء عن أي شيء أشدُّ إفساداً للمروءة، فقال:

- للملوك: صِعْرُ الهِمَّة . .
- وللعلماء: الصلَف (أي: التكبر والعجرفة).
- وللفقهاء: الهوى . .
- وللنساء: قلة الحياء . .
- وللعامة: الكذب . .

أنشئ أبناءك على المروءة، علّمهم معانيها واجعلهم يعيشونها في حياتهم؛ فمن لم يكسب تلك الخصال صبيّاً؛ فقد لا يكسبها أبداً فيما بعد.

إذا المرءُ أعيثهُ المروءةُ ناشئاً فمطلَبُها كهلاً عليه شديدٌ





كُن وَسَطًا

الليلة
٢٨٩

الوسطية خصيصة من خصائص الأمة الإسلامية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٢].

والوسط: الخيار، فوسط الوادي خير مكان فيه.
وجاء في صفة نبينا ﷺ: أنه كان من أوسط قومه (أي: خيارهم).
والوسطية تشمل الوقت، والجهد، والحب والكراهية، واللفظ والعنف، والرضا والسخط، والواقع والخيال..

لا تفرط في الكرم؛ فإنه تبذير، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].

- .. ولا تفرط في الاقتصاد؛ فيصبح شحاً مذموماً..
- .. ولا تفرط في الراحة؛ فتصبح عاشقاً للكسل..
- .. ولا تفرط في الحزم؛ فتغدو ظالماً للآخرين..
- .. ولا تفرط في اللين؛ فتبدو ضعيفاً أمام الناس..
- .. ولا تفرط في النوم؛ فإنه خمول.

يقول المنفلوطي رَحِمَهُ اللهُ :

- .. بين الجبن والتهور منزلة؛ هي الشجاعة والإقدام..
- .. وبين البخل والإسراف منزلة؛ هي الكرم..
- .. وبين العفو والانتقام منزلة؛ هي العقوبة..
- .. وبين العجز والجهل منزلة؛ هي الحكمة.

واعلم أنك لا تزال كريماً حتى تنفق مالك في غير موضعه؛ فإذا أنت مسرف..

وإنك لا تزال حليماً حتى تغضب للباطل؛ فإذا أنت جهول...
يقول الحسن البصري: «رحم الله رجلاً كَسِبَ طيباً، وأنفق قصداً،
وقدم فضلاً ليوم فقره وفاقته»..

وكن وسطاً حتى في الحب والكراهية، لا تبالغ في حبك للآخرين،
ولا تبغضهم كل البغض؛ فالرسول ﷺ يقول: «أحب حبيبك هوناً ما عسى
أن يكون بغضك يوماً ما، وأبغض بغضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك
يوماً ما»^(١).

ويقول الحسن البصري أيضاً:

أيها الناس! أحبوا هوناً، وأبغضوا هوناً..

فقد أفرط أقوامٌ في الحب حتى هلكوا..

وأفرط أقوام في البغض حتى هلكوا..

فكن وسطاً مع أهلك؛ بين لينٍ وشدة..

عامل زوجتك كشريكة حياة ورفيقة درب العمر دون إفراط ولا
تفريط..

ولتكن معاملتك للناس وسطاً لا غلوَّ فيها ولا جفاء..

لا تعلق قلبك بهم بحيث لا تستطيع العيش من دونهم..

ولا تزديهم أو تتكبر عليهم، فيكرهك الناس أجمعون.



(١) صحيح الجامع: (١٧٨).



الليلة

٢٩٠

ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ

يروى المؤرخون: أنه هاجت في أيام المهدي ريح شديدة سوداء، فخرَّ المهدي ساجداً لله يدعو: «اللهم لا تُشمت بنا أعداءنا من الأمم، واحفظْ فينا دعوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وإن كنت أخذت العامة بذنبي فهذي ناصيتي بين يديك...».

يا ربَّ عفوك لا تأخذْ بزلِّنا وارحم يا ربِّي ذنباً قد جنيناهُ
 كم نطلب الله في ضرِّ رجل بنا فإن تولَّتْ بلايانا نسيناهُ
 ندعوه في البحر أن يُنجي سفينتنا فإن رجعنا إلى الشاطي عصيناهُ
 ونركبُ الجوّ في أمنٍ وفي سعةٍ فما سقطنا لأنَّ الحافظ الله

فكلنا يشكو أعداءً تكالبت علينا، وظلمات تحيق بنا، فلماذا لا نطلب من الله أن يقف معنا؟! ..

لماذا لا نصره باتباع شرعه لينصرنا؟! ..

نريد أن يغيّر الله ما نحن فيه، وننسى أننا لم نغيّر ما بأنفسنا ..

ألم يقل الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] ..

إنَّ ما ينقصنا هو الإيمان؛ أن نكون مع الله حتى يكون الله معنا ..

هل نظرنا في أنفسنا حتى نُصلحها؟! .. هل رأى كل واحد منا في نفسه صفات سلبية تكون وبالاً عليه لا سمح الله؟! ..

يقول أحد العارفين: ثلاث مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ:

- البغي: فإن الله تعالى يقول: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغْيِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾

[يونس: ٢٣] فلا تبغِ على أحد، ولا تظلم أحداً ..

- والمكر: فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

- والنكث: فالله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [الفتح: ١٠].

فهل ينبغي بعضنا على بعض حتى نصل إلى دور المحاكم؟..

هل نمكر ياخواننا، بأصدقائنا، بأبناء جلدتنا؟..

وهل ننكث العهود والمواثيق، ونخون الأمانات، وتفسد عند كثير من الناس السرائر والنيات؟..

تعالوا نحاسب أنفسنا ونجيب على هذه التساؤلات..

وإن لم تتولَّ الأمة إصلاح شأنها بنفسها، فلن تُصلحها أمة من الأمم..

والصلاح إن لم ينبث في تربة الأمة نفسها، ويخرج من بذور أفرادها؛ فلن يثمر أبداً..

وإن التاج الذي يضعه على رؤوسنا أعداؤنا ليس بتاج المُلْك، إنما هو قلنسوة الإعدام!

فالذين يزيّنون لنا أننا بلغنا القمة في التحرر والعلمانية، إنما هم يقودوننا إلى مقصلة الإعدام!..





● إذا أحدث أحدكم في صلاته:

اسمعوا لحديث عائشة رضي الله عنها حينما تروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال: «إذا أحدث أحدكم في صلاته فليأخذ بأنفه ثم لينصرف»^(١) . .

فما أروع هذا الهدي النبوي! . .

كيف يفعل من خرج منه ريح أو صوتٌ وهو في صلاته؟ أيقطع صلاته ويُحرِّج أمام الناس؟ ولماذا يضع يده على أنفه؟ يقول الخطابي: وإنما أقرَّه عليه الصلاة والسلام أن يأخذ بأنفه ليُوهِمَ القومَ أن به رِعافاً . . وهذا من الأخذ بالأدب في ستر العورة، وإخفاء القبيح بما هو أحسن، وليس داخلاً في باب الرياء والكذب . .

● أدب في السلام:

١ - إذا دخلتَ على أهلِكَ فألقِ عليهم السلام، يقول صلى الله عليه وسلم: «إذا دخلتَ على أهلِكَ فسلم، يكن بركةً عليك وعلى أهل بيتك»^(٢) . . وإن لم يكن في البيت أحد فقل: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» .

٢ - لا تقل: عليك السلام . . فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك؛ فعن أبي جريء الهجيمي رضي الله عنه قال: أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلتُ: عليك السلام يا رسول الله .

قال: «لا تقل: عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الموتى»^(٣) .

(١) صحيح الجامع الصغير: (٢٨٦) .

(٢) رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح .

(٣) صحيح أبي داود: (٥٢٠٩) .

٣ - لا تسلّم على من كان منشغلاً بقضاء حاجته، أو كان نائماً، أو مختلياً بزوجته؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «سَلَّمَ رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول، فلم يرد عليه»^(١).

● يرحمك الله:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله»^(٢).

هذا الدعاء يسمى: تشميتاً؛ لأنه يدعو الله أن يزيل عنه شماتة الأعداء، ويسمى أيضاً: تسميتاً، من السَّمت، وهو الهيئة الحسنّة، أي: جَعَلَكَ اللهُ على سمّتٍ حسن، فهَيئَةُ العاطس تتأثر بالعطاس..

● العاطس الساهي:

كان عبد الله بن المبارك يسير مع رجل في الطريق، فعطس الرجل، ولكنه لم يحمد الله! فنظر إليه ابن المبارك، ليلفت نظره إلى أن حمد الله بعد العطس سنة على كل مسلم أن يحافظ عليها، ولكن الرجل لم ينتبه! فأراد ابن المبارك أن يجعله يعمل بهذه السنة دون أن يُحرجه، فسأله: أي شيء يقول العاطس إذا عطس؟ فقال الرجل: الحمد لله!.. عندئذ قال له ابن المبارك: يرحمك الله!.



(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

أَجِبْ مَنْ دَعَاكَ

الليلة
٢٩٢

لعلك تُدعى من حين لآخر إلى طعامٍ ؛ من قِبَل صديق أو قريب أو شخص آخر، فأجِبْ مَنْ دَعَاكَ، لأن الرسول ﷺ يقول: «فُكُوا العاني (يعني: الأسير)، وأجيبوا الداعي، وعودوا المريض»^(١).

لا تتكبر على أي دعوة مهما كانت صغيرة، فالحبيب المصطفى ﷺ يقول: «لو دُعيتُ إلى كِرَاعٍ لأجبتُ، ولو أُهدِيَ إليَّ كِرَاعٌ لَقَبَلْتُ»^(٢).

والكِرَاع: مستدق الساق من الرِّجْلِ، ومن حدِّ الرسغ من اليد، وقيل: الكِرَاع ما دون الكعب من الدواب^(٣). أي: إنها قطعة صغيرة من اللحم!

أجب من دعاك ولو كان فقيراً أو عاملاً أو أجيراً..

لا تتكبر وتجدُ لنفسك الأعذار.. «ضيق الوقت، ارتباطات، انشغال».. فحسبُ تلك الدعوات أنها تؤلف القلوب..

هو يَسْعُد بحضورك فتملأ قلبه أنساً وحبوراً..

وإن أنتَ رفضتَها ملأت قلبه حسرات وآهات..

فتتمزق عرى المحبة، ويتفكك حبل الوداد..

واعتبرَ الإسلام تركَ الدعوة عصياناً لله وللرسول ﷺ، يقول ﷺ: «شُرُّ الطعام طعامُ الوليمة؛ يُدعى لها الأغنياء ويُترك الفقراء، ومَنْ ترك الدعوة فقد عصى الله تعالى ورسوله ﷺ»^(٤).

(٢) رواه البخاري.

(١) رواه البخاري.

(٣) فتح الباري: ٢٤٥/٩.

(٤) رواه البخاري.

فالوليمة هنا طعام العرس . . ويقول ﷺ أيضاً: «إذا دُعي أحدكم إلى وليمة فليأتها»^(١).

والولائم متعددة، ولكل منها اسم في اللغة العربية، وقد أوصلها القاضي عياض إلى سبعة أنواع:

- ١ - الإعذار: طعام الختان.
- ٢ - العقيقة: للولادة (وعادة ما تختص باليوم السابع).
- ٣ - الخرس: لسلامة المرأة من الطلق . . (انظروا إلى الاهتمام بسلامة الأم عند الولادة) . . وما أجمل أن يدعو الإنسان للأم في لحظات الولادة بالسلامة، وللمولود بالخلقة التامة، ولكن كثيراً من الناس يدعون في تلك اللحظات بأن يرزقها مولوداً ذكراً!
- ٤ - النقيعة: لقدم المسافر، وهي مشتقة من النقع؛ وهو الغبار حين يأتي المسافر على الخيل أو الجمال . . وحتى في أيامنا هذه يصل المسافر منهكاً متعباً . . وصدق رسول الله ﷺ حينما قال: «السفر قطعة من العذاب»^(٢).

٥ - الوكيرة: للسكن الجديد (مأخوذة من الوكر: وهو المأوى).

٦ - الوزيمة: لما يُتخذ عند المصيبة.

٧ - المأدبة: لما يُتخذ بلا سبب.

فمهما تعددت أنواع الدعوات استجب لها ما لم تكن في معصية . .



(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.



اعْرِفْ مَعَ مَنْ تَتَعَامَلُ

أنت تتعامل مع الذي عرض التوبة على الكفار، وفتح طريق الرجعة أمام الفجَّار، وأمهل بعفوه وكرمه أشرَّ الأشرار..

أنت تتعامل مع من رحمته سبقت غضبه، وعفوه سبق عقابه..

اسمه «التواب»، ولو لم تُذنب ما عُرِفَ بهذا الوصف في الكتاب..

أجمل الأقوال عنده أن يقول العبد: يا ربِّ أذنبت! يا ربِّ أخطأت!
يا ربِّ أسأت!.

فيأتيك الردُّ سريعاً من التواب الرحيم: يا عبدي! وأنا غفرت،
وسامحتُ، وصفحْتُ.

قال ذو النون: ما طابت الدنيا إلا بذكره..

ولا طابت الآخرة إلا بعفوه..

ولا طابت الجنة إلا برؤيته..

«عبدي أنت تريد وأنا أريد، ولا يكون إلا ما أريد، فإن سلَّمتَ لي
فيما أريد أعطيك ما تريد، وإن لم تسلِّم لي فيما أريد، أتعبتُك فيما تريد،
ولكن لا يكون إلا ما أريد».

تسليم الله، ورضاً بقضائه..

اجتهد أن تكون عارفاً بالله؛ فإن عجزتَ فكن عالماً بأمر الله، ولا
تكن الثالث تكن من الجاهلين..

اجتهد أن تكون ممن يحبه الصالحون في الله، فإن عجزتَ فكن ممن
تحبُّ الصالحين في الله، ولا تكن الثالث تكن من الممقوتين!.

ماذا تقول لربك إذا ما سألك عن الذنوب تلو الذنوب؟! ..

بماذا تجيب إذا عَرَضَ ذنوبك على مشهد من جميع الناس؟! ..

ماذا تقول لرب العالمين إذا قال لملائكته: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ﴿٣٠﴾ قُرَّ الْجَحِيمَ

﴿صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣١]؟! ..

يقول أحد الصالحين:

اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عنه! ..

وابذل شكرك لمن تعينك نِعْمَةً! ..

واجعل بكاءك على قدر ما فاتك منه! ..

وارفع إليه يد الذل في طلب حوائج القلب؛ تأتيك من حيث لا

تشعر ..

فانتماؤك إلى الله ارتفاع إلى السماء، واتباعك الشيطان ارتماء عليه ..

وشتان بين من يرتفع إلى رب الأرض والسماء، وبين من يهوي إلى

أسفل سافلين ..

وتذكر دوماً أن أول طريق الزلل أن تفقد الصدق مع الله ..





إِنْ عَرَفُوا بِمَوْتِي فَلَنْ يُصَلُّوا عَلَيَّ!

● تروي الكتب قصة أبان بن عياش؛ يقول: كنتُ عند أنس في البصرة، فخرجتُ من عنده فإذا بجنائزة يحملها أربعة أشخاص فقط!. قال: الله أكبر! جنائزة لا يحملها إلا أربعة؟!.. يقول: فتبعتها حتى دفناها، فسألتُ الرجال فقالوا: اسأل المرأة التي استأجرتنا.. فطرق عليها الباب وسألها: ما بال هذه الجنائزة؟ قالت: هذه جنازة ابني! وقد كان رجلاً فاسقاً عاصياً!.. فلما كانت ساعة الوفاة قال: يا أماه لقيني الشهادة، ثم إذا متُّ لا تُخبري أحداً بجنائزتي فإنهم يعرفون معصيتي، وإن عرفوا بموتي فلن يُصلُّوا عَلَيَّ! ولكن ارفعي يديك إلى الله وقولي: «اللهم إني قد أمسيْتُ راضية عنه فارضَ عنه»..

ثم ضحكت المرأة!.. فقال لها أبان بن عياش: ما يضحكك يا أمة الله؟ قالت: والله فعلتُ ما قال، فرفعت يديّ وقلت: اللهم إني قد أمسيْتُ راضية عنه فارضَ عنه.. فإذا بي أسمع منادياً يقول لي: يا أماه! يا أماه! قدمتُ على رب رحيم كريم غير ساخط ولا غضبان بدعوتك لي!..

فليس المؤمن هو الذي لا يعصي الله، ولكن المؤمن هو الذي إذا عصاه رجع إليه..

● ولعلك سمعتَ عن أناس - على ندرتهم - يغفرون للناس زلاتهم، بل ربما لا يذكرونهم بها لحسن أخلاقهم، ولكن من يبذل السيئات إلى حسنات إلا أرحم الراحمين..

هل أؤدي أحد من قبَل الخلق ما أؤدي خالقهم، وهم لا يستغنون عنه لحظة واحدة، ومع ذلك هو يكلؤهم بالليل والنهار.. لماذا؟ لأنه أرحم الراحمين: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمٰنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

يروى: أن إبراهيم عليه السلام مرَّ عليه كافر يستطعمه؛ فأبى الخليل أن يفعل لكفر الرجل! فولَّى الرجل أسفاً.. فأوحى الله إلى خليله عليه السلام: «إني أطعمه في الليل والنهار منذ (٨٠ سنة) وهو يكفر بي، ألا تطعمه ليلة واحدة؟! فناداه الخليل وأخبره بالخبر فأمن الرجل من فوره!.

ولو أن أحب الناس إليك أخطأ، ثم عاد لخطئه مراراً وتكراراً ما كنت صانعاً به؟ ألا تقول معي: إنه مستهتر؟.. لكن ربنا الرحمن الرحيم لا يعاملنا كذلك؛ إنه يقول: «أذنب عبد ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب.

ثم عاد وأذنب، فقال: أي رب! اغفر لي ذنبي.

فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب.

ثم عاد فأذنب فقال: أي رب! اغفر لي ذنبي.

فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب.. اعمل ما شئت فقد غفرت لك»^(١).

أتريد أخي الحبيب أن يرحمك ربك يوم المعاد؟ إذن فارحم الخلق.. كل الخلق، حتى الهرة والنملة الصغيرة..

ألم يُدخل الله تعالى الجنةَ بغياً بشربة ماء لكلب ظمآن؟!..

ثم ما هذه الرحمات التي تنزل قبل ممات الكثير ممن عصوا ربهم؟ أليس يصاب البعض منهم بمرض عضال أو نكبة يصبره الله عليها؟!..

لماذا؟ إنه يريد أن يصلَ إليه عبده وهو طاهر من الذنوب؛ فكيف لا نعجب ممن يقنط من رحمة الله؟!..

(١) رواه مسلم.



خَشِيْتُ أَنْ يُقَالَ

الليلة
٢٩٥

● يروى: أن ثلاثة أشخاص أتوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ممسكين بشاب، فقالوا: يا أمير المؤمنين! نريد منك أن تقتصّ لنا من هذا الرجل، فقد قتل والدنا!..

قال عمر: لماذا قتلته؟.

قال الرجل: إني راعي إبل، وقد أكل أحد جمالي شجرةً من أرض أبيهم، فضربه أبوهم بحجر فمات.. فأمسكتُ نفس الحجر وضربته به فمات.

قال عمر: إذا سأقيم عليك الحد!.

قال الرجل: أمهلني ثلاثة أيام، فقد مات أبي وترك لي ولأخي الصغير كنزاً، فإذا قتلتي ضاع الكنز وضاع أخي من بعدي!.

فقال عمر: ومن يضمّنك؟.

نظر الرجل في وجوه الناس، فقال: هذا الرجل!..

قال عمر: يا أبا ذر هل تضمن هذا الرجل؟.

فقال أبو ذر: نعم يا أمير المؤمنين.

قال عمر: إنك لا تعرفه، وإن هربَ أقمْتُ عليك الحد!.

فقال أبو ذر: أنا أضمنه يا أمير المؤمنين.

ورحل الرجل، ومراً اليوم الأول والثاني والثالث، وكل الناس قلقون على أبي ذر، كي لا يقام عليه الحد.. وقبل صلاة المغرب بقليل جاء الرجل وهو يلهث، وقد اشتد عليه التعب والإرهاق.. وقف بين يدي أمير

المؤمنين عمر رضي الله عنه وقال: لقد سلّمتُ الكنز وأخي لأخواله، وأنا تحت يدك لتقييم عليّ الحد.

استغرب عمر وقال: ما الذي أرجعك وكان بوسعك الهروب؟ ..
فقال الرجل: خشيت أن يقال: لقد ذهب الوفاء بالعهد من الناس!
فسأل عمر أبا ذر: لماذا ضمّنته؟

فقال أبو ذر: خشيت أن يقال: لقد ذهب الخير من الناس!
فتأثر أولاد القتيل وقالوا: قد عفونا عنه ..
فقال عمر: لماذا؟

فقالوا: نخشى أن يقال: لقد ذهب العفو من الناس!

● يقول أحد العارفين:

في المآزق ينكشف لؤم الطباع ..
وفي المال تنكشف دعاوى الورع ..
وفي الشدة ينكشف صدق الأخوة ..

ويقول عليّ رضي الله عنه:

من كانت له عند الناس ثلاثٌ وجبت له عليهم ثلاث:
من إذا حدّثهم صدقهم، وإذا اتّمنوه لم يخنهم، وإذا وعدهم وفّى لهم ..

وجب له عليهم أن تحبّه قلوبهم، وتنطق بالثناء عليه ألسنتهم، وتظهر له معونتهم! ..



ما زالت وجوه البعض تكفهراً عندما يأتي الخبر بأن زوجته قد وضعت له «الأنثى» ..

أين هذا من مبادئ الإسلام؟! وأين هذا من العلم الحديث الذي أثبت أن الزوج هو المسؤول عن كون الجنين ذكراً أم أنثى؟! .. عادات مقبولة، وتقاليد جاهلية بالية ما زالت ترسخ في أذهان عدد من الرجال.

فهذه قصة أب رُزق بمولودة جميلة سُميت «يسر»، صُدمَ الأب للخبر؛ إذ كان ينتظر المولود ذكراً! ..

غصّت الأم واغرورت عيناها بالدموع، وكأنها مسؤولة عن جريمة نكراء! كبرتِ البنت وأبوها لا يأبه بها وكأنها غير موجودة في البيت! غفل عن لحظات السعادة التي تغمر الوالدين عادة عندما يبدأ وليدهما بالحبو، أو المشي، أو الكلام! ..

وذات يوم استيقظ الأب وهو على أريكته ليجد «يسراً» نائمة في حضنه، أحسَّ لأول مرة بابنته تضع خدّها على حضنه .. أخذ يفكر ماذا سيجلب لها وهو عائد إلى المنزل؟ ..

أوقف سيارته وهو في طريقه إلى المنزل وجلب لها كيساً مليئاً بقطع من الحلوى .. فتحت زوجته الباب وهي تهتمُّ بالخروج إلى المستشفى فقد نُقل أبوها إلى المستشفى بحالة إسعافية ..

ذهبت أم يسر وبقي هو مع «يسر» في المنزل، ولأول مرة يأتي لابنته بكيس من الحلوى .. احتضنت الكيسَ وكأنها أمسكت كنزاً ثميناً .. فتح واحدة منها ووضعها في فمها ..

يا إلهي! ما أجمل أن يضع الأب قطعة من الحلوى في فم طفلةٍ
حُرمت من هذا الحنان! ..

كان يوماً شاقاً عليه .. جلس على أريكته وأخذ يرقب حركة الأسهم
والبورصات على التلفاز .. حقن نفسه بجرعة الأنسولين التي كان يأخذها
كل يوم، إلا أنه غفل عن تناول أي طعام .. لم يكن يشتهي الطعام؛ فقد
كان باله مشغولاً بما يراه من تذبذب الأسعار وما جنت عليه تجارة الأسهم
من خسائر! ..

شعر بالتعب والإرهاق، أخذت يده ترتجفان، تسرّع القلب وتصبب
العرق من جبينه، زغلل البصر وأظلمت الدنيا من حوله، ثم سقط على
الأرض قبل أن تصل يده إلى الهاتف .. شعر بأن الموت يكاد يخنقه،
وفجأة يشعر بنفسٍ قُربه .. إنها يُسر! .. تركض نحوه، وهي ترتجف، ترى
أباها ملقى على الأرض وهي لا تعرف ماذا تفعل .. تبكي تصيح! ..
أخرجت قطعة الحلوى من فيها فهي لا تملك غيرها، وضعتها في فم أبيها
وهي تضم رأسه بيديها .. تبكي .. تلمسه من كل مكان .. بدأت أمارات
الارتياح تظهر على وجهه، وأخذ يسترد وعيه .. عادت زوجته فوجدته ملقى
على الأرض .. طلبت من فورها الطبيب، فَحَصَّهُ ثم قال: لقد أُصبت
بانخفاض حاد في السكر وكدت تفقد حياتك، ولكن هذه الحلوى هي التي
أنقذتك بإذن الله ..

أخذ يبكي كولد صغير! استغرب الطبيب وانسحب لا يدري لِمَ كل
هذا البكاء؟! انهال على يُسر يقبلها .. بكثُ أم يسر وقال لها: سامحيني
أرجوك! سامحني يا الله! حمداً لك يا إلهي^(١) فقد أنقذتني مرتين! ..



(١) وضعتها أنثى، للأستاذ أنس الكيال، بتصرف.

- إذا كنت تتبع هدي النبي ﷺ، فالله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].
- وإذا كنت تحب المؤمنين وتتواضع لهم، فالله تعالى يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].
- وإذا كنت عزيزاً على الكافرين، لا تخضع لهم ولا تتبعهم في قوانينهم وأخلاقهم، ولا توألمهم ولا تعينهم على المسلمين، ويجب أن تشعر أن ما لديك أرفع مما لديهم من الباطل.
- وتجاهد في سبيل الله، ومعنى الجهاد: جهاد الأعداء.. وجهاد النفس وإخضاعها لما يحب الله، وجهاد الشيطان وما يلقي في النفس من الباطل، وجهاد الهوى!
- ولا تخف في الله لومة لائم: فلا يهتك من يستهزئ بالتزامك بدينك.
- وتؤدي الفرائض والنوافل: وذلك لما جاء في صحيح البخاري: قال ﷺ: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما زال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه».
- وأن تحب في الله: فالرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه يقول: «حقت محبتي للمتحابين في...»^(١) فكلما أحببت أخاك في الله أحبك الله.

(١) صحيح الترغيب: (٣٠٢٠).

● وتتواصل في الله: فتكملة الحديث السابق: «وحقت محبتي للمتواصلين في...» أي: أن تكون العلاقات والصلة مبنية على محبة الله لا لمصلحة من مصالح الدنيا.

● وتزاور في الله: «وحقت محبتي للمتزاورين في...».

● وتبذل لأخيك في الله: «وحقت محبتي للمتباذلين في...»^(١) أي: يبذل لأخيه مما لديه، لا يقصد بذلك إلا وجه الله، وليس لأي غرض من أغراض الدنيا.

نسأل الله تعالى أن نكون من عبيده الذين يحبهم.

وعن أبي هريرة رضي عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«إن من عباد الله عباداً ليسوا بأنبياء، يغطهم الأنبياء والشهداء!».

قيل: من هم؟ لعلنا نحبهم..

قال: «هم قوم تحابوا بنور الله، من غير أرحام ولا أنساب..

وجوههم نور، على منابر من نور..

لا يخافون إذا خاف الناس..

ولا يحزنون إذا حزن الناس» ثم قرأ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]^(٢).

فلنسأل الله تعالى أن نكون منهم..



(١) صحيح الترغيب، للألباني: (٣٠٢٠).

(٢) صحيح الترغيب: (٣٥٢٣).



هَلْ أَنْتِ تُحِبُّ الْقُرْآنَ؟

لو سألنا بعض المسلمين هذا السؤال؛ لأجاب فوراً: نعم.. وكيف لا أحبه وأنا مسلم ابن مسلم، أو مسلمة بنت مسلمة؟!..
ولكن سائل نفسك: هل تفرح بقاء القرآن وتجلس معه ولو لنصف ساعة دون ملل؟ هل تشوق إلى لقائه، أم أنك تُجبر نفسك على ذلك اللقاء؟ هل ترجع إليه في أمور الحياة، أم أنه بعيد عن قضايك؟ هل تطيع أوامره ونواهيه؟..

وكيف يحب القرآن من لا يطيق الجلوس معه لدقائق معدودات، في حين تراه يجلس الساعات على الإنترنت وأمام الفضائيات؟!.. وكيف يحب القرآن من لا يرجع إليه إلا لماماً، أو من رمضان إلى رمضان؟!.. وكيف يحب القرآن من يعصيه في نهاره وليله؟!..

يقول عثمان بن عفان رضي الله عنه: لو طهرت قلوبكم، ما شبعتم من كلام ربكم!..

● أين ذكرك في القرآن؟

يُروى: أن الأحنف بن قيس كان جالساً يوماً، فجال في خاطره قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠].

فقال: عليّ بالمصحف لألتمس ذكري؛ حتى أعلم من أنا ومن أشبهه؟.. فمرّ في المصحف بقوم: ﴿كَأَنَّا قَلِيلًا مِّنَ الْآلِ مَا يَهْجُمُونَ﴾ (٧) **وَبِالْأَنْعَارِ** **هُمْ يَسْتَفِرُّونَ** (١٨) **وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** [الذاريات: ١٧ - ١٩]. ومرّ بقوم: ﴿يُفْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَطِيبِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ومرّ بقوم: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، ومرّ بقوم: ﴿يَجْلِسُونَ كَبَدِّرِ الْأَيْمِ وَالْفَوْحِشِ

وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ [الشورى: ٣٧] .. فقال تواضعاً منه: اللهم لست أعرف نفسي في هؤلاء.

ثم أخذ يقرأ عن قومٍ: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصفات: ٣٥]، وقرأ عن قوم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَوْ نَكُنَّ مِنَ الْمَصْلِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَكُنَّ نَظْمًا الْمَسْكِينِ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٤] .. فقال: اللهم إني أبرأ إليك من هؤلاء!

حتى وقع على قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢] .. فقال: اللهم أنا من هؤلاء!

والآن تعالوا نعرض أنفسنا على القرآن:

إذا قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] ..

اعمل لترى أنت منهم أم لا؟ ..

وإذا قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] ..

اسأل نفسك متى ستكون منهم؟! ..

وإذا قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ..﴾

[الفرقان: ٦٣] ..

انظر أي صفة تنطبق عليك منهم ..

وإذا قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ..

تُرى هل أنت ممن يدعون الله في السراء والضراء؟ ..

وإذا قال تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥٣] ..

فهل أنت ممن يستعين بهما أم بالناس؟ ..

فتعالوا نقرأ القرآن بتدبر وخشوع لنعلم أنها مخاطبة الرحمن لنا يدعونا

لنفوز بأعلى الجنان.

- يقول الشاعر الألماني غوته: «كلما قرأت القرآن شعرتُ أن روعي تهتز داخل جسمي!». .
- ويقول غوته أيضاً: «القرآن كتاب الكتب، وإني أعتقد هذا كما يعتقدُه كل مسلم».
- ويقول أرنست رينان: «لم يَعْتَرِ القرآنُ أيَّ تبديلٍ أو تحريفٍ، وعندما تستمع إلى آياته تأخذك رجةُ الإعجاب والحب، وبعد أن تتوغل في دراسة روح التشريع فيه لا يسعك إلا أن تعظّم هذا الكتاب العلوي وتقدّسه».
- ويؤكد ذلك مايكل هارت فيقول: «لا يوجد في تاريخ الرسائل كتابٌ بقي بحروفه كاملاً دون تحوير سوى القرآن الذي نقله محمد».
- وهذا تولستوي يتنبأ بما سيحصل للبشرية، فيقول: «سوف تسود شريعة القرآن العالم، لتوافقها وانسجامها مع العقل والحكمة.. لقد فهمت، لقد أدركت أن ما تحتاج إليه البشرية اليوم هو شريعة سماوية تحق الحق، وتزهق الباطل».
- ومرةً سمعَ العالمُ الفلكي جيمس جينز العالمَ المسلم عنايةَ الله المشرقي يتلو الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] فصرخ قائلاً: «مدهش وغريب! إنه الأمر الذي كشفتُ عنه بعد دراسة استمرت خمسين عاماً! فمن أنبأ محمداً به؟! هل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة؟! لو كان الأمر كذلك فأنا أشهد أن القرآن كتاب موحى به من عند الله».

- ويقول العالم بارتلمي هيلر: «لَمَّا وَعَدَ اللهُ رَسُوْلَهُ بِالْحَفِظِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَلَّهُ يَفْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] صرف النبي حراسه! والمرء لا يكذب على نفسه، فلو كان لهذا القرآن مصدر غير السماء لأبقى محمد على حراسته!». . .
- ويقول البروفيسور الياباني يوشيو دي كوزان: «لا أجد صعوبة في قبول أن القرآن كلام الله، فإن أوصاف الجنين في القرآن لا يمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع، والاستنتاج الوحيد المعقول هو أن هذه الأوصاف قد أوحيت إلى محمد من عند الله».
- وأخيراً ما أجمل ما قاله الشيخ محمد الغزالي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن القرآن: «القرآن كتاب تذكير إذا نسي الفكر . . . وكتاب إيقاظ إذا نام القلب . . . وكتاب تسديد على الطريق إذا اعوجَّت الخُطا وزاغ الإنسان عن سواء السبيل» . . .



هَكَذَا كَانُوا فِي اللَّيْلِ



هل يمكن أن يتحوّل الليل المظلم إلى ضوء وأنوار؟ ..
هل يمكن أن يتبدد السكون الموحش بتلاوة القرآن وسجود الجباه؟ ..
أما أن لجفاف المشاعر أن تبتلّ بدموع الأسحار؟! ..
ألسنٌ ذاكرة، وأعين ساهرة ..
قلوب خاشعة، وجباه ساجدة ..
إنه ليل العابدين، ولذة المتضرعين ..
إنه أنس المنفردين وحب المخلصين ..
ما أروع هذا الليل وما أحبه!
أين هذا الليل من نوم طويل وركون ثقيل؟! ..

فهذا زمعة العابد كان يقوم فيصلي ليلاً طويلاً، فإذا كان السّحر نادى بأعلى صوته: «يا أيها الراكب المُعرسون، أكلُّ هذا الليل ترقدون؟ ألا تقومون فترحلون؟!» ..

إنهم الموصوفون بأبلغ قول وأعظم صورة في قوله تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السّجدة: ١٦].

ويرسم القرآن لهم صورة «المضاجع» في الليل تدعو الجُنوب إلى الرقاد والتذاذ المنام، ولكن هذه الجُنوب لا تستجيب؛ لأن لها شغلاً عن المضاجع اللينة والرقاد اللذيذ .. شغلاً بربها، شغلاً بالوقوف في حضرته، والتوجه إليه في خشية تتقلّب بين خوف ورجاء.

كان عبد العزيز بن أبي رواد يُفرّش له فراشه لينام عليه بالليل، فكان

يضع يده على الفراش ويتحسسها ثم يقول: ما أليّنك، ولكن فراش الجنة أليّن منك!.. ثم يقوم إلى صلاته.

يقول الجنيد: الصلاة صلّة والسجود قربة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩]، ومن ترك طريق القرب يوشك أن يسلك به طريق البعد.

في ظلمة الليل للعُباد أنوارٌ منها شمسٌ ومنها فيه أقمارٌ تسري قلوبُهُم في ضوئهنّ إلى ذاك المقام ومولاهم لهم جارٌ تخالهم ويك موتى لا حراكٍ بهمٌ وهُم مع الله إقبالٌ وإدبارٌ إن ينطقُوا.. فتلاواتٌ وأذكارٌ أو يسكتُوا.. فاعتباراتٌ وأفكارٌ يقول أحد العارفين: «دقائق الليل غالية، فلا تُرخصوها بالفضلة».

فقم من الليل ولو بعشر آيات، فالرسول ﷺ يقول:

«من قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين، ومن قام بمئة آية كُتب من القانتين، ومن قام بألف آية كُتب من المقنطرين»^(١).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «بحسب الرجل من الخيبة - أو من الشر - أن يبيت ليلته لا يذكر الله حتى يصبح».

كان همّام بن الحارث يدعو: «اللهم اشفني من النوم باليسير، وارزقني سهراً في طاعتك» فكان لا ينام إلا هنيهة وهو قاعد.

يقول إبراهيم بن أدهم: إذا كنت بالليل نائماً، وبالنهار هائماً، وفي المعاصي دائماً، فكيف تُرضي من بالأمر قائماً؟!.



(١) صحيح الجامع: (٦٤٣٩).



أين جيرانُ الله؟

يقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لِينَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ جِيرَانِي؟ أَيْنَ جِيرَانِي؟.. قَالَ: فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا! وَمَنْ يَنْبَغِي أَنْ يَجَاوِرَكَ؟! فيقول: أَيْنَ عُمَّارِ الْمَسَاجِدِ؟»^(١).

فهل أنت من عمّار المساجد؟.

هل أنت ممن يشعر بلذة الصلاة في المساجد، ولذة المشي إلى بيوت الله؟.

هل تشعر بأن مسجد الحي - القريب من بيتك - هو جزء من بيتك؟.
وأنت تعودت أن ترى جيرانك في المسجد، تتفقدتهم إن غاب أحد منهم، وتستمتع بلقائهم، وتتنافس معهم فيمن يصل أولاً إلى المسجد قبل الأذان!.

وإذا ناداك ربك ﷻ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]، وناداك ثانية: ﴿فِرَ الْبَلِّ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ٢]، فهل تلمي؟..

ألم يَأْنِ لَنَا أَنْ نَخْشَعَ لِرَبِّنَا؟!..

ألم يَحِنِ الْوَقْتُ بَعْدَ، لِلْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَدْعُوهُ وَنَرْجُوهُ، نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهِدِيهِ، نَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ؟!..

ألم يَأْنِ لَنَا أَنْ تَقِفَ أَقْدَامُنَا مَعَ الَّذِينَ نَصَبُوا أَقْدَامَهُمْ وَقُوفًا لِرَبِّهِمْ فِي وَقْتٍ قَلَّ فِيهِ الْوَاقِفُونَ؟!..

(١) السلسلة الصحيحة: (٢٧٢٨).

ألم يَأْنِ لَنَا أَنْ تَلْهَجَ أَلْسِنَتَنَا وَأَفْتِدْنَا مَعَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا؟! ..

ألم يَأْنِ لَنَا أَنْ نَلْتَحِقَ بِمَدْرَسَةِ اللَّيْلِ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ فَيَلًا﴾ [المزمل: ٦]؟! ..

أَلَفَتْ جَنُوبَنَا الْمَضَاجِعُ؟! وَالصَّالِحُونَ ﴿لَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] ..

أَزْهَدْتُ أَنْفُسَنَا فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ الَّذِي وَعَدَنَا اللَّهُ إِيَّاهُ؟! ..

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] .. إنه لخطاب للنبي ﷺ ولكل من سار على دربه! .

ألم تشتق أنفسنا لأن يرانا ربنا حين نقوم؟! ..

﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩] ..

ألم تقع عينك في كتاب الله على تلك المقارنة الربانية: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَاتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]؟! ..

وأخيراً لا تدع ذكر الله مهما كان، ألا يُحِبُّ أَحَدُنَا أَنْ تَنْطَلِقَ هَذِهِ التَّسْبِيحَاتِ وَالتَّهْلِيلَاتِ إِلَى عَرْشِ الرَّحْمَنِ فَتُذَكَّرَ بِصَاحِبِهَا عَلَى الدَّوَامِ .

يقول الحبيب المصطفى ﷺ: «إِنْ مِمَّا تَذَكَّرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ: التَّسْبِيحُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّحْمِيدُ، يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهَنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيٍّ النَّحْلِ، تَذَكَّرُ بِصَاحِبِهَا .. أَمَا يُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ - أَوْ لَا يَزَالُ لَهُ - مَنْ يُذَكَّرُ بِهِ؟»^(١) .



(١) السلسلة الصحيحة، للألباني: (٣٣٥٨) .



جَدِّدْ نِيَّتَكَ

الليلة
٣٠٢

كثير من أعمالنا تذهب سدًى إن لم تكن مصحوبة بنية لله، فالطعام والشراب، والعمل والسفر، يمكن أن تجعله رصيلاً لك عند الله إن أنت جعلته لله، يقول ابن القيم رحمته الله: «فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب (أي: النية)، فتكون صورة العاملين واحدة وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض، وما ذلك إلا بوجود النية أو عدمه».

جدد النية في أعمالك كلها، تنل أعظم الأجر، فإن أردت أن تأكل فجدد نيتك بأن إطعامك لأطفالك، لك فيه أجر: «في كل كبد رطبة أجر»^(١).

وإن أردت ركوب السيارة للتنقل، فقل دعاء الركوب كيلا تحرم الأجر: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣ - ١٤].. جدد نيتك وحرك شفيتك بذكر الله أو شغل المسجل بالقرآن أو بمحاضرة مفيدة فلا تحرم الأجر ولا يضيع الوقت.

إذا أردت النوم فتذكر قوله ﷺ: «من قال حين يأوي إلى فراشه: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سبحان الله وبحمده، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»^(٢).

وإذا خرجت من المنزل فتذكر قول رسول الله ﷺ: «من قال - يعني: إذا خرج من بيته - بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله،

(٢) صحيح الترغيب: (٦٠٧).

(١) رواه البخاري ومسلم.

يقال له: كُفِيَتْ وَوُقِيَتْ وَهُدِيَتْ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ»^(١).

وإن أردت الذهاب إلى المسجد فتذكر قوله ﷺ: «وما من رجل يتطهر فيُحَسِّنُ الطَّهْرَ ثُمَّ يَعْمَدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحْطُ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً»^(٢). . . فجدد نيتك واكسب الأجر.

وإذا جلست مع الأصحاب وخضت في الحديث؛ فلا تنس كفارة المجلس؛ فالرسول ﷺ يقول: «ما من إنسان يكون في مجلس فيقول حين يريد أن يقوم: (سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك) إلا غفر له ما كان في ذلك المجلس»^(٣).

وعند الوضوء جدد النية وتذكر قول الرسول ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فُتِّحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»^(٤).

وإذا فرغت من طعامك أو لبست ثوباً فتذكر حديث رسول الله ﷺ: «من أكل طعاماً ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام، ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن لبس ثوباً فقال: الحمد لله الذي كساني هذا، ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»^(٥).

عمل خفيف، وأجر كبير، ولكن كم منا من يفتن إليه؟ . . . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

(١) رواه أبو داود والترمذي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح (صحيح الترمذي: ٣٤٢٦).

(٢) رواه مسلم.

(٣) مجمع الزوائد، للهيثمي، ورجاله رجال الصحيح.

(٤) صحيح الجامع: (٦١٦٤).

(٥) صحيح الجامع: (٦٠٨٦).



زِدْ رَصِيدَ إِيمَانِكَ..

الليلة
٣٠٣

لا شك أن الإيمان يزيد وينقص، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَ جَعَعُوا لَكُمْ فَآخَسَوْهُمُ فزَادَهُمُ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يدعو فيقول: «اللهم زدنا إيماناً وبقيناً وفقهاً»..

١ - اقرأ القرآن بتدبر، فالقرآن هو كتاب الله المبين، وهو الهادي إلى صراطه المستقيم.. يقول تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وهل هناك ذكر أفضل من تلاوة القرآن؟.. يقول عثمان بن عفان رضي الله عنه: «لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام الله تعالى».

٢ - أكثر من ذكر الله عز وجل والتدبر في أسمائه وصفاته؛ فذكر الله تعالى ليس أن يتحرك اللسان ويلهج بالكلمات، ولكن أن يكون الإنسان مستشعراً قدرة الله عليه، وأن يعيش مع كل اسم من أسماء الله يذكره به.

٣ - اقرأ كتاباً في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، فالتعرف على سيرته تزيد العبد حباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإيماناً بالله عز وجل.

٤ - أكثر القراءة في صفات الجنة والنار وما أعدده الله للمتقين المؤمنين من نعيم مقيم، وما أعدده للعاصيين من عذاب أليم.

٥ - تأمل في آيات الله الكونية، وعظيم صنع الله عز وجل في هذه الكون البديع.

٦ - تعلم العلوم الدنيوية للتعرف على إعجاز الله تعالى في خلقه؛ فقد خصَّ

الله تعالى العلماء بخشيته فقال: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

٧ - جالس الصالحين وأهل الخير الذين يذكرون بالله، وتجنب العاصين وأصدقاء السوء، فمجالسة الصالحين تدفع المرء إلى السلوك القويم وطاعة الله؛ يقول أحد الصالحين: «عليك بصحبة من تُذكرك الله ﷻ رؤيته، ويزيد في عملك منطقتَه، ويزهّدك في الدنيا عمله، ولا تعصي الله ما دمت في قربهِ، يعظك بلسان فعله، لا بلسان قوله»^(١).

٨ - أكثر القراءة في كتب الرقائق والمواعظ.

٩ - انظر إلى من هو أعلى منك في أمور الدين، ومن هو أقل منك في أمور الدنيا حتى تحمد الله ﷻ، ويطمئن القلب إلى جوار ربه ويقنع بما قسم الله.

١٠ - لا تُبالغ في المباحات من أكل وشرب ولهو ولعب وضحك؛ فكثرة هذه الأشياء تؤثر على القلب.

١١ - اجتهد في العبادة، وخاصة في أوقات الخلوة، لا سيما صلاة ركعتين في جوف الليل والناس نيام، قال تعالى: ﴿ تَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: ١٦].

١٢ - راقب الله ﷻ في كل كبيرة وصغيرة، واستشعر قربهِ منك.

١٣ - اجمع بين الرجاء في رحمة الله، والخوف من عدم القبول.



(١) كيف نزيد من رصيد الإيمان؟، للأستاذ رمضان بديني، بتصرف.



رَطَّبْ لِسَانَكَ!

الليلة
٣٠٤

«أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانَكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»^(١)

حديث لرسول الله ﷺ .

فمن المألوف في دنيا الناس أن الفقير هو الذي يذكر الغني،
والضعيف يذكر القوي! ..

ولكن الأمر مع الله تعالى مختلف تماماً؛ فالله يَذْكُرُ من يذكره! بل
ويذكره في ملاً خير من مَلَّئِهِ ..

فيا له من شرف وفضل! أن يذكر الربُّ العظيمُ العبدَ الضعيف! أن
يذكر الربُّ الغنيُّ العبدَ الفقير! إنه ذكر ما بعده ذكر! ..

اذكروني بالأسحار أذركم بالليل والنهار، اذكروني بالثناء أذركم
بالعطاء، اذكروني بالندم أذركم بالكرم، اذكروني في دار الفناء أذركم في
دار البقاء... هكذا ينادينا ربُّ الأرض والسماء .

يقول بعض أهل العلم: «من رأى مبتلئاً فدمعت عيناه فهو من
الذاكرين الله؛ لأنه يذكر نعمة الله عليه؛ فهذا كأنه ذكر الله بلسانه» .

ذكر الله ﷻ قُوَّةٌ للقلوب، وقرَّةٌ للعيون، وسرورٌ للنفوس، به تُجلب
النَّعْم وتُدفع النَّقْم؛ فهو نعمة عظيمة ومنحة كبرى، له لذة لا يدركها إلا من
ذاقها، عبَّر عنها أحدهم فقال: «والله إنَّا لفي لذة لو علمها الملوك وأبناء
الملوك لجالدونا عليها بالسيوف» .

والقلوب تطمئنُ بذكر الله؛ فالمؤمن إذا ذكر من أسماء الله وصفاته:

(١) صحيح الجامع: (١٦٥).

الرِّزَّاق، الفَتَّاح، الوَهَّاب، الكَرِيم، البَاسِط؛ اطمأنَّ على رزقه . .
 وإذا ذكر من أسمائه تعالى: الغفور، الرَّحِيم، التَّوَّاب، العَفْوُ؛ اطمأنَّ
 على مغفرة ذنوبه وتكفير سيئاته . .

وإذا ذكر من أسمائه: العليم، الخبير، السميع، البصير؛ اطمأنَّ على
 أن ما أصابه وإنما هو بقدر الله وعلمه . .

وإذا ذكر من أسمائه: القادر، المنتقم، الجبَّار؛ اطمأنَّ على قدرة الله
 تعالى على الانتقام من المتجبرين، ورد كيد المعتدين، ودفع الظالمين .
 وهكذا العيشُ مع أسماء الله وصفاته يُكسِبُ القلب طمأنينةً و يقيناً،
 وينزل على النفس برداً وسلاماً .

وأخيراً لا تنسَ إفشاء اسم: السلام؛ فالرسول ﷺ يقول:

«السلام . . اسم من أسماء الله وضعه الله في الأرض، فأفشوه بينكم،
 فإن الرجل المسلم إذا مرَّ بقوم فسَلَّم عليهم، فردّوا عليه، كان له عليهم
 فضل درجة بتذكيره إياهم السلام، فإن لم يردوا عليه ردّ عليه من هو خير
 منهم وأطيب»^(١) .



(١) صحيح الجامع: (٣٦٩٧).



أَيْنَ الْإِسْلَامُ؟..

هل الإسلام رموز وزينة وشعارات.. أم أنه يقين في القلب، وترجمة في واقع الحياة؟.

يقول الأستاذ محمد الصائغ: «فتشتُ عن الإسلام في كثير من بيوت المسلمين، فرأيتُه آياتٍ مزخرفةً معلقةً على الجدران!.. ورأيتُه كتاباً مكرماً في كل مكتبة منزلية.. لكن الغبار متراكم عليه!.. ورأيتُه قطعاً ذهبية على صدور النساء دون أن يدخل إلى قلوبهن!..

ورأيتُه مصاحف تتلى في المساجد، ومواعظ تلقى على المنابر، وصلوات تقام في أوقاتها، ولكن أكثر المسلمين أبواً أن يخرجوا بها إلى الأسواق والمنازل، والمكاتب والمصانع، والمدارس والجامعات..

ورأيتُه أسماء توحى بأن أصحابها مسلمون، ولكنهم رأوها لا تناسب العصر، ففرنجوا أسماء أبنائهم وبناتهم كي تليق بتقليعات الثياب الفاضحة، وقصات الشعر «المفرنسة»..

رأيتُه قرآناً تُفتح به برامج الإذاعات كل يوم!..

رأيتُه في أماكن كثيرة.. ولكنه غير الإسلام الذي أراد الله لعباده؛ فهل أنا يائس متشائم؟.

لا.. أبداً؛ فأنا متفائل بمستقبل الإسلام، وقد بدت بوادر الوعي تلاحق فلول الجهل، وأخذت الأصوات تعلو وتصيح: نريد الإسلام وحده»^(١).

فالإسلام أخوة ومحبة، فيض وعطاء، حفظ للحقوق، وتربية للضمائر.. يتسع لكل جديد نافع، ويضيق بكل مُزَيَّفٍ ضار..

(١) قطفوف إسلامية، للأستاذ محمد الصائغ، بتصرف.

لكنه يحتاج إلى عدسة صافية واسعة، ينظر بها المنصفون، ويعمل برؤيتها المُصلحون.

فلو أخلص المسلم لما كذب، ولا خان أحداً أبداً، ولا دخل قلبه شيءٌ من الحقد والحسد، ولا عَرَفَ النفاق في تعامله، ولا تجاوز على حقوق الآخرين، ولا ظَلَمَ ولا تكَبَّرَ، ولا طغى ولا تجبر، ولا سكت على الباطل، ولا قَبِلَ بالفساد، ولا هان على أعدائه، ولا رسب في امتحان، ولا جزع عند المصائب، ولا قنط من رحمة الله، ولا أغرته المناصب، ولا ترك لغيره اكتشاف آيات الكون، ولا قضى أوقاته في اللهو والترف، ولا قال ما لا يفعل، ولا رضي بهجران دينه، ولا وصل إلى ما وصل إليه من الهوان عند الناس.

ومن كانت تلك صفاته كان حرياً به أن يكون قدوة للآخرين، وسيداً ظاهراً على مَنْ سواه، وجديراً بنصر الله؛ فما أحوجنا إلى الإخلاص^(١)! ..
والرعد - مهما صال ومهما جال - إن لم يرافقه مطر؛ لا ينبت الزرع ولا يفيد الناس.. كذلك العمل الذي لا إخلاص فيه لا يثمر الخير ولا ينفع..

يقول مصطفى صادق الرافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن الخطأ الأكبر أن تنظّم الحياة من حولك وتترك الفوضى في قلبك.

سأل سائلُ ابن الجوزي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أيجوز أن أفسح نفسي في مُباح الملاهي؟.

فقال له: عند نفسك من الغفلة ما يكفيها!.



(١) المرجع السابق نفسه.

حديثٌ مع النَّفسِ



الليلة
٣٠٦

يقول أحد العارفين :

الفكر لا يُحدُّ، واللسانُ لا يصمُّ، والجوارح لا تسكن . .
فإن لم تُشغَلْها بالعظام؛ اشتغلت بالصغائر . .
وإن لم تُعملْها في الخير؛ عملت في الشر . .
فعلّمها التحليق؛ تكره الإسفاف . .
وعرّفها العزَّ؛ تنفر من الذل .

قيل لابن المقفع : من أدبك؟ قال : نفسي .

فقيل له : وكيف يمكن للمرء أن تؤدِّبه نفسه؟ .

فقال : إن رأيتُ حسنًا أتيتُه، وإن رأيتُ قبيحًا أبيتُه . .

ويقول أحد الحكماء : إن الشجرة التي لا تميلها الريح هي شجرة ميتة
الجزور، كذلك النفس التي لا تهزُّها الأحزان هي نفس ماتت فيها معاني
الإنسانية السامية! . .

قيل لقس بن ساعدة : ما أفضل المعرفة؟ .

قال : معرفة الرجل نفسه .

قيل له : فما أفضل العلم؟ .

قال : وقوف المرء عند علمه .

قيل له : فما أفضل المروءة؟ .

قال : استبقاء الرجل ماء وجهه .

فانظر في صحائف أيامك التي خلت؛ ماذا ادخرتَ فيها لآخرتك؟ ..
 اخلُ بنفسك وحاسبها حساب الشحيح! .
 يقول ميمون بن مهران: «لا يكون العبد تقيّاً حتى يكون مع نفسه أشد
 من الشريك مع شريكه».

والعاقل من وقف مع نفسه وقفة حساب وعتاب؛ يصحح مسيرتها
 ويتدارك زلتها. . يتصفّح في ليله ما صدر من أفعال نهاره؛ فإن كان محموداً
 أمضاه، وإن كان مذموماً استدركه وانتهى عن مثله في المستقبل .
 ويقول ابن حبان: «أفضل ذوي العقول منزلة أدومهم لنفسه
 محاسبة» . .

وغياب محاسبة النفس نذير غرق العبد في هواه، فما أردى الكفار في
 لجج العمى إلا ظنهم أنهم يمرحون كما يشتهون بلا رقيب، ويفرحون بما
 يهوون بلا حسيب، قال سبحانه عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾
 [النبا: ٢٧].

يقول الحسن البصري رحمته الله: «لا يليق بالمؤمن إلا أن يعاتب نفسه
 فيقول لها: ماذا أردتِ بكلمتي؟ ماذا أردتِ بأكلتي؟ ... وأما الفاجر
 فيمضي قُدماً لا يُعَاتِبُ نفسه».





مَوْطِنَانِ..

الليلة
٣٠٧

- موطنان ابك فيهما ولا حرج: طاعة فاتتك بعد أن واتتك، ومعصية ارتكبت بعد أن تركت ..
- وموطنان افرح فيهما ولا حرج: معروفٌ هُديتَ إليه؛ وخيرٌ دُللتَ عليه ..
- وموطنان أكثر من الاعتبار فيهما: قوي ظالم قصمه الله، وعالم فاجر فضحه الله ..
- وموطنان لا تطل الوقوف عندهما: ذنب مع الله مضى، وإحسانٌ إلى الناس سلف ..
- وموطنان لا تندم فيهما: فضلٌ لك جحدته قرناؤك، وعفوٌ منك أنكره عتقاؤك ..
- وموطنان لا تشمت فيهما: موت الأعداء، وضلال المهتدين ..
- وموطنان لا تقصّر في البذل فيهما: حماية صحتك، وصيانة مروءتك ..
- وموطنان لا تخجل من البخل فيهما: الإنفاق في معصية الله، وبذل المال فيما لا حاجة إليه ..
- وموطنان انس فيهما نفسك: وقوفك بين يدي الله، ونجدتك لمن يستغيث بك ..
- وموطنان لا تتكبر فيهما: حين تؤدي واجبك، وحين تجالس المتواضع ..
- وموطنان أكثر منهما ما استطعت: طلب العلم، وفعل المكرمات ..

- وموطنان أقلل منهما ما قدرت: تخمة الطعام، ولهو العاطلين ..
- وموطنان ادّخرهما لتغير الأيام: صحتك، وشبابك ..
- وموطنان ادّخرهما ليوم الحساب: علمك، ومالك^(١) ..

● من كانت فيه خصلتان:

- من كانت فيه خصلتان أحبه الله: التقوى، وحسن الخلق ..
- ومن كانت فيه خصلتان أحبه الناس: السخاء، وفعل المعروف ..
- ومن كانت فيه خصلتان أحبه جيرانه: البشاشة، وكرم المعاملة ..
- ومن كانت فيه خصلتان أحبه أهله: لطف معاملتهم، وتفهم مشكلاتهم ..
- ومن كانت فيه خصلتان أحبه رؤساؤه: جميل طاعته لهم، وإتقان عمله عندهم ..
- ومن كانت فيه خصلتان أحبه الله والناس جميعاً: فعل الخير، واجتناب الأذى.



(١) هكذا علمتني الحياة، للدكتور مصطفى السباعي.

لست أنت الأعمى (١)



يروى أحدهم قصته مع ولده سالم؛ فيقول: لم أكن جاوزت الثلاثين حين أنجبت زوجتي أول أبنائي ..

ما زلتُ أذكر تلك الليلة، بقيتُ إلى آخر الليل مع الشلّة في إحدى الاستراحات .. كانت سهرة مليئة بالكلام الفارغ، بل بالغيبة والضحكات العابثة، كنت أنا الذي أتولى في الغالب إضحاكهم! كنتُ أمتلك موهبة عجيبة في التقليد، كنتُ أسخر من هذا وذاك! ولم يسلم مني أحد حتى أصحابي ..

أذكرُ أنني سخرتُ في تلك الليلة من أعمى رأيته يتسوّل في السّوق .. والأدهى من ذلك أنني وضعت قدمي أمامه، فتعثّر وسقطت يلفته برأسه لا يدري ما يقول ..

عدتُ إلى بيتي متأخراً كالعادة، وجدتُ زوجتي في انتظاري، كان الإعياء ظاهراً عليها، ويبدو أن موعد ولادتها قد أصبح وشيكاً ..

أحسستُ أنني أهملت زوجتي، كان المفروض أن أهتمّ بها وأقلل من سهراتي، خاصة أنها في شهرها التاسع .. حملتها إلى المستشفى بسرعة، وكنت أنتظر ولادتها بفارغ الصبر، إلا أن ولادتها قد تعسّرت ..

خرجتِ الطبيبة وبدأت تُكلّمني عن المصائب، والرضا بالأقدار .. ثم قالت: ولدك به تشوه شديد في عينيه، ويبدو أنه فاقد البصر!

خففت رأسي وأنا أدافع عبراتي! تذكّرت ذاك المتسوّل الأعمى الذي دفعته في السوق وأضحكتُ عليه الناس! ..

سبحان الله كما تدين تدان! بقيتُ واجماً قليلاً، لا أدري ماذا أقول ..

لم تحزنُ زوجتي، كانت مؤمنة بقضاء الله راضية، لطالما نصحتني أن أكفَّ عن الاستهزاء بالناس، ولكنني لم أكن أستجيب!.

لم أكن أهتم بـ «سالم» كثيراً، اعتبرته غير موجود في المنزل.. حين يشتد بكأؤه أهرب إلى الصالة لأنام فيها، كانت زوجتي تهتم به كثيراً، وتحبه كثيراً.. أما أنا فلم أكن أكرهه، لكنني لم أستطع أن أحبه!..

وعندما قارب عمره السنة اكتشفنا أنه أعرج، فأصبح أكثر ثقلاً على نفسي!.. أنجبت زوجتي بعده عمر وخالداً..

مرّت السنوات، وكبر سالم، وكبر أخواه.. كنت لا أحب الجلوس في البيت، فتراني دوماً مع أصحابي، ولم تئس زوجتي من إصلاححي.. كانت تدعولي دائماً بالهداية، وكانت تحزن كثيراً إذا رأت إهمالي لسالم واهتمامي بباقي إخوته..

لم أكن أحس بمرور السنوات.. أيامي سواء، عمل ونوم، وطعام وسهر.. وفي يوم جمعة استيقظت الساعة الحادية عشرة ظهراً، كنت مدعوّاً إلى وليمة، فلبستُ وتعطّرتُ وهممت بالخروج.. استوقفني منظر سالم، كان يبكي بحرقة! إنها المرّة الأولى التي أنتبه فيها إلى سالم يبكي مذ كان طفلاً! عشر سنوات مضت لم ألتفت إليه! حاولتُ أن أتجاهله فلم أحتمل.. اقتربت منه، قلت: سالم! لماذا تبكي؟!..

حين سمع صوتي توقّف عن البكاء.. فلما شعرَ بقربي، أحسستُ أنه يحاول الابتعاد عني! وكأنه يقول: الآن أحسست بي؟! أين أنت منذ عشر سنوات؟! رفض أن يخبرني في البداية عن سبب بكائه، فحاولتُ التلطف معه..

.. يتبع ..





لقد تأخر عليه أخوه عمر الذي اعتاد أن يوصله إلى المسجد، ولأنها صلاة جمعة خاف ألا يجد مكاناً في الصف الأول.. كانت صفقة قاسية على وجهي أيقظتني من سبات عميق..

عندها نسيت أصحابي، ونسيت الوليمة!.. وقلت: سالم! لا تحزن، هل تعلم من سيذهب بك اليوم إلى المسجد؟.. قال: أكيد عمر، لكنه يتأخر دائماً..

قلت: لا، بل أنا سأذهب بك..

دهش سالم! ظنّ أنني أسخر منه! مسحّت دموعه وأخذت بيده إلى المسجد.. لا أذكر متى كانت آخر مرّة دخلت فيها المسجد، لكنها المرّة الأولى التي أشعر فيها بالخوف والندم على ما فرطته طوال السنوات الماضية..

كان المسجد مليئاً بالمصلّين إلا أنني وجدت لسالم مكاناً في الصف الأول.. استمعنا لخطبة الجمعة معاً، وصلّى بجانبني، بل في الحقيقة أنا صلّيت بجانبه!.. وبعد انتهاء الصلاة طلب منّي سالم مصحفاً..

استغربت! كيف سيقراً وهو أعمى؟!..

ناولته المصحف، فطلب منّي أن أفتح المصحف على سورة الكهف..

أخذت أقلب الصفحات تارة، وأنظر في الفهرس تارة أخرى، حتى وجدتّها.. أخذ مني المصحف ثم وضعه أمامه، وبدأ في قراءة السورة وعيناه مغمضتان.. يا الله! إنّه يحفظ سورة الكهف كاملة!..

خجلت من نفسي.. أمسكت مصحفاً، أحسست برعشة في أوصالي،

قرأتُ .. وقرأتُ .. دعوتُ الله أن يغفر لي ويهديني .. لم أستطع الاحتمال،
فبدأت أبكي كالأطفال .. لم أشعر إلا بيد صغيرة تتلمس وجهي، ثم تمسح
عني دموعي ..

إنه سالم! ضممتُه إلى صدري .. قلت في نفسي: لست أنت الأعمى،
بل أنا الأعمى .. حين انسقتُ وراء فسّاقٍ يجرّون بي إلى النار! ..

عدنا إلى المنزل .. كانت زوجتي قلقة كثيراً على سالم، لكن قلقها
تحوّل إلى دموع حين علمت أنني صليت الجمعة مع سالم ..

ومنذ ذلك اليوم لم تفتني صلاة جماعة في المسجد .. هجرتُ رفاق
السوء، وأصبحتُ لي رفقة خيرة عرفتُها في المسجد، ذقت طعم الإيمان
معهم، ختمتُ القرآن عدّة مرّات في شهر، رطبت لساني بالذكر لعلّ الله يغفر
لي غيبيتي وسخريتي من الناس ..

وذات يوم قرر أصحابي الصالحون أن يتوجّهوا إلى إحدى المناطق
البعيدة للدعوة .. استخرتُ الله، واستشرتُ زوجتي .. فرحتُ كثيراً بل
شجعتني .. أخبرتُ سالمًا أنني مسافر، ضمّني بذراعيه الصغيرتين مودّعاً ..

تغيّبتُ عن البيت ثلاثة أشهر .. وعندما عدت إلى المنزل تمّنت أن
يفتح لي سالم، لكن فوجئتُ بزوجتي؛ كان وجهها متغيراً .. سألتها: أين
سالم؟ ..

خفضتُ رأسها ولم تجب .. سقطتُ دموعاً حارة على خديها، لم
أسمع حينها سوى صوت ابني خالد يقول: بابا! سالم راح الجنّة ..

عرفت بعدها أن سالمًا أصابته حمّى قبل مجيئي بأسبوعين، فأخذته
زوجتي إلى المستشفى، وهناك فارقت روحه جسده^(١) ..

(١) في بطن الحوت، للدكتور محمد عبد الرحمن العريفي، بتصرف.



كيف يكونُ الحمدُ؟

«الحمد» ليس كلمة تقال باللسان ولو ردّدها اللسان ألف مرّة، ولكن الحمد على النعم أن تُفيض منها على المحتاج إليها . .
فحمدُ الغني أن يعطي الفقراء، وحمدُ القوي أن يساعد الضعفاء، وحمدُ الصحيح أن يعاون المرضى، وحمدُ الحاكم أن يعدل في المحكومين . .

فهل أكون حامداً لله على هذه النعم إذا كنت أنا وأولادي في شبع ودفء، وجاري وأولاده في الجوع والبرد؟ وإذا كان جاري لم يسألني أفلا يجب عليّ أن أسأل عنه؟ . .

وأنا بالنسبة إلى أرباب الآلاف المؤلفة فقير، ولكنني بالنسبة إلى العامل الذي يعيل عشرة، وما له إلا أجرته غنيّ من الأغنياء . .

وهذا العامل غني بالنسبة إلى الأرملة المفردة التي لا مورد لها ولا مال في يدها، فليس في الدنيا فقير ولا غني فقراً مطلقاً وغنى مطلقاً، كل واحد وواحدة منكم يستطيع أن يجد من هو أفقر منه فيعطيه، والذي ليس عنده إلا أربعة ثياب مرقّعة يعطي ثوباً لمن ليس له شيء، وربّ ثوب هو في نظرك عتيقٌ وقديم بال، لو أعطيتّه لغيرك لراه ثوب العيد ولا تتخذه لباس الزينة، وهو يفرح به مثل فرحك أنت . .

ولا تظنوا أنّ ما تعطونه يذهب بالمجان، لا والله، إنكم تقبضون الثمن أضعافاً؛ تقبضونه في الدنيا قبل الآخرة .

فبنك الحسنات يُعطي أرباحاً سنوية قدرها سبعون ألفاً في المئة، نعم ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وهناك زيادات تبلغ ضعف الربح: ﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

فهل في الدنيا عاقل يعامل بنك المخلوق الذي يعطي (٥٪) ربحاً حراماً وربما أفلس أو احترق، ويترك بنك الخالق الذي يعطي في كل مئة ربحاً قدره سبعون ألفاً، وهو مؤمنٌ عليه عند رب العالمين فلا يفلس ولا يحترق ولا يأكل أموال الناس؟! .

والصدقة تدفع البلاء ويشفي الله بها المريض، وهذه أشياء مجربة .
والنساء أقرب إلى الإيمان وإلى العطف، وإن كانت المرأة - بطبعها - أشدَّ بخلاً بالمال من الرجل، وأنت تنظر إلى كل واحدة من النساء الفاضلات ما الذي تستطيع أن تستغني عنه من ثيابها القديمة أو ثياب أولادها، وممّا ترميه ولا تحتاج إليه من فرش بيتها، وممّا يفيض عنها من الطعام والشراب، فتفتش عن أسرة فقيرة يكون هذا لها فرحة الشهر .
ولا تُعطي عطاء الكبر والترفع، فإنّ الابتسامة في وجه الفقير مع «القرش» تعطيه له؛ خير من «جنيه» تدفعه له وأنت شامخ الأنف متكبر مترفع .
والخلاصة يا سادة: إنّ من أحبَّ أن يسخر الله له من هو أقوى منه وأغنى فليعز من هو أضعف منه وأفقر، وليضع كل منّا نفسه في موضع الآخر، وليحب لأخيه ما يحب لنفسه .

إنّ النعمَ إنّما تُحفظ وتدوم وتزداد بالشكر، وإنّ الشكر لا يكون باللسان وحده، ولو أمسك الإنسان سبحة وقال ألف مرة: «الحمد لله» وهو يضمن بماله إن كان غنياً، ويظلم بسلطانه إن كان ذا سلطان؛ لا يكون حامداً لله، وإنّما يكون مُرائياً أو كذاباً .

فاحمدوا الله على نعمه حمداً فعلياً، وأحسنوا كما تحبون أن يُحسن الله إليكم^(١) .

(١) من مقال للشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللهُ باختصار .



- أوحى الله إلى موسى ﷺ: يا موسى! خمس كلمات ختمت لك بهن التوراة، فإن عملتَ بهنَّ نفعك العلمُ كله، وإلا لم ينفعك شيء:
- الأولى: كن واثقاً من رزق مضمون ما دامت خزائني مملوءة، وخزائني لا تنفذ أبداً..
- الثانية: يا موسى! لا تخف من ذي سلطان ما دام سلطاني باقياً، وسلطاني لا يزول أبداً..
- الثالثة: يا موسى! لا تدعنَّ محاربة الشيطان ما دام روحك في بدنك، فإنه لا يدعُ محاربتك أبداً..
- الرابعة: يا موسى! لا ترَ عيب غيرك ما دام فيك عيب، والمرء لا يخلو من عيب أبداً..
- الخامسة: يا موسى! لا تأمنُ مكري حتى تدخل الجنة، وفي الجنة أصاب آدم ما أصاب، فلا تأمن مكري أبداً..

● كن واثقاً من رزق مضمون:

- فالله جلَّ في علاه يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذَّارِيَات: ٢٢].
- واسترزق الله ممَّا في خَزَائِنِهِ فَإِنَّ رِزْقَكَ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ
وَاسْتَغْنِ بِاللَّهِ عَنِ دُنْيَا الْمُتْلُوكِ كَمَا اسْتَغْنَى الْمَلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ
والأرزاق - كما يقول أخي الحبيب الدكتور محمد راتب النابلسي -
أوسع بكثير من أن تكون مالاً أو صحة أو طعاماً أو شراباً!..
- فإذا عرف الإنسان ربه، فهذا رزق من الله..
- وإذا ألقى الله في قلب المؤمن الأمان؛ فهذا من رزق الله..

وإذا ألقى الله في قلبك الرضا، فهذا رزق.

- وأول أسباب زيادة الرزق: الاستقامة على أمر الله: ﴿وَالْوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

فقد يُحرم المرء بعض الرزق بالمعصية، فمحل تجاري فيه غض بصر، وفيه ضبط لسان وإقامة صلاة.. محل مرزوق.

- ومن أسباب زيادة الرزق: صلة الرحم، والعتو عن ظلمك..
وتذكّر أن الأمر كله بيد الله:

كُنْ مَعَ اللَّهِ تَرَ اللَّهُ مَعَكَ وَاتْرِكِ الْكُلَّ وَحَازِرُ طَمَعَكَ
وَإِذَا أَعْطَاكَ مَنْ يَمْنَعُهُ ثُمَّ مَنْ يُعْطِي إِذَا مَا مَنَعَكَ

كان أبو الحسن البصري رحمته الله يأكل يوماً مع بعض أصحابه، فجاءه قط، فرموا له شيئاً فأخذه وذهب سريعاً، ثم أقبل فرموا له شيئاً، فانطلق به سريعاً، ثم جاء فرموا له شيئاً أيضاً.. فتعجبوا أنه لا يأكل هذا كله فتبعوه، فإذا به يذهب إلى قطّ آخر أعمى..

فقال الشيخ: يا سبحان الله! هذا حيوان بهيم قد ساق الله إليه رزقه على يد غيره، أفلا يرزقني الله وأنا عبده وأعبده؟!..

قال رسول الله صلوات الله وسلاماته:

«يقول الله تعالى: ابن آدم! تفرغ لعبادتي أَمْلاً صَدْرَكَ غَنِيًّا، وَأَسَدَّ فَرَقَكَ، وَإِنْ لَا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شَغْلًا، وَلَمْ أَسَدَّ فَرَقَكَ»^(١).



(١) صحيح الجامع: (١٩١٤).



لا تَخَفْ من ذِي سُلْطَانٍ

الليلة
٣١٢

يقول رسول الله ﷺ: «لا تخف في الله لومة لائم»^(١).

● فهذا سلطان العلماء العز بن عبد السلام يضرب لنا أروع الأمثلة في حوارهِ مع السلطان.

لَمَّا جاءت الأخبار بوصول التتار إلى الشام، وكان ذلك في رمضان، أعدَّ السلطان سيف الدين قطز أموره على أن يخرج إليهم بالجيش المصري بعد العيد (لأنه يعتقد أنه غير جاهز في رمضان) فقال الشيخ: اخرجوا للحرب وأنا أضمن لكم على الله النصر.

فقال السلطان: إن المال في خزانتي قليل، وأنا أريد الاقتراض من أموال التجار!.

فقال له الشيخ العز بن عبد السلام: إذا أحضرت ما عندك وعند حريمك، وأحضرَ الأمراء ما عندهم من الحلي الحرام، وجعلته نقوداً ووزعته على الجيش ولم يَقم بكفائتهم، فعند ذلك اطلب القرض من التجار!..

فأحضر السلطان والأمراء كلهم ما عندهم من ذلك بين يدي الشيخ.. وكان للشيخ عظمة وهيبة.. فامتثلوا أمره وانتصروا..

● وكان سبب خروج العز بن عبد السلام من دمشق: أن الملك الصالح إسماعيل وضع يده في يد الصليبيين بالشام واستعان بهم، وتنازل لهم على مدينة صيدا، فأنكر عليه الشيخ، فغضب عليه السلطان وسجنه.. ولما خرج من سجنه رحل الشيخ إلى مصر..

(١) صحيح الترغيب: (٢٨٦٨).

يقول السبكي: كان الشيخ يقرأ القرآن والسلطان يسمعه، فقال لملوك الفرنج: هذا أكبر قسوس المسلمين، وقد حبسته لإنكاره عليّ تسليمي لكم حصون المسلمين، وعزلته عن مناصبه، ثم أخرجته فجاء إلى القدس، وقد جدّدتُ حبسه لأجلكم! فقالت له ملوك الفرنج: لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجليه وشربنا مرّتها!..

● وقد أندر الله تعالى الظالم بأنه لن يفلت من عقابه، فالرسول ﷺ يقول: «إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته». قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هُود: ١٠٢] (١). وإذا كان هذا مصير الظالم؛ فما مصير من يتردد في نصرة المظلوم وهو قادر على نصرته؟!..

يجيب على ذلك سيد المرسلين ﷺ فيقول: «ما من امرئ يخذل مسلماً في موطن يُنتقص فيه عرضه، ويُنتهك فيه من حُرْمته، إلا خذله الله في موطن يحبُّ فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلماً في موطن يُنتقص فيه من عرضه، ويُنتهك فيه من حُرْمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته» (٢).

ويقول ﷺ: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مُقسط (عادل) متصدق مُوفّق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال» (٣).



(١) رواه البخاري.

(٢) مجمع الزوائد: ٢٧٠/٧، وإسناده حسن.

(٣) رواه مسلم.



لا تدعَنَّ مُحَارَبَةَ الشَّيْطَانِ

الليلة
٣١٣

كثيرة هي مداخل الشيطان على عباد الله ليغويهم ويضلهم عن السبيل المستقيم ..

ومن الناس من يسلم من كيد شياطين الجن، ويقع في حيل شياطين الإنس! فالشيطان يوسوس لك بالفكرة، ولكن شيطان الإنس يقدم لك كل المفسدات؛ يقدم لك المواقع الإباحية، ويهيئ لك وسائل الاتصال بالفسادات من النساء، يعطيك رقم الجوال، بل ربما مفتاح شقة ليرتب لك اللقاء ..

يروى: أن رجلاً جاء إلى الإمام أبي حنيفة ذات ليلة، وقال له: يا إمام! دفنتُ مالاً منذ مدة في مكان ما، ولكنني نسيت هذا المكان، فهل تساعدني في حل هذه المشكلة؟.

فقال له الإمام: ليس هذا من عمل الفقيه، حتى أجد لك حلاً .. ثم فكّر لحظة وقال له: اذهب، فصلّ حتى يطلع الصبح، فإنك ستذكر مكان المال إن شاء الله تعالى .. فذهب الرجل، وأخذ يصلي .. وفجأة، وبعد وقت قصير، وأثناء الصلاة، تذكّر المكان الذي دفن المال فيه، فأسرع وذهب إليه وأحضره ..

وفي الصباح جاء الرجل إلى الإمام أبي حنيفة، وأخبره أنه عثر على المال، وشكره، ثم سأله: كيف عرفتُ أنني سأذكر مكان المال؟! فقال الإمام: لأنني علمت أن الشيطان لن يتركك تصلي، وسيشغلك بتذكّر المال عن صلاتك! ..

لا يغلبنك الشيطان في دينك فيجد لك العذر لكل خطيئة، وتقنع نفسك أنك على الحق المبين؛ فالرسول ﷺ يقول: «الحلال بين والحرام

بيّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»^(١).

لا يخدعك الشيطان في ورعك؛ فقد يزهّدك في التافه البسيط من الأمور، ثم يُطمعك في العظيم الخطير! ..

ولا يخدعك في عبادتك؛ فقد يحبب إليك النوافل، ثم يوسوس لك في ترك الفرائض! ..

يقول أحد العارفين عن شيخه: أنه «قهر الهوى حتى تجنّب الهوى» أليست هذه من صفات عمر بن الخطاب رضي الله عنه؟ إذا سلك عمر فجاً سلك الشيطان فجاً آخر.

احذر ضحك الشيطان منك في ست ساعات: ساعة الغضب، والمفاخرة، والمُجادلة، وهجمة الزهد المفاجئة، والحماس وأنت تخطب في الجماهير، والبكاء وأنت تعظ الناس.

وإياك أن تفقد صوابك في ثلاث: عندما يثير الشيطان نزواتك وأهواءك، وعندما تخاطب المرأة عواطفك ومشاعرك، وعندما يُثير المال طمعك وجشعك ..

يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمته الله:

«إذا أيسك الشيطان من الجنة فتذكّر مغفرة الله ..

وإذا أيسك من الشفاء من مرضك فتذكّر رحمة الله ..

وإذا أيسك من النجاة بسبب تقصيرك فتذكّر فضل الله!».



(١) رواه البخاري.



لا تر عيب غيرك

الليلة
٣١٤

من سعادة المرء: أن يشتغل بعيوب نفسه عن عيوب الآخرين؛ يقول
الشاعر:

المرء إن كان عاقلاً ورعاً أشغله عن عيوبه ورعه
كما السقيم المريض يشغله عن وجع الناس كلهم وجعه
وياك أن تتبع مساوىء الناس وعوراتهم فيهلك الله ستر مساوئك . .

لا تكشفن مساوىء الناس ما سترُوا فيهلك الله ستراً عن مساويك
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تُعب أحداً منهم بما فيك
ولا تعير أحداً بذنبه، ولا تنشر عرضه بين الناس . .

يقول ابن القيم: «إن تعيرك لأخيك بذنبه أعظم إثماً من ذنبه، وأشد
من معصيته، لما فيه من تزكية النفس والمناداة عليها بالبراءة من الذنب . .

ولعل انكساره بذنبه، وما أحدث له من الذلة والخضوع، والتخلص
من مرض الكبر والعجب، ووقوفه بين يدي الله ناكس الرأس، منكسر
القلب . . أنفع له من اعتدادك بطاعتك، والمنة على الله وخلقه بها . .

ولعل الله أسقاه بهذا الذنب دواء استخرج به داءً قاتلاً هو فيك وأنت
لا تشعر»^(١).

وقد بلغ بالسلف توقيهم من ذلك حتى إن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال: «لو سخرت من كلبٍ لخشيتُ أن أُحوَّلَ كلباً».

(١) مدارج السالكين، لابن القيم: ١٩٧/١.

بالله عليكم خبروني: كيف يجد السعادة من جعل شغله الشاغل تتبّع
عيوب الآخرين وعثراتهم.

يقول أحد الحكماء:

اترك فضول النظر؛ تُوفِّق للخشوع..

واترك فضول الكلام؛ تُوفِّق للحكمة..

واترك فضول الطعام؛ تُوفِّق للعبادة..

واترك التجسس على عيوب الناس؛ تُوفِّق للاطلاع على عيوب
نفسك..

يقول الشاعر:

قبيحٌ من الإنسان ينسى عيوبه ويذكر عيباً في أخيه قد اختفى
فلو كان ذا عقلٍ لما عاب غيره وفيه عيوبٌ لو رآها لاكتفى

ورحم الله عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ حيث يقول:

لا تشغلوا أنفسكم بذكر الناس فإنه بلاء..

وعليكم بذكر الله فإنه رحمة..





الليلة

٣١٥

لا تَأْمَنُ مَكْرِي حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ

سُئِلَ الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: مَتَى يَجِدُ الْعَبْدُ طَعْمَ الرَّاحَةِ؟ .

فَقَالَ: عِنْدَ أَوَّلِ قَدَمٍ فِي الْجَنَّةِ! .

فَإِذَا كَانَ الإِمَامُ أَحْمَدُ لَا يَطْمَئِنُّ إِلَى طَعْمِ الرَّاحَةِ حَتَّى تَطَأَ قَدَمُهُ أَرْضَ الْجَنَّةِ؛ فَمَاذَا نَقُولُ نَحْنُ؟! . . .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الصِّفَاءِ فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ! يَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.. لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ»^(١).

قَالَ الرَّشِيدُ لَابْنِ السَّمَاكِ مَرَّةً: عِظْنِي..

قَالَ: احْذَرِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَصِيرَ إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَلَا يَكُونُ لَكَ فِيهَا مَوْضِعٌ قَدَمٍ! . . .

تُرَى هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى مَوْضِعِ قَدَمٍ فِي الْجَنَّةِ؟ . . . بَلْ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى أَعَزُّ وَأَكْرَمُ.. أَلَمْ يَرْشِدْنَا حَبِيبُنَا الْمُصْطَفَى ﷺ كَيْفَ نَبْنِي بَيْتاً - لَا مَوْضِعَ قَدَمٍ فَحَسَبَ - فِي الْجَنَّةِ؟:

يَقُولُ ﷺ: «مَنْ صَلَّى الضَّحَى أَرْبَعاً، وَقَبْلَ الْأُولَى أَرْبَعاً، بَنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ»^(٢).

(١) رواه مسلم.

(٢) السلسلة الصحيحة، للألباني: (٢٣٤٩).

وقال ﷺ: «من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة، بني له بهن بيت في الجنة»^(١).

أيصعب علينا أن نصلي في اليوم اثنتي عشرة ركعة فنبنينا بها بيتاً في الجنة؟! ..

أليس هناك أيضاً طريق آخر لبناء بيت في الجنة؟ .

يقول ﷺ: «من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة» (أي: كعش طائر) أو أصغر بنى الله له بيتاً في الجنة»^(٢).

ويقول أحد الصالحين: أربع من كنَّ فيه بُؤى بهن بيتاً في الجنة:

- شهادة أن لا إله إلا الله ..
- وإن أصاب ذنباً استغفر الله ..
- وإن جرت عليه نعمة قال: الحمد لله ..
- وإن أصابته مصيبة استرجع فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] ..

ويقول أحد العلماء: رأيت مرة زبَّالاً (كُنَّاساً) يكنس الشارع وهو يكرر قوله: «الحمد لله .. أستغفر الله» فقلتُ له: يا هذا! أما تعلم ذُكراً غير هذا؟ قال: يا هذا! والله لقد حفظتُ القرآن كله، ووعيت الحياة فوجدتُ الإنسان يتقلب بين نعمة وذنوب؛ فأحمدُ الله على تلك النعمة، وأستغفر الله من ذلك الذنب! .



(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح الجامع: (٦١٢٨).



حوارٌ معَ خَليفةِ

الليلة
٣١٦

● حوار مع سليمان بن عبد الملك:

- أرسل سليمان بن عبد الملك إلى سلمة بن دينار (أبي حازم) . .
فلما أتاه قال: يا أبا حازم! ما لنا نكره الموت؟ .
فقال: عمّرت الدنيا وخربّتم الآخرة، فتكرهون الخروج من العمران
إلى الخراب .
قال: يا أبا حازم! كيف لنا أن نصلح؟ .
قال: تدعون عنكم الكبر، وتتمسكون بالمروءة وتعطلون .
قال: فما أعدل العدل؟ .
قال: كلمة صدق عند من ترجوه وتخافه .
قال: فما أفضل الصدقة؟ .
قال: جهدُ المُقلِّ إلى يد البائس الفقير، لا يتبعها منٌ ولا أذى .
قال: من أكيس الناس؟ .
قال: رجل ظفر بطاعة الله تعالى فعمل بها، ثم دلَّ الناس عليها .
قال: يا أبا حازم! ارفع إليّ حاجتك .
قال: نعم . . تُدخلني الجنة وتُخرجني من النار .
قال: ليس ذلك لي! .
قال: فما لي حاجة سواها . .
قال: يا أبا حازم! فادعُ الله لي .
قال: اللهم إن كان سليمان من أوليائك فيسره لخير الدنيا والآخرة،
وإن كان من أعدائك فخذ بناصيته إلى ما تحبُّ وترضى .

قال سليمان: أوصني.

قال: نزه الله تعالى أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك.

● حوار مع هارون الرشيد:

صنع هارون الرشيد يوماً طعاماً، وزخرف مجالسه.. وأحضر أبا العتاهية وقال له: صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا، فقال:
عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِماً فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُورِ
فقال الرشيد: أحسنت، ثم ماذا؟ فقال:

يُسَعَى إِلَيْكَ بِمَا اشْتَهَيْتَ لَدَى الرَّوَّاحِ أَوْ الْبَكُورِ
فقال: حسن، ثم ماذا؟ فقال:

فإِذَا النُّفُوسُ تَقَوَّقَعَتْ فِي ظِلِّ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ
فَهُنَاكَ تَعْلَمُ مُوقِناً مَا كُنْتَ إِلا فِي غُرُورِ
فبكى الرشيد، فقال الفضل لأبي العتاهية: بعث إليك أمير المؤمنين لتسرّه فأحزنته! فقال الرشيد: دعهُ؛ فإنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا منه!..

● حوار مع عمر بن عبد العزيز:

حدث مرة في عهد عمر بن عبد العزيز قحطٌ عظيم، فأتاه وفد من العرب، فقال أحدهم: يا أمير المؤمنين! إننا جياع، وقد يبست جلودنا على أجسادنا، ودواؤنا عندك في بيت مال المسلمين، وهذا المال لا يخلو من ثلاثة أقسام: فإما أن يكون لله، أو لعباد الله، أو لك:

فإن كان لله فإن الله غني عنه..

وإن كان لعباد الله فاتهم إياه..

وإن كان لك فتصدّق به علينا، إن الله يجزي المتصدقين..

فتغرغرت عينا عمر، وأمر أن تُقضى حوائجهم من بيت مال

المسلمين.



الليلة
٣١٧

لَمْ يُصَلِّ صَلَاةً قَطُّ!

● ذكر لي أحدهم قصة رجل من رجال الأعمال، فقال: أتعلم أن هذا الرجل لم يُصَلِّ في حياته صلاةً واحدةً؟.

قلتُ: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فماذا تنفعه كل تلك الأموال وكل هذا الجاه؟! هل أخذ أحد من ملوك الدنيا شيئاً من متاع الدنيا سوى أعمالهم؟! والله إنه لفي تباب ما لم يتب إلى الله ويرجع إلى مولاه!..

لَا دَارَ لِلْمَرْءِ بَعْدَ الْمَوْتِ يَسْكُنُهَا إِلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ يَبْنِيهَا
فَإِنْ بَنَاهَا بِخَيْرٍ طَابَ مَسْكُنُهَا وَإِنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ خَابَ بَانِيهَا

● ومرةً كان لدينا في العناية المركزة مريضٌ في الثمانينيات من عمره، قال: أنا لم أُصَلِّ في حياتي صلاةً قط!..

كان هذا المريض مصاباً بسرطان متقدم في الرئة، فأراد أحد الأطباء أن يذكره بالله قبل أن تأتيه المنية.. وما هي إلا نصف ساعة حتى تأتي الممرضة وهي تصرخ: إن فلاناً قد مات.. ويهرع الأطباء إليه عليهم يستطيعون إنقاذه، ولكن تبوء محاولاتهم بالفشل؛ ومات المريض.. ولا ندري إن هو تاب إلى الله تعالى أم لا؟!..

● فكيف يسوّف الناس في أعمالهم، في صلاتهم، في عبادتهم؟! هل العمر مضمون والحياة بلا حدود؟!..

أَذَانُ الْمَرْءِ حِينَ الطِّفْلِ يَأْتِي وَتَأخِيرُ الصَّلَاةِ إِلَى الْمَمَاتِ
دَلِيلٌ أَنْ مَحْيَاهُ قَصِيرٌ كَمَا بَيْنَ الْأَذَانِ إِلَى الصَّلَاةِ

فما حياة المرء إلا تلك الفترة ما بين أذان في أذنه حين يُولد، وصلاة عليه يوم يموت!..

أيها المغترُّ بطول صحته! أما رأيت أحداً مات من دون مرض؟! .
 أيها المغترُّ بطول المهلة! أما رأيت أحداً مات فجأة دون استعداد؟! .
 فلماذا تغتروُن؟! أبطول العافية تمرحون؟! أم من الموت تأمنون؟! . .
 إذا جاء مَلَكُ الموت لم يمنعه منك جاهٌ ولا مال، ولا صحة أو
 استمهال . .

● دخل المزني على الإمام الشافعي في المرض الذي مات فيه،
 فقال: كيف أصبحت يا إمام؟ .

قال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقاً، ولسوء عملي
 ملاقياً، وعلى الله وارداً، وما أدري رُوحِي تصير إلى جنّةٍ فأهنيها، أو إلى
 نارٍ فأعزّيها . . ثم بكى وأنشد يقول:

ولما قَسَى قلبي وضاقَتْ مذاهبي جعلتُ رَجائي دونَ عفوِكَ سُلماً
 تَعَاظَمَنِي ذنبي فلَمَّا قَرَنْتُهُ بعفوِكَ ربِّي كانَ عفوِكَ أعظماً
 فما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنبِ لم تزلْ تجودُ وتعفو مِنَّةً وتكرُماً
 وإنِّي لآتي الذنبَ أعرفُ قدرَهُ وأعلمُ أنَّ اللهَ يعفو تَرَحُّمًا

● وهذا عمر بن عبد العزيز يدخل على زوجته فاطمة، ويقول: عندك
 درهم أشتري به عبداً؟ فقالت: لا . . وأنت أمير المؤمنين لا تقدرُ على درهم
 تشتري به عبداً! . .

قال: هذا أهونُ عليّ من معالجة الأغلالِ غداً في جهنم .

تُرى أي ورع هذا! وأي خوف من عقاب الله في جهنم! . .



مُبَارِكٌ مِنْ مُبَارِكٍ



هذا أجيبرٌ يدعى مبارك، كان يعمل عند صاحب بستان . . دخل عليه صاحب البستان ومعه أصحاب له، فقال للأجير: ائتنا برمان حلو . . فأتى له برمانه؛ فإذا هي حامضة! .

دعاه أن يأتي له برمانه أخرى . . فإذا هي حامضة! .

فقال له صاحب البستان: أما تعلم الحلو من الحامض؟! .

قال مبارك: يا سيدي! أنت لم تأذن لي أن أذوق الرمان لأعرف الحلو من الحامض! .

قال: كيف هذا وأنت تعمل أجيبراً في البستان منذ عشرين سنة؟! .

قال مبارك: والله ما أكلت رمانه قط منذ أن بدأت العمل عندك! .

فقال: يا مبارك! ليس عندي إلا ابنة واحدة فلمن أزوجها? . .

قال المبارك:

اليهود يزوّجون بناتهم للمال . .

والنصارى للجمال . .

والعرب للحسب والنسب . .

والمسلمون يزوّجون للتقوى . .

فمن أي الأصناف أنت؟ زوّج ابنتك للصنف الذي أنت منه .

فقال: وهل يوجد أتقى منك? . . فزوّجه ابنته . .

أتدرون من كان ثمرة تلك الشجرة المباركة؟ إنه عبد الله بن المبارك، العالم الشهير الذي ملأ الأرض علماً وورعاً..

جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك، فقال له: أوصني، قال:

- اترك فضول النظر؛ توفّق للخشوع..
- واطرك فضول الكلام؛ توفّق للحكمة..
- واطرك فضول الطعام؛ تُوفّق للعبادة..
- واطرك التجسس على عيوب الناس؛ توفّق للاطلاع على عيوب نفسك..
- واطرك الخوض في ذات «الله»؛ تُوقّ الشك والنفاق..

وكان ابن المبارك يقول:

على العاقل أن لا يستخف بثلاثة: العلماء، والسلطان، والإخوان:

- فإنّ مَنْ استخفّ بالعلماء ذهبَتْ آخرته..
- ومن استخفّ بالسلطان ذهبَتْ دنياه..
- ومن استخفّ بالإخوان ذهبَتْ مروءته..





● يروى: أن أبا حنيفة أرسل لشريكه في التجارة ثوباً معيباً، وبيّن ما فيه من العيب، ولكن شريكه لم ينتبه للأمر وباع الثوب دون أن يدلّ شاربه على عيبه . .

هنالك غضب أبو حنيفة، ورفض الثمن، وتصدّق به - وكان ثلاثين ألف درهم - ثم فارق شريكه! .

أليست هذه رسالة إلى تجّارنا اليوم أن يتقوا الله فيما يبيعون وما يشترون، وأن يتحروا الحلال وينأوا عن الحرام فيبارك الله لهم؟! . .

● وبلغ به الورع: أنه جلس يوماً في الشمس أمام بيت أحد الناس . . فقال له يزيد بن هارون: يا أبا حنيفة لو تحوّلت إلى الظل (أي: لو جلست في الظل)، فقال: لي على صاحب هذا الدار دراهم، وقد كرهتُ أن أستظلّ حائطه فيكون ذلك من المنفعة! .

أرأيتم إلى هذه الدرجة من الورع؟! فلو وقف في الظل لما ارتكب حراماً، ولكنه خشي على نفسه أن يستفيد من قرضٍ أقرضه لأحد المسلمين! .

● وعندما فُقدت شاة في الكوفة ترك أبو حنيفة أكل لحم الغنم؛ مخافة أن تكون تلك الشاة المسروقة، إلى أن علّم بموتها! .

● عرّض الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور على أبي حنيفة أن يوليه القضاء، فأصرّ على الرفض . . فسُجن . . وأعيد مرة أخرى إلى المنصور، وقال: أنا لا أصلح للقضاء .

قال المنصور: كذبت .

قال أبو حنيفة: قد حكم عليّ أمير المؤمنين أني لا أصلح للقضاء.. لأنه ينسبني إلى الكذب؛ فإن كنتُ كاذباً فلا أصلح، وإن كنتُ صادقاً فقد أخبرتُ أمير المؤمنين أني لا أصلح!..

وداروا به في الأسواق أياماً كثيرة على أن يقبل القضاء.. ثم رُدُّوه إلى السجن.. وقيل: ضُرب مئة سوط حتى سال الدم من عقبه!..

وكان أبو حنيفة يرى أن تولّي الوظائف في ظل ذلك السلطان تضييع للدين وتعريض له للخطر، وجهر أبو حنيفة ضد المنصور.

ولما أشرفتُ روحه على الصعود إلى بارئها، وضع جبهته على الأرض ساجداً لله^(١).

● وروي: أن أبا حنيفة رضي الله عنه كان له على مجوسيٍّ مال، فذهب إلى داره ليطالبه به، فلما وصل إلى باب داره وقع على نعله نجاسة، فنفض نعله، فارتفعت النجاسة عن نعله ووقعت على حائط المجوسي، فتحير أبو حنيفة، وقال: إن تركتها كان ذلك سبباً لُقْبُح جدار هذا المجوسي، وإن حككتها انحدر التراب من الحائط.. فدقَّ الباب فخرج إليه المجوسي وظن أنه يطالبه بالمال، فأخذ يعتذر..

فقال أبو حنيفة: ها هنا ما هو أولى وأهم.. وذكر قصة الجدار، وكيف السبيل إلى تطهيره.. فقال المجوسي: أنا أبدأ بتطهير نفسي أولاً.. فأسلمَ في الحال.



(١) الجباه العالية، للأستاذ أنور الجندي رحمته الله، بتصرف.

● حَلَفَ هَارُونَ الرَّشِيدُ يَوْمًا: أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.. فَاسْتَفْتَى الْعُلَمَاءَ، فَلَمْ يُفْتِهِ أَحَدٌ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا! وَكَيْفَ يَضْمَنُونَ لَهُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟! وَحَارَ هَارُونَ الرَّشِيدُ فِي أَمْرِهِ، إِلَى أَنْ اهْتَدَى إِلَى ابْنِ السَّمَاكِ الَّذِي كَانَ وَاعظًا فصيحًا يزدحم الناس إلى مواعظه .

فقال له: هل قَدِرَ أمير المؤمنين على معصية فتركها خوفًا من الله تعالى؟ .

قال: نعم، فقد كان لبعض أزمالي جارية، فهويتها وأنا إذ ذاك شاب، ثم إنني ظفرتُ بها مرة وعزمتُ على ارتكاب الفاحشة معها، ثم إنني فكَّرتُ في النار وهولها، وأن الزنى من الكبائر، فأشفقتُ من ذلك، وكففتُ عن الجارية مخافة الله تعالى .

فقال له ابن السَّمَاك: أبشر يا أمير المؤمنين فإنك من أهل الجنة..
فقال هارون: ومن أين لك ذلك؟ .

فقال: من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١] .

● سئل النيسابوري مرّةً: ما أرجى الأعمال التي عملتها في حياتك؟ .

قال: عندما كنتُ شابًا كان أهلي يريدون أن يزوّجوني فكنتُ أرفض، فجاءتني امرأة ذات يوم فقالت: يا أبا عثمان! إنني قد هويْتُك، وأنا أسألك بالله أن تتزوجني.. فأحضرتُ أباهما - وكان فقيرًا - فزوّجني وفرحَ بذلك..

فلما دخلتُ إليّ رأيتهُ عوراء، عرجاء، مشوّهة.. وكانت - لمحبتها لي - تمنعني من الخروج.. فأقعدتُ في البيت حفاظًا على قلبها ومشاعرها،

ولا أظهر لها من البغض شيئاً . فبقيت هكذا خمس عشرة سنة، حتى ماتت . .

فما من عملٍ هو أرجى عندي من حفظي لقلبها . .

● يقول أحد التجار: كنت ذات ليلة في منزلي، ففرع عليّ الباب قارع، وإذا أنا بشابة جميلة، كأنها الشمس في وسط النهار، فشكت إليّ جوعها . . فحادثتها، ثم راودتها عن نفسها، فقالت: الموت ولا معصية ربي . . ثم رجعت من حيث أتت .

وبعد أيام، عادت وتوسلت إليّ، فقلت لها كما قلت أولاً، فبكت، ثم دخلت البيت وقد أشرفت على الهلاك، ثم قالت: تُطعمني لوجه الله؟ قلت: لا، إلا أن تمكّنيني من نفسك، فقالت: الموت خيرٌ من عذاب الله . . فسمعتها تقول وهي منصرفة:

أيا واحداً إحسانه شَمَلَ الخلقُ بسمِعِكَ ما أشكو . . بعينِكَ ما ألقى
لقد صَدَمْتَنِي شِدَّةٌ وخصاصةٌ ونازَلَنِي ما بعضُهُ يَمْنَعُ النُّطْقَا
تُنازَعُنِي نَفْسِي إلى نَيْلِ أَكْلِيَّةٍ لَذاذُهَا تَفْنِي وِعُصَّتُهَا تَبْقَى
أأعصيكَ بعد الفضلِ والجودِ والهُدَى وكيفَ وبالطاعاتِ أُسْتَجَلِبُ الرِّزْقَا
سأُتَلِفُهَا في نَيْلِ حَبِّكَ سيدي عَسايَ بها أُسْتوجِبُ القربَ والعِتْقَا

قال: فجزعتُ لما سمعتُ من قولها، ودخل في قلبي الإيمان، وقلتُ لها: عودي وكلي وخذي من المال ما شئتَ لله .

فقالت: اللهم كما أنرتَ قلبه، وهديتَ لَبَّهُ، فأجب دعاءه، ولا تردّه خائباً . . ثم تزوجها .





عَجِبْتُ لِمَنْ يَحْتَمِي مِنَ الطَّعَامِ!

كثير من الناس من يحرص على صحته خوف المرض، ولكن عبد الله بن عكرمة يعجب من صنيع البعض من هؤلاء؛ فيقول:

عجبتُ لمن يحتمي من الطعام خوف الداء..
ولا يحتمي من الذنوب خوف النار!..

أجل، ألا يجدر بنا أن نخاف من ذنوبنا خوفاً - على الأقل - من المرض؟ هذا المرض البسيط الذي ربما يطرحنا في الفراش أياماً معدودات؟ فكيف بتلك الذنوب التي يُمكن - لا سمح الله - أن تطرحنا في النار لسنوات خالداً!..

يا ربَّ إنَّ ذُنُوبِي اليَوْمَ قد كَثُرَتْ فما أَطِيقُ لها حَضْرًا ولا عَدَدًا
وليسَ لي بعذابِ النَّارِ من قَبْلِ ولا أَطِيقُ لها صَبْرًا ولا جَلْدًا
فانظُرْ إِلَهِي إلى ضَعْفِي ومَسْكِنَتِي ولا تُذِقْنِي حَرًّا للجَحِيمِ غَدًا
قيل لحكيم مرةً: ماذا تشتهي؟..

فقال: عافية يوم!

فقيل له: ألسْتَ في العافية سائر الأيام؟..

قال: العافية أن يمرَّ يومٌ بلا ذنب!..

يقول محمد بن واسع: لو كان للذنوب ريح؛ ما قدر أحد أن يجلس

إليّ.

ويقول خطَّاب العابد: إن العبد ليُذنب فيما بينه وبين الله رَبِّكَ، فيجيء

إخوانه.. فيرون أثر ذلك عليه!..

ويقول الحسن البصري:

«لا يزداد المؤمن صلاحاً إلا ازداد خوفاً، حتى يقول: لا أنجو!..
أما الفاسق فيقول: الناس مثلي كثير، وسيُغفر لي، ولا بأس عليّ،
فرحمة الله واسعة..»

وهل تتساوى الذنوب؟

إن الرجل ليذنب الذنب فما ينساه، وما يزال متخوفاً منه أبداً، حتى
يدخل الجنة..»

يقول أحد العارفين: الغارق في وحل المعاصي، والذي لا يتردد في
ارتكابها، كالمطعون الذي يعالجُ جرحه بمزيدٍ من الطعنات حتى يهلكها!..

تتوبُ مِنَ الذُّنُوبِ إِذَا مَرَضَتْ وترجعُ للذنوبِ إِذَا برئت
فكم من كُربةٍ نَجَّأكَ منها وكم كَشَفَ البلاءَ إِذَا بُليتَ
أما تَخشى بأن تأتي المنايا وأنت على الخَطايا قد لَهوتَ
أما يخشى أحدنا أن يموت وهو على معصية؛ يفعل ما يُغضب الله
تعالى ويُسخطه؟!..

إلهي لا تعدُّبني فإنِّي مقرُّ بالذي قد كان منِّي
وما لي حيلةٌ إلا رجائي وعفوك إن عفوت وحُسن ظنِّي





● مرَّ رجل فاسق سمِّي بـ «الخليع» لكثرة فسقه وفساده؛ مرَّ بعبادٍ شهير، فاستحيا وقال: أنا خليع فاسق، وهذا ناسك عابد؛ فلو جلستُ إليه وتعلَّمتُ منه لعلَّ الله يرحمني قليلاً! ..

فجلس إلى العابد.. ولكن هذا العابد قال لنفسه: أيجلس إلى جانبي خليع فاسق، وأنا العابد الزاهد الشهير؟! .. فأبى أن يجالسه، وطرَدَ الرجلَ الخليع من مجلسه! .

انصرف «الخليع» مكسور الخاطر، وقام العابد إلى محرابه مزهواً بنفسه، مُعجَباً بعبادته.. فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان: لقد غفرتُ للخليع، وأحبطتُ عمل العابد الزاهد! ..

فلا تحقرنَّ أحداً أذاك ليتعلم منك، أو يسألك عن الدين.. لا تغترَّ بعبادتك وصلاحك، ولا تطردنَّ أحداً أتى راغباً في رحمة الله..

تذكَّر أن مكانتك في قلوب الخلق بحسب مكانتك عند الله، ومكانتك عند الله بحسب مكانة الله في قلبك..

● يقول الإمام الغزالي في كتابه الرائع «إحياء علوم الدين»:

«إذا شعرت يوماً بفضلك على الناس فانظرُ:

إن كان يكبرك في السن؛ فقل لنفسك: هذا سبقني للإسلام، وله طاعات أكثر مني بسبب سنِّه..

وإن كان أصغر منك؛ فقل لنفسك: ذنوبه أقل مني..

وإن كان أعلم منك؛ فقل لنفسك: هو خير مني بكلمة..

وإن كان أجهل منك.. فقل لنفسك: هو خير مني، فالجهل خير من

العلم دون عمل ، والعلم حجة يوم القيامة على العالم . .
 وإن رأيتَ شخصاً على ذنبٍ؛ فقل لنفسك: لعلَّ الله يختم له بخير
 ويختم لي بسوء! . .

● **وأهل الطاعة محتاجون إلى التوبة مثلما يحتاج إليها أهل الذنوب . .** وتقول لي: كيف ذلك؟ .

ألا ترى أن البعض من أهل الطاعات من لا يعطي صلاته حقها، أو يتلو القرآن وهو غافل عنه، ألا يمكن أن تُرفَض هذه القُرَبات؟ .

ثم منَ الناس من يرى أنه بأداء تلك الطاعات فرغَتْ ذمَّتُه، ودفع ثمن الجنة، وبقي على الله أن يبعث ملائكته لتسلّم ذلك المغرور بعبادته مفاتيح الجنة! ومن الأغنياء من يُكثر من الصلوات ويقصّر في الصدقات، أو ترى من يصوم الإثنين والخميس، ثم يلوذ بالصمت في مواطن النصح والإرشاد . . أليس كل هؤلاء بحاجة إلى التوبة والإنابة لفاطر الأرض والسماء؟! . .

● **يقول حكيم:** طلبتُ ستّة في ستّة مواطن فوجدتها في ستّة أخرى:

- طلبتُ الرفعة في التكبر، فوجدتها في التواضع . .
- وطلبتُ العبادة في الصلاة، فوجدتها في الورع . .
- وطلبتُ الراحة في الحرص، فوجدتها في الزهد . .
- وطلبتُ نور القلب في صلاة النهار جهراً، فوجدته في صلاة الليل سراً . .
- وطلبتُ النجاة من النار في المباحات، فوجدتها في ترك الشهوات . .
- وطلبتُ حبَّ الله في الدنيا، فوجدته في ذكر الله تعالى . .





كتب أحدهم رسالة يقصُّ فيها رحلته في الحياة، يقول: أنا رجل في الأربعينيات من العمر، نشأتُ في أسرة متوسطة، ولم أكن متديناً رغم بيئتي الدينية، لم أجد غضاضة في الجلوس في البارات والملاهي الليلية! وكنت أتعامل مع الخمر على أنها وجهة اجتماعية تتيح لي الجلوس مع شخصيات لم أكن أحلم بالجلوس معها! .

وصلتُ إلى مرتبة رئيس المؤسسة خلال سنوات، وكان لديَّ نهم شديد للخطيئة! . . لم يكن يؤلمني إلا وجه أمي الذي يصادفني عند عودتي في الساعات الأخيرة من الليل، فتقبّلني وتدعو لي بالهداية! .

أدمنتُ العلاقات النسائية، واستمرتُ حياتي هكذا حتى اهتزّت بوفاة والدي وعمري يقارب الثلاثين. . رأيتُ المقرّر الذي سأذهب إليه، فتوقفتُ مع نفسي وعدتُ إلى الله. . اصطحبتُ والدتي إلى الحج، وخلال شهرين قليلة تزوجت من فتاة من العائلة على خلق وجمال، فسعدتُ بها.

قررتُ أن أبتعد عن الأجواء التي كنت أعيشها، رزقني الله من حيث لا أحتسب، كما رزقني بطفلة مثل البدر. . نجاح تلو نجاح، وخمس سنوات مرّت على زواجي واستقراري، حتى حدث الانقلاب الكبير. .

ذات يوم زارتنني في مكتبي سيدة فائقة الجمال كي أتولّى بعض قضاياها، ومنذ اللحظة الأولى وجدت نفسي غير التي كنتُها! عادت إليّ تلك النفس الفاجرة التي عايشتها لسنوات، سقطتُ في الوحل مرة أخرى، وعدتُ إلى سيرتي الأولى؛ كل يوم سهر وخمور ونساء. .

كانت زوجتي تتألّم من انقطاعي عن الصلاة وسهري للصباح، ووصلنا إلى حالة صدام عندما بدأتُ أشربُ الخمر في البيت، فاعترضتُ بعنف!

حدث شرخ كبير في علاقتي مع زوجتي حتى شحبت ونحلت . .

كنتُ مثل كثير من العاصين أردد التوبة عقب كل معصية، ثم أعود إلى ما كنتُ عليه! وكان من الممكن أن تستمر حياتي هكذا لولا إنذار شديد من رب العالمين؛ فقد تعرفتُ على فتاة جميلة ثرية، أرهقتني أسابيع طويلة حتى قبلتُ أن تأتي إليّ في شقتي التي استأجرتها في مدينة قريبة .

حددنا الموعد، وذهبت مبكراً إلى الشقة، وجاء هاتف منها قبل ربع ساعة من الموعد يخبرني أنها في الطريق، فتهلل وجهي، ومرّ الوقت . . نصف ساعة فساعة ولم تأت . . اتصلتُ بها فإذا بصوت رجل يرد عليّ ويخبرني أن السيدة أصيبت إصابات بالغة في حادث سير، وأنها الآن في المستشفى! هرولتُ مرتبكاً إلى المستشفى . . أخبرني الطبيب - وظن أنها قريبتي - أن حالتها سيئة ولديها كسور متعددة، وأنها تحتاج إلى نقل دم . . وكانت الكارثة أنهم اكتشفوا أنها حاملة لفيروس الإيدز! . .

لم أستطع تصديق ما أسمع، كل ما فكرتُ فيه أنني كنتُ على مسافة ربع ساعة فقط من إصابتي بالإيدز! . .

دقائق فصلتني عن الإصابة بالإيدز لو كان الله نجّاه ووصلت إليّ في الشقة! . . وما ذنبُ زوجتي؟ . . كنتُ سأنقل إليها الإيدز ونموت معاً بفضيحة . .

لا أستطيع وصف انهياره وبكائي وخجلي من ربي! يا رب عصيتك فسترتنني ورزقتني فلم أبال، وها أنا أوشتُ على السقوط، ولكن رحمتك أنقذت أسرتي من الضياع والفضيحة .

عدت إلى بيتي وأنا أبكي، وطلبتُ من زوجتي أن تسامحني . . ثم سارعت بالذهاب إلى أمي، جلستُ تحت قدميها، ورجوتها أن تدعو لي . . ففعلت . . وعاهدتُ الله على ألا أعصيه أبداً . .

أيها العاصي، ألا تحب أن يغفر الله لك؟! ..
 أسبغ عليك النعم فعصيته! ..
 وجاهرته بالمعاصي، فأحلّ ستره عليك ولم يفضحك! ..
 كم تعرضت للحوادث، فحفظك من كل سوء! ..
 نسيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (١٢) إِنَّهُ هُوَ بَدِيءٌ وَبَعِيدٌ ﴿١٣﴾
 وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ﴿البروج: ١٢ - ١٦﴾.
 وإلا فأين الذين أكثروا في الأرض الفساد؟! ..
 والجواب: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الرّخرف: ٥٥]
 أي: فلما أغضبونا انتقمنا منهم.
 ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ﴿الفجر: ١٣ - ١٤﴾.
 ألا تستشعر مرارة المعصية في قلبك؟! ..
 إن كنت لا تشعر، فويحك أسرع، لأنه الران، أتدري ما الران؟ طبقة
 تغطي القلب لكثرة المعاصي، فلا يشعر بعدها بمرارة الذنب.
 قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].
 رأيتُ الذنوبَ تُمِيتُ القلوبَ وقد يُورثُ الذلَّ إدمانها
 وتركُ الذنوبِ حياةَ القلوبِ وخيرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا
 فهل يُعقل أنك وصلت إلى هذا الحد؟! ..
 وإن كنت تستشعر مرارة المعصية؛ فهذا أوجب لأن تسارع إلى
 الإقلاع ..
 - إنها المعصية التي تُظلمُ الوجه؛ فإن للسيئة سواداً في الوجه.

- وتُضَيِّقُ الصِّدْرَ: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

- وتُظْلِمُ القلبَ وتميته، وتحرم نور العلم: فنور الله لا يُهْدِي لعاصٍ.

- وتحرم الرزق: والرسول ﷺ يقول: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيَحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يَصِيبُهُ»^(١).

- وليس هذا فحسب، بل قحط وجذب، وانتشار للأمراض والأوبئة، وابتلاء بتسلط الأعداء.

- وفي الآخرة عذاب أليم وخزي مقيم، الغمسة الواحدة فيه تُنسي نعيم الدنيا كله؛ يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢ - ٤٣].

ويقول تعالى في وصف حالهم: ﴿وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ (٤٩) سَرَابِلُهُمْ مِّنْ فَطْرَانٍ وَتَعَشَىٰ وُجُوهُهُمْ النَّارُ﴾ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: ٤٩ - ٥١].

فإلى متى يا أخي؟! إلى متى المكابرة والعناد؟! ..

تذكّر أن الله فتح لنا باباً للتوبة لا يُغلق إلى يوم القيامة، ونادى علينا جميعاً، لماذا؟ ليغفر لنا: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠].

سبحان الله، تعصيه فيناديك! .

تقبلُ عليه فيفرحُ بتوبتك، توبة تمحو بها ما سلف وكان.



(١) صحيح ابن ماجه: (٣٢٦٤).

كتبت إحداهن تقول:

كنتُ فتاةً مراهقةً، أغواني الشيطانُ فصدَّني عن ذكر الله وعن الصلاة
بوسائل عديدة، وحرمني من الاستقامة بطرق خبيثة.

شغلني بالأغاني التي أهيم بها في حب فارس الأحلام..

وأغراني بمجلة فاسدة أحلق بها في متاهات الموضة والأزياء..

أضلني بـ «الفيديو» الذي أرى فيه أفلاماً تهيج الغرائز وتدفع للذائل،
وأوقعني بهاتف «أقتل» به ما بقي من فراغ، ومن الهاتف بدأت مأساتي،
ومن خلال سماعته تلاشى حيائي، وذهب عفاي إلى غير رجعة!..

تعرفتُ على شاب من خلال الهاتف، أخذتُ أكلّمه ويكلّمني،
أحسستُ في أول الأمر بالحرج والحياء من الانفتاح معه بالحديث، ولكن
هذا الحياء تلاشى مع تكرار الحديث وكثرة المكالمات!..

وبعد مدة طلب مني اللقاء، ثم حدث اللقاء بعد تردد لم يصمد طويلاً
أمام إلحاحه ورجائه، ثم أعقبه لقاءات عديدة، حتى وقعتُ المأساة التي
فقدتُ فيها عفتي، ولوئثُ عرضي وشرفي.

مضت الأيام وأنا أحاول أن أنسى ما وقع، لكنني لم أستطع.

حصلتُ على شهادتي الجامعية، ثم تزوجت بشاب صالح أحببته
وأحبنِي، وفي جلسة حديث عن الماضي كشفتُ له ذنبي الذي تلطختُ به،
كشفتُ سترَ اللهِ عَلَيَّ، أخبرتهُ بأيام الغرام، وصارحتهُ بما وقعتُ فيه من
الآثام، فوقع ما لم أتوقع!..

غضب غضباً شديداً، وقذف في وجهي كلمة الطلاق..
 أرَجَعني إلى بيت أهلي، وأخبر أبي بالذي قلتُ!..
 كل هذا حدث في ساعات معدودة، وهأنذا حبيسة حشرات لا تنتهي،
 ورهينة آلام لا تنقضي!..
 تكالبتُ عليَّ الهموم، وأضنتني الغموم، فلا أدري أبكي على شرفي
 الذي أهدرت، أم على بيتي الذي هدمت؟!..
 ولو علمت الفتاة أن ساعات السرور التي تقضيها مع شاب على
 الهاتف أو «الشات» ستقلب عليها حزناً وكدرًا؛ لما سئمت تلك الأيام التي
 قاومت فيها مغريات الشيطان وألاعيبه!..
 فالشهوة الآثمة حلاوة ساعة، تعقبها مرارةٌ تظلُّ على مدى الأيام..
 والشهوة المباحة حلاوة ساعة، تدوم بعدها المودة والرحمة..
 فيكفيك من تقوى الله طمأنينة في القلب، وراحة في البال..
 ويكفيك من المعصية نار القلق في الدنيا، ونار العذاب الشديد في
 الآخرة..





سألت عائشة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] هل هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون»^(١).

يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن». وسمع عمر رضي الله عنه قارئاً يتلو من أول سورة الطور حتى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (٧) مَا لَكُمْ مِنْ دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧ - ٨]، فسقط مغشياً عليه وعاده الناس أياماً لا يدرون ما به!

ويقف عثمان بن عفان رضي الله عنه على القبر يبكي حتى تبتلّ لحيتّه، ويقول: «لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي؛ لا اخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير»!

فإن كنت قد أذنبت وتجرأت على حدود الله، فاحذر عقاب الله تعالى بهذه الذنوب: ﴿أُولَئِكَ يَهْدِي لِّلَّذِينَ يَرْتُوبُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّو نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٠٠].

وإن كنت قد ظلمت الآخرين، أو قصرت في حق الله تعالى، وحق الناس، فلا تأمن مكر الله، فالله تعالى يقول: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

وفي تفسير ابن كثير رحمته الله: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾: أي: بأسه ونقمته

(١) صحيح الترمذي: (٣١٧٥).

وَقُدْرَتَهُ عَلَيْهِمْ وَأَخَذَهُ إِيَاهُمْ فِي حَالِ سَهْوِهِمْ وَغَفْلَتِهِمْ، فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ.. وَلِهَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْمُؤْمِنُ يَعْمَلُ بِالطَّاعَاتِ وَهُوَ مُشْفِقٌ وَجِلُّ خَائِفٌ، وَالْفَاجِرُ يَعْمَلُ بِالْمَعَاصِي وَهُوَ آمِنٌ».

ولكن، ما حقيقة هذا المكر، وكيف يكون؟.

فكثيراً ما ترتبط في أذهان الناس كلمة المكر بالمخاتلة والدهاء، والكيد والخداع.. ولكن الأمر يختلف تماماً بين مكر العبد، ومكر الله تعالى، حيث يقول سبحانه: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]. وفي معاجم اللغة: مكر الله العاصي، ومكر به: جازاه على المكر، أو أمهله ومكّنه من الدنيا.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها.. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»^(١).

إن هذا الرجل الذي يعمل بعمل أهل الجنة، ثم يدخل النار، لم يكن يعمل في الحقيقة بإخلاص لله تعالى، وإنما كان يعمل من أجل رياء وسمعة، أو منصب وألقاب، حتى يسبق عليه الكتاب بما هو أهله فيعمل بعمل أهل النار، أي: يظهر على حقيقته، فيدخلها.

وكذلك الذي يعمل بعمل أهل النار، ويدخل الجنة، إنه ربما عمل بذلك عن جهل.. وبمجرد أن يتبين له الحق يعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها^(٢).



(١) متفق عليه.

(٢) أمراض القلوب، للأستاذ عبد العظيم بدران.



إذا ثبتت شجرة الإيمان في قلبك، فأبشر بخير عظيم، هذا ما يؤكدك الله تعالى في كتابه الكريم:

● فإذا كنت مؤمناً حق الإيمان، حصلت على ولاية الله التي هي أعظم ما تنافس فيه المتنافسون؛ يقول تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

● ويُخرجك من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات المعاصي إلى نور الطاعات، فالله تعالى يقول: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

● وبيشرك بالجنان: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥].

● ويدفع عنك المكاره، وينجيك من الشدائد، فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

● ويحييك الحياة الطيبة في هذه الدار، وفي دار القرار، فالله تعالى يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التحل: ٩٧]. . . فيمنحك طمأنينة القلب وراحته، وسعادة بمحبته.

● وحاشا لله أن يجحد سعيك أو يضيع عملك، فيقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

● ويهديك الله بالإيمان إلى الصراط المستقيم، إلى تلقي النعم بالشكر،

والمكافئه بالرضا والصبر، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس: ٩].

● وتنتفع بالمواعظ والآيات، فالله تعالى يقول: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذَّارِيَات: ٥٥].

● والإيمان يقطع الشكوك التي تعرضُ لكثير من الناس، ولهذا ثبت في الحديث الصحيح: «لا يزال الناس يتساءلون حتى يُقال: هذا، خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله»^(١).

● ولا يحبك فحسب، بل يجعل لك المحبة في قلوب المؤمنين، فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

● والإيمان ملجأ المؤمنين في كل ما يلثمُ بهم، من حزن وخوف؛ كما قال تعالى عن خيار الخلق: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَظْتَهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [١٧٣] ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَيْهِ فَفَضَّلَهُمْ لِمَ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤].

● وترفع درجاتك عند الله وعند عباده: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

● ويشرك بالأمن المطلق في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

● وإذا أطفئت الأنوار يوم القيامة، مشيت بنورك على الصراط إلى دار الكرامة والنعيم.



(١) رواه مسلم.



● فضل سورة الفاتحة:

روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل عليه السلام قاعدٌ عند النبي صلى الله عليه وسلم، سمع نقيضاً (أي: صوتاً) من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فُتِحَ اليوم، لم يُفتح قط إلا اليوم، فنزل منه مَلَكٌ فقال: هذا مَلَكٌ نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسَلَّمَ وقال: أُبشِرُ بنورين أوتيتهما لم يُؤتِهما نبيُّ قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أُعطيته ^(١).

● فضل سورة الكهف:

يقول صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة، أضاء له من النور ما بين الجمعتين» ^(٢).

● فضل سورة الواقعة:

يقول صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً» ^(٣).

● فضل سورة الدخان:

يقول صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حم الدخان في ليلة جمعة غفر له» ^(٤).

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح الجامع: (٦٤٧٠).

(٣) تخريج الكشاف: ٤١٢/٣، وإسناده جيد.

(٤) ضعيف الترمذي: (٢٨٨٩).

● فضل سورة يس:

يقول فيها رسول الله ﷺ: «من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غُفر له»^(١).

● فضل سورة تبارك:

يقول ﷺ: «إن سورة في القرآن ثلاثون آية، شفعت لرجلٍ حتى غُفر له، وهي سورة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾»^(٢).

وقال عنها رسول الله ﷺ: «هي المانعة، هي المُنجية من عذاب القبر»^(٣).

ويقول فيها رسول الله ﷺ: «وددتُ أنها في قلب كل مؤمن» يعني: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾^(٤).

● فضل سورة قل هو الله أحد:

قال رسول الله ﷺ: «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟».. قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، تعدل ثلث القرآن»^(٥).

● فضل سورة الكافرون:

يقول ﷺ: «﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا الْكَافِرُونَ﴾ تعدل ربع القرآن»^(٦).



(١) الترغيب والترهيب، وإسناده صحيح.

(٢) صحيح الترمذي: (٢٨٩١).

(٣) رواه الترمذي، صحيح الجامع: (٣٦٤٣).

(٤) رواه الحاكم، الترغيب والترهيب، للمنذري، وإسناده صحيح.

(٥) رواه مسلم.

(٦) صحيح الجامع: (٤٤٠٥).

- ١ - للصائم عند فطره دعوة لا تُردّ، فاغتنموها، وأعطوا منها شيئاً لإخوانكم المضطهدين في كل مكان عسى الله أن يفرّج همهم.
- ٢ - لا تفرّطوا في قيام رمضان، وإياكم أن يفوتكم أجر القيام فيه، فكلنا مُحمّل بأحمال من الذنوب والخطايا، وقيام رمضان بأكمله مغفرة لما تقدم من الذنوب.
- ٣ - لا تضيعوا خير ليالي السنة: العشر الأخيرة من رمضان، وفيها ليلة خير من ألف شهر، من حُرّم أجرها فقد حُرّم.
- ٤ - إياكم أن تفوتكم آخر ليلة من رمضان، ففي تلك الليلة يُعتق فيها من الرقاب بقدر ما أعتق طوال الشهر، فلعل الله ﷻ - إن لم يكن قد كتبك من العتقاء من النار في كل ما فات من الليالي - ينتظرك أن تطرق بابه في آخر ليلة لتفوز مع الفائزين، فاحرص على أن تشغل تلك الليلة كلها بالذكر والدعاء والتلاوة والقيام.
- ٥ - كن جواداً كريماً، كما كان النبي ﷺ، فكان أجود ما يكون في رمضان، فأر الله منك زهدك في مالك، واستغناءك عنه في سبيل نيل رضاه، فطر الصائمين، وأطعم المساكين، وسّع على أهلك، أعط هدية لجارك، صل رحمك وتذكّر أقباءك الفقراء، أغدق عليهم مما أنعم الله عليك من فضله، اشتر أشرطة ورسائل وتصدق بها على مسلم غافل لعله يهتدي على يدك.
- ٦ - إذا ذكر رمضان كان قرينه القرآن، فاغتنم كل لحظة في تلاوة القرآن، واجعل لك هدفاً في أن تختمه عدة مرات.

- ٧ - إياك وأن يمر عليك الشهر وبينك وبين أحد من المسلمين قطعة أو مشاحنة! فمتى يكون التسامح إن لم يكن في رمضان؟! .
- ٨ - إن كان لك أسرة؛ زوجة وأولاد؛ فلا تنسهم من وصاياك ونصائحك، اجعلهم يشاركونك في الأجر والثواب . .
- فإذا تهجدت فلتكن إماماً لهم، وإذا قرأت القرآن فذكرهم بآيات الله، وإذا استغفرت ذكرهم بالاستغفار، فإنك مأمور بذلك، واستمع إن شئت لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].
- ٩ - إن علامة قبول الطاعة المثابرة على الطاعة بعدها، فإذا أردت أن يتقبل الله منك الشهر فأره من حالك تغييراً، ولا تعود للتقصير بعد رمضان.
- فإذا كان العيد فصل في الرحم، ووسع فيه على الأهل، ولا تنس أنك كنت تتلو القرآن كل يوم في رمضان؛ فحرام عليك أن تهجره! ولازم الذكر والاستغفار تكن من المفلحين.
- ١٠ - لا تنس الله أبداً، وكن مع الله يكن معك . .





يعتنقُ الإسلامَ ويخجلُ مِنَ السُّجودِ (١)

يقول الدكتور جيفري لانج (Jeffrey Lang) أستاذ الرياضيات في جامعة كنساس الأمريكية ومؤلف العديد من الكتب عن الإسلام: «في اليوم الذي اعتنقتُ فيه الإسلام، قدّم إليّ إمامُ المسجد كتباً يشرح كيفية أداء الصلاة.. غير أنني فوجئتُ بما رأيته من قلق الطلاب المسلمين، فقد ألحوا عليّ بعبارةٍ مثل: «خذ راحتك»، «لا تضغط على نفسك كثيراً»!..

وتساءلتُ في نفسي: هل الصلاة صعبةٌ إلى هذا الحد؟..

لكنني تجاهلت نصائح الطلاب، وقررت أن أبدأ فوراً بأداء الصلوات الخمس في أوقاتها.

وفي تلك الليلة أمضيت وقتاً طويلاً جالساً على الأريكة في غرفتي الصغيرة بإضاءتها الخافتة، حيث كنت أدرس حركات الصلاة وأكررها، وكذلك الآيات القرآنية التي سأتلوها، والأدعية الواجب قراءتها في الصلاة.. وبما أن معظم ما كنت سأتلوه كان باللغة العربية، فقد لزمني حفظ النصوص بلفظها العربي، وبمعانيها باللغة الإنكليزية. وتفحصتُ الكتيب ساعاتٍ عدة، قبل أن أجد في نفسي الثقة الكافية لتجربة الصلاة الأولى.

كان الوقت قد قارب منتصف الليل، لذلك قررت أن أصلي صلاة العشاء.

دخلت الحمام ووضعت الكتيب على طرف المغسلة مفتوحاً على الصفحة التي تشرح الوضوء.. وتتبع التعليمات الواردة فيه خطوة خطوة، بتأنٍ ودقة.. وعندما انتهيت من الوضوء، أغلقت الصنبور وعدت إلى الغرفة

والماء يقطر من أطرافي؛ إذ تقول تعليمات الكتيب بأنه من المستحب ألا يجفّ المتوضئ نفسه بعد الوضوء.

ووقفت في منتصف الغرفة، متوجهاً إلى القبلة.. نظرتُ إلى الخلف لأتأكد من أنني أغلقت باب شقتي، ثم توجهت إلى الأمام، واعتدلت في وقفتي، وأخذتُ نفساً عميقاً، ثم رفعت يديّ، وقلت بصوت خافت: «الله أكبر».

كنت أمل ألا يسمعني أحد! فقد كنت أشعر بشيء من الانفعال، إذ لم أستطع التخلص من قلقي من كون أحد يتجسس عليّ.. وفجأة أدركت أنني تركت الستائر مفتوحة.. وتساءلت: ماذا لو رأي أحد الجيران؟!..

تركتُ ما كنتُ فيه، أغلقت الستائر، ومرة أخرى توجهتُ إلى القبلة، واعتدلتُ في وقفتي، ورفعتُ يديّ إلى أن لامس الإبهامان شحمتي أذنيّ، ثم همست: «الله أكبر»، وبصوت خافت لا يكاد يُسمع، قرأتُ فاتحة الكتاب ببطء وتلعثم، ثم أتبعْتُها بسورة قصيرة باللغة العربية، وإن كنت أظن أن أي عربي لم يكن ليفهم شيئاً لو سمع تلاوتي تلك الليلة!.. ثم بعد ذلك تلفظتُ بالتكبير مرة أخرى بصوت خافت، وانحنيتُ راکعاً حتى صار ظهري متعامداً مع ساقي، واضعاً كفيّ على ركبتي.

شعرتُ بالإحراج، إذ لم أنحنِ لأحد في حياتي قط!..

.. يتبع ..





يعتنقُ الإسلامَ ويخجلُ منَ السُّجودِ (٢)

وبينما كنت لا أزال راکعاً، كررت عبارة «سبحان ربي العظيم» عدة مرات، ثم اعتدلتُ واقفاً وأنا أقرأ «سمع الله لمن حمده»، ثم «ربنا ولك الحمد» أحسستُ بقلبي يخفق بشدة، وتزايد انفعالي عندما كبرتُ مرةً أخرى بخضوع، فقد حان وقت السجود! وتجمدتُ في مكاني، بينما كنت أهدقُ في البقعة التي أمامي، حيث كان عليّ أن أهوي إليها على أطراف الأربعة، وأضعُ وجهي على الأرض.. لم أستطع أن أفعل ذلك! لم أستطع أن أنزل نفسي إلى الأرض، لم أستطع أن أذل نفسي بوضع أنفي على الأرض، شأنُ العبد الذي يتذلل أمام سيده! لقد خُيل لي أن ساقِيَّ مقيدتان لا تقدران على الانثناء! تخيلتُ ضحكات أصدقائي ومعارفي، وهم يراقبونني وأنا أجعل من نفسي مغفلاً أمامهم! وتخيلتُ كم سأكون مُثيراً للسخرية عندهم! وكدتُ أسمعهم يقولون: مسكين «جف»! فقد أصابه العرب بمسّ في سان فرانسيسكو؛ أليس كذلك؟ وأخذتُ أدعو: يا ربّ أرجوك، يا ربّ أعني على هذا، أخذتُ نفساً عميقاً، وأرغمتُ نفسي على النزول.. ترددتُ لحظات قليلة، ثم ضغطتُ وجهي على السجادة، أفرغتُ ذهني من كل الأفكار، وتلفظتُ ثلاث مرات بعبارة «سبحان ربي الأعلى».

«الله أكبر» قلتُها، ورفعتُ من السجود جالساً على عقبي.

«الله أكبر»، ووضعتُ وجهي على الأرض مرةً أخرى، وبينما كان أنفي يلامس الأرض، رحتُ أكرر عبارة «سبحان ربي الأعلى» بصورة آليّة، فقد كنت مصمماً على إنهاء هذا الأمر مهما كلفني ذلك.

«الله أكبر»، وانتصبتُ واقفاً، فيما قلتُ لنفسي: لا تزال هناك ثلاث جولات أمامي.. صارعتُ عواظي وكبريائي فيما تبقى لي من الصلاة، لكن

الأمر صار أهون في كل شوط . . حتى إنني كنت في سكينه شبه كاملة في آخر سجدة . . قرأتُ التشهد في الجلوس الأخير، وأخيراً سلّمتُ عن يميني وشمالي .

وبينما بلغ بي الإعياء مبلغه، بقيت جالساً على الأرض . . أخذتُ أراجعُ المعركة التي مررت بها . . أحسستُ بالإحراج لأنني عاركتُ نفسي كل ذلك العراك في سبيل أداء الصلاة إلى آخرها، ودعوتُ برأس منخفض خجلاً: اللهم اغفر لي تكبري وغبائي! . .

شعرتُ في تلك اللحظة بشيء لم أجربه من قبل، يصعب عليّ وصفه بالكلمات، فقد اجتاحتني موجة لا أستطيع أن أصفها إلا بأنها كالبرودة، وبدا لي أنها تشع من نقطة ما في صدري .

كنت أرتعش . . أخذتُ الدموع تنهمر على وجهي، وكلما ازداد بكائي ازداد إحساسي بأن قوة خارقة من اللطف والرحمة تحتضنني! لقد بدا وكأن سداً قد انفتح ليُفرغ خزاناً عظيماً من الخوف بداخلي، أيقنتُ بعدها أن مغفرة الله ﷻ لا تتضمن مجرد العفو عن الذنوب، بل أيضاً منح السكينة والشفاء .

وقبل أن أقوم من مكاني، دعوتُ بهذا الدعاء الأخير: اللهم، إذا تجرأتُ على الكفر بك مرة أخرى، فاقتلني قبل ذلك، خلّصني من هذه الحياة، فإنني لا أستطيع أن أعيش يوماً واحداً آخر وأنا أنكر وجودك! . .





قالوا عن محمد ﷺ ..

- يقول الشاعر الفرنسي لامارتين: «أعظم حدث في حياتي هو أنني درست حياة رسول الله محمد دراسة وافية، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود.. أي رجل أدرك من العظمة الإنسانية مثلما أدرك محمد؟! وأي إنسان بلغ من مراتب الكمال مثل ما بلغ؟! لقد هدم الرسول المعتقدات الباطلة التي تُتخذ واسطةً بين الخالق والمخلوق».
- ويقول عالم اللاهوت السويسري د. هانز كونج: «محمد نبي حقيقي بمعنى الكلمة، ولا يمكننا بعد الآن إنكار أن محمداً هو المرشد القائد إلى طريق النجاة».
- وهذا شاعر الألمان غوته يصرح قائلاً: «بحث في التاريخ عن مثلي أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي العربي محمد ﷺ».
- ويخاطب الشاعر غوته أستاذه الروحي الشاعر الكبير حافظ شيرازي فيقول: «يا حافظ إن أغانيك لتبعث السكون.. إنني مهاجر إليك بأجناس البشرية المحطمة، بهم جميعاً أرجوك أن تأخذنا في طريق الهجرة إلى المهاجر الأعظم محمد بن عبد الله».
- ويقول غوته أيضاً: «إن التشريع في الغرب ناقص بالنسبة للتعالم الإسلامية، وإننا - أهل أوروبا - بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد»^(١).
- ويقول تولستوي: «أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد الذي اختاره الله

(١) ربحت محمداً ولم أخسر المسيح، للدكتور عبد المعطي الدالاتي .

الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه، وليكون هو أيضاً آخر الأنبياء».

● ويقول توماس كارليل في كتابه «الأبطال»: «إنما محمد شهاب قد أضاء العالم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

● وهذا جورج برنادشو يقول: «قرأت حياة رسول الإسلام جيداً مرات ومرات، فلم أجد فيها إلا الخُلُق كما ينبغي أن يكون.. وكذا تمنيتُ أن يكون الإسلام هو سبيل العالم».

لقد درستُ محمداً باعتباره رجلاً مدهشاً، فرأيته بعيداً عن مخاصمة المسيح، بل يجب أن يُدعى «منقذ الإنسانية».

وأوروبية في العصر الراهن بدأت تعشق عقيدة التوحيد، وربما ذهبت إلى أبعد من ذلك فتعترف بقدره هذه العقيدة على حل مشكلاتها، فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي».

● ويقول ول ديورانت صاحب كتاب «قصة الحضارة»: «ليس في التاريخ دين غير الإسلام يدعو أتباعه على الدوام إلى أن يكونوا أقوياء، وليس في التاريخ دين فرض على الأغنياء ما فرضه الإسلام من الضرائب (يقصد الزكاة) لإعانة الفقراء».

● وأخيراً ننقل قول الأمير تشارلز (ولي العهد في المملكة المتحدة): «إن الإسلام يمكن أن يعلمنا طريقة للتفاهم والعيش في العالم، الأمر الذي فقدته الديانة المسيحية، فالإسلام يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة، والدين والعلم، والعقل والمادة».

صلى عليك الله يا حبيبي يا رسول الله..





الشاعر جاك صبري شماس - كما يقول الأستاذ حسن الفيل - شاعر
سوري معاصر، يتمتع بحسّ إسلامي صادق، بل ويستوعب الكثير من قيم
الإسلام وتعاليمه، ناهيك عن سيرة معلم البشرية وصحابته الأبرار. . حتى
وإن كان مسيحي الهوية، فقد ملك حبه للمصطفى ﷺ أقطار نفسه، ومن ثم
جاءت قصائده الإسلامية ترانيم حب في الحبيب .

فمنذ بداية ديوانه «هواجس في أعماق شاعر» يقدم الشاعر أوراق
اعتماده للقارئ العربي والمسلم في كل مكان . .

فيقول في قصيدته (أوراق اعتمادي):

إني مسيحيُّ أُجِلُّ محمدًا وأجلُّ ضاداً مهدها الإسلامُ
وأجلُّ أصحابَ النبيِّ وأهلَهُ حيثُ الصحابةُ صفوةٌ ومقامُ
كَمَلْتُ شعري بالعروبةِ والهوى ولأجلِ (طه) تفخرُ الأقلامُ
أودعتُ روعي في هيامِ محمدٍ دانتُ له الأعرابُ والأعجامُ

وعشقه للنبي ﷺ لا يتوقف على قصائد بعينها، بل إنه تغلغل في كثير
من قصائده .

يقول في قصيدته (أنا والعروبة):

أودعتُ عشقي في حديثِ (محمدٍ) فالضادُ في لغة النبيِّ حصونُ
ولثمتُ قرآنَ الهدايةِ مؤمناً وتنيروني (سورٌ) به ويقىنُ
سأظلُّ في بلدِ النبوةِ عاشقاً بلدَ النبوةِ للضَّيرِ عيونُ

ويقول في قصيدة أخرى:

أنا مسلمٌ لله أمري في الدُّنى ومفاخرٌ بالمُسلمِ المعوان

ويعتذر شاعرنا من رسول الله ﷺ في قصيدة أخرى بعنوان (عذراً
رسول الله) فيقول:

عذراً رسول الله ممّا أكتبُ عُذراً وعفوُك بالخلائق أرحبُ
إن زلّ نطقٌ في لساني غفلةً فارحمْ فديتُك إنني أتعدّبُ

ولا يخفي الشاعر إعجابه بدين الإسلام وما هو عليه من مبادئ ربانية
شامخة، فيقول في قصيدته:

وزها رحابُ «محمدٍ» بقصيدةٍ دانت لها الأكوان والأرجاء
ماذا أسطر عن نبوة «أحمد» ومبادئ شمخت بها العلياء

إلى أن يقول مخاطباً الرسول الأعظم محمداً ﷺ، وناظراً عن هذا
الدين ما ألقاه المبتلون من أوصاف مشينة كالتطرف، وما جرى مجراه:

ناشدتُ طهرَكَ يا رسولَ محبباً ديناً توشحُ طهره النعماءُ
هذا هو الإسلام نهج حضارةٍ شماء حاك برودها النجباءُ



● الطمع أصل الجشع وعدم الرضا بما قسم الله للمرء من أرزاق، هو تكالب النفس على طلب المزيد ولو من طرقٍ غير مشروعة، وما من رشوة أو سرقة إلا ثمرة من ثمار الطمع..

لا يقف صاحبه عند حد، وما نهايته إلا في تبار..

هو شعور بالفقر الدائم ولو لم يكن به فقر، يدفع بأهله إلى الأخذ دون عطاء!..

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أنه قال: أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أوصني وأوجز. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «عليك بالإياس (أي: اليأس) مما في أيدي الناس، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وإياك وما يُعْتَدَرُ منه»^(١).

والطمع كماء البحر كلما ازددت منه شرباً ازددت عطشاً..

يقول أحدهم: العبيد ثلاثة: عبد رُقٍّ، وعبد شهوةٍ، وعبد طَمَعٍ؛ فلا تكن أحد هؤلاء العبيد!

وإياك أن يدخل بطنك طعام من حرام، ولا تستمع إلى ما يزينه الشيطان لمن يأخذ رشوة أو مالاً من حرام..

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَطْلِ وَتُدَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

لا تخضعن لمخلوقٍ على طمعٍ فإنَّ ذلكَ نقصٌ منك في الدينِ

(١) رواه الحاكم وصححه، والطبراني بسند جيد.

لن يستطيع العبدُ يعطيك خردلةً إلا بإذنِ الذي سَوَّأكَ مِنْ طِينِ
ولا تصاحبُ غنيًّا تستعزُّ به وكنْ عفيفاً وعظْمَ حُرْمَةِ الدِّينِ

● ويرى المنفلوطي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنما يشقى في هذا العالم أحد رجال ثلاثة:

- حاسد يتألم لمنظر النعم التي يُسبغها الله على عباده، ونِعْمُ اللهُ لا تنفذ ولا تفنى.

- وطَّماع لا يستريح إلى غاية من غاياته حتى يثور ثائره وراء غاية غيرها، فلا تفنى مطامعه ولا تنتهي متاعه..

- ومقترف جريمة من جرائم العِرضِ والشرف لا يفارقه خيالها حيثما حلَّ وأينما سار..

● يقول أحد الحكماء:

لا تأتمنَّ على مالِكَ طَمَّاعاً..

ولا على سرِّكَ كذاباً..

ولا على دينِكَ دَجَّالاً..

ولا على عقلِكَ مُخادعاً..

ولا على سلامتك مُغامراً..

ولا على عِلْمِكَ غيباً..

ولا على أهدافِكَ ذكيًّا..

وإذا كانت القناعة تجعل الفقراء أغنياء، فإن الطمع يجعل الأغنياء

فقراء!..



● سئل إبراهيم النخعي عن الرجل يترك التجارة والعمل، ويُقبل على الصلاة، ورجل يشتغل بالتجارة؛ أيهما أفضل؟ قال: التاجر الأمين.. .
وهذا مصداق قوله ﷺ: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»^(١).. .
فإذا كنت تاجراً فكن أميناً تريح الدنيا والآخرة.. .

● لا تنفق سلعتك بالحلف الكاذب:

كان علي بن أبي طالب ﷺ يدخل السوق ويقول: «بيعوا ولا تحلفوا؛ فإن اليمين تُنفق السلعة وتمحق البركة، وإن التاجر فاجر إلا مَنْ أَخَذَ الْحَقَّ وَأَعْطَى الْحَقَّ».. .
وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «الْحَلْفُ مَنْقَعَةٌ لِلسُّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْبِرْكََةِ»^(٢).. .

● اقنع بالقليل من الربح:

ولا تَرُدُّوا قَلِيلَ الرِّبْحِ فَتُحْرَمُوا كَثِيرَهُ.. .

● تفقّه بالدين قبل أن تدخل السوق:

وكان علي ﷺ يقول منبهاً إلى خطورة التجارة قبل التفقه في الدين: «من اتجر قبل أن يتفقه في الدين؛ فقد ارتطم في الربا، ثم ارتطم».. .
كان الفاروق عمر ﷺ يضرب بالدرّة من يقعد في السوق وهو لا يعرف الأحكام ويقول: «لا يبيع في سوقنا إلا من تفقّه، وإلا أكل الربا شاء أو أبي».. .

(١) رواه الترمذي، صحيح الترغيب: (١٧٨٢).. .

(٢) رواه البخاري.. .

● إياك والاحتكار:

وقد نهى رسول الله ﷺ عن الاحتكار، فقال: «لا يحتكر إلا خاطئ»^(١)، والخاطئ: العاصي الآثم..

وذهب ابن قدامة إلى أن الاحتكار المحرّم ما اجتمعت فيه شروط ثلاثة؛ هي:

أ - أن يُشترى، فلو أدخل من غلته شيئاً فادّخره لم يكن محتكراً.

ب - أن يكون المشتري قوتاً.

ج - أن يضيق على الناس بشرائه.

● إياك والغش:

مرّ رسول الله ﷺ على صبرة (أي: كومة) طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يا رسول الله! قال: «أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غش فليس مني»^(٢).

● لا تبع على بيع أخيك:

وابتعد عن النّجس؛ فالرسول ﷺ يقول: «لا تحاسدوا، ولا تناجسوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً»^(٣).

● كن سمحاً في بيعك وشرائك:

فالرسول ﷺ يقول: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى»^(٤).

(٢) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

(١) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.



أخذُ المال من الناس سهل، ولكن ردّه من أصعب الأمور عند مَنْ ضَعَفَ إيمانه واستهان بأوامر الله . .

● **فقول لمن أقرض المال:**

- ١ - إذا أقرضت أحداً فتذكر أن أطول آية في القرآن هي آية الدَّيْنِ! .
- ٢ - اكتب الدَّيْنَ مهما صغر، وصدِّقه من الشهود إن كان المبلغ كبيراً . .
- ٣ - ابتغ وجه الله تعالى في قرضك . .
- ٤ - اكتب متى سيتم إرجاعه كيلا تُحرج في طلبه . .
- ٥ - إذا لم يستطع أخوك السداد فأجله لموعد آخر . . وتذكر قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرٍ فَنظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] . .

وتذكر حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «أُتِيَ اللهُ بَعْدَ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمَلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ! أَتَيْتَنِي مَالِكٌ؛ فَكُنْتُ أَبَايَعُ النَّاسِ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيْسِّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنظِرُ الْمُعْسِرَ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنِّي»^(١) .

- ٦ - البعض يُنكر عليك أن تطالبه بمالك، وينسى أن ذلك حق لك إذا جاء وقت سداده . .
- بل وربما نشر ذلك بين الناس بأنك «مَنَّان»، فهذا من يصدق عليه المثل: (اتق شرّاً من أحسنتَ إليه).

(١) رواه مسلم .

- وليس هناك خصلة أسوأ من جحودِ فضلٍ من أحسنِ إليك .
- ٧ - إياك واليمنَ على من أقرضتَ، فإنَّ اليمنَ يُفسدُ ثوابَ القرضِ، ويفسدُ بركته .
- ٨ - إذا أقرضتَ أحداً فلا تخبرِ بذلك أحداً إلا الشهود . .
- وإذا واجهتهُ يوماً فلا تذكرِ موضوعَ الدينِ بين الناس . .
- ٩ - لا تغترَّ بكثرةِ الشكرِ ممن أقرضتَ، فقد يشكرُ كثيراً ثم لا يسدُّ دينه! وقد يشكرُ قليلاً ويفي بالسداد في وقته! . .

● ونقول لمن أخذ المال:

- ١ - بادر إلى سدادِ دينك في الوقت المحدد، وإذا علمتَ أنك لا تستطيع السداد فأخبرِ صاحبك وأسأله إن كان يستطيع الصبر عليك، وإلا فائتِ له بالمال من طرف آخر . .
- وإياك والمماطلة في دفع الدين الذي عليك، فبعض الأغنياء يماطل في سداد دينه، يظن أنه يستفيد من ذلك في استثمار ذلك المال، ولا يعلم أن رسول الله ﷺ يقول: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظَلَمٌ، وَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيءٍ فَلْيَتَّبِعْ»^(١).
- أي: إذا أحيِلَ أحدكم على غني فليقبل الحوالة^(٢).
- ٢ - إذا جاءك الناس يسألونك عن إنسان يمكن أن يُقرضهم، فلا ترشدهم إلى صاحبك الذي أقرضك . . فالناس عند صاحبك ليسوا سواءً، ولربما كان غير قادر على إقراضهم عند مجيئهم، فيوغرُ الشيطانُ قلوبهم بـ (كيف يُقرض فلاناً ولا يُقرضنا؟!).

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي.



مَنْ سَأَلَ النَّاسَ حَاجَةً

الليلة
٣٣٧

بعض الناس لا يعمل، يجلس في بيته، ثم إذا احتاج المال لجأ إلى الناس يسألهم المال! فأبي عاقل يقعد عن العمل كسلاً وتواكلاً؟! .. أي عاقل يرضى لنفسه ذلّ السؤال؟! ..

ألم يُثِنَّ اللهُ تعالى على من لا يسأل الناس شيئاً، فقال: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]؟! ..

أتى النبي ﷺ رجلٌ فسأله فأعطاه، فلما وضع رجله على أسكفة (أي: عتبة) الباب، قال رسول الله ﷺ: «لو تعلمون ما في المسألة ما مشى أحدٌ إلى أحد يسأله شيئاً»^(١).

فاسأل الله ألا يُحِجَّكَ إلى أحد، وأن يغنيك من فضله الكريم، وعطائه العظيم، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يوصي ابنه الحسن: «يا بني إن استطعت ألا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل، ولا تكن عبداً غيرك وقد جعلك الله حُرّاً، فإن اليسير من الله تعالى أكرم وأعظم من الكثير من غيره» ..

ويحذر لقمان ولده من ذل السؤال فيقول: «يا بني إياك والسؤال؛ فإنه يُذهِبُ ماء الحياء من الوجه! وأعظم من هذا استخفافُ الناس بك» ..

وينبّه شريح إلى خطورة سؤال الناس، فيقول: «من سأل الناس حاجة فقد عرض نفسه للرق؛ فإن قضاها المسؤول منه استعبده بها، وإن رده عنها رجع كلاهما ذليلاً؛ هذا بذل السؤال، وذاك بذل البخل!» ..

(١) صحيح النسائي: (٢٥٨٥).

وإياك أن تُريقَ ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه، فترجع ذليلاً
ويعودُ لئيمًا..

سئل حكيم: ما الجرح الذي لا يندمل؟.

فقال: حاجة الكريم إلى اللئيم، ثم يردُّه في وجهه..

قيل: فما الذل؟.

قال: وقوف الشريف بباب الدنيء، ثم لا يؤذن له.

يقول أحد الحكماء:

«احتجَّ إلى مَنْ شَتَّ تكن أسيره..

واستغنٍ عمن شَتَّ تكن نظيره..

وأنعمَ على من شَتَّ تكن أميره»..

ويقول أحد الصالحين:

«أقربُ ما يكون العبد من الله إذا سأله..

وأقرب ما يكون من الخَلْق إذا لم يسألهم»..

فحذار أن يخوِّفك الشيطان من ضيق العيش..

أو يجعلك تخشى الفقر؛ فإن الرازقَ اللهُ..





يقول ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالى أقواماً يختصهم بالنعم لمنافع العباد، ويقرُّها فيهم ما بذلوا، فإذا منعوها نزعها منهم، فحوَّلها إلى غيرهم»^(١).

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «إنَّ اللهَ عباداً يستريح النَّاسُ إليهم في قضاء حوائجهم، وإدخال السرور عليهم، أولئك هم الآمنون من عذاب يوم القيامة».

فإذا كنتَ ممن يقصده النَّاسُ في الحوائج، وتُدخِلُ السرور على من قَصَدَكَ؛ فأنت إن شاء الله تعالى من الآمنين..

ألم يقل رسول الإنسانية ﷺ: «ولأنَّ أمشي مع أخ في حاجة أحبَّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد - مسجد رسول الله ﷺ - شهراً، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تنهياً له، أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام»^(٢).
ثم أليس جزاء تنفيس كربة في الدنيا تنفيساً لكربة في الآخرة؟..

يقول ﷺ: «من نفَّس عن مؤمن كربة من كُرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كُرب يوم القيامة، ومن يسَّر على مُعسرٍ يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة.. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»^(٣).

ولكن تعالوا نرى واقعنا الأليم؛ أليس هناك من لا يقضي حاجة أحد إلا إذا أعطاه رشوة؟! ولا يقضون حوائج الفقراء والمحتاجين في حين يتهافتون على قضاء حوائج أصحاب الجاه والنفوذ!..

(١) صحيح الجامع: (٢١٦٤).

(٢) السلسلة الصحيحة: (٩٠٦).

(٣) رواه مسلم.

حاجة تقضيها لأخيك المسلم قد لا يستغرق أداؤها ربع ساعة أو أقل؛ فيها ثواب اعتكاف شهر كامل في مسجد رسول الله ﷺ.

تذكّر يا أخي الموظف هذا الحديث وذلك الأجر العظيم إذا أنت قضيت حوائج الناس؛ كم يُكْتَبُ لك من الأجر في كل يوم، وكم يُسَجَّلُ في صحائف أعمالك إذا لم تعطل المراجعين بغياب عن العمل، أو تأخر عن الدوام، أو بأحاديث جانبية مع الزملاء تضيع فيها ساعات وساعات ويتأخر إنجاز المعاملات..

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان يحلب للحَيِّ أغنامهم، فلما أصبح خليفة، قالت جارية منهم: الآن لا يحلبها! فقال أبو بكر: بلى.. واستمر في حلب أغنام جيرانه.

وكان حكيم بن حزام يحزن على اليوم الذي لا يجد فيه محتاجاً ليقضي له حاجته، ويقول: ما أصبحت وليس بابي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب التي أسأل الله الأجر عليها..

فكن حريصاً على خدمة الآخرين واقض حوائجهم، وافعل ذلك احتساباً للأجر من الله، لا لطلب مديح ولا لثواب معجل.

قضى ابن شبرمة حاجة كبيرة لبعض إخوانه، فجاء يكافئه بهدية.

فقال: ما هذا؟ قال: لما أسديته إليّ.

فقال: خذ مالك عافاك الله! إذا سألت أخاك حاجة فلم يُجهد نفسه في قضائها، فتوضاً للصلاة، وكبر عليه أربع تكبيرات، وعُدّه من الموتى!..





ليس الضعف عيباً ولا منقصة ما دام صاحبه قد اختاره الله لهذا الضعف! فكم هناك من يتيم لم يترك له والده ثروةً يتقوى بها على الحياة! وكم من أرملة باتت وقد فقدت زوجها وأولادها في ساحات الشرف والجهاد! .

وكم هناك مَنْ يسعى على عياله بكل ما آتاه الله من قوة، ثم لا يجد من الدخل ما يكفيه! .

وكم مَنْ وُلِدَ وليس لديه بيت يؤويه أو عائلة تحميه! .

وكم مَنْ تعاورته الأمراض والعلل من كل جانب حتى أقعدته عن الكد والعمل، فلم يجد ثمن الدواء ولا قيمة الغذاء! .

وإذا كان هؤلاء الضعفاء المؤمنون الصابرون هم وصية الله تعالى لخير خلقه ﷺ بأن يصبر نفسه معهم: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨] .

وإذا كان الواحد من هؤلاء الضعفاء لو أقسم على الله لأبره كما يقول الرسول ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف» (أي: الضعفاء المغلوبون الذين لا يؤبه لهم)، لو أقسم على الله لأبره^(١) .

وإذا كان الأمر كذلك؛ فإن على القادرين في هذه الأمة أن يبذلوا ما في وسعهم لإعانة هؤلاء الضعفاء، فلا يتأخرون عنهم، ولا يتركونهم لعدو طامع يريد النيل من هذه الأمة! . .

(١) رواه البخاري .

ألم يضرب لنا المصطفى ﷺ أروع الأمثلة في الإيثارة؟! ويعلم الأمة كيف يساعد القويَّ الضعيفَ، والغنيَّ الفقيرَ.. فيقول: «من كان عنده فضل ظهر (أي: ما زاد على حاجة المرء من مركوب) فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان عنده فضلٌ من زادٍ فليعد به على من لا زاد له».. قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أن لا حقَّ لأحدٍ منا في فضل^(١).

وسعادة الدنيا تزداد إذا ما اقترنت ببذل الخير والمعروف للآخرين، أما إذا اقتصر على المنفعة الذاتية والمصلحة الشخصية انحسرت وتقلصت!..

يقول ابن السماك: «عجبتُ ممن يشتري المماليك بماله؛ كيف لا يشتري الأحرار بمعرفه!»...

سُرِقَ لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه متاع، فراح مَنْ حوله يدعون على مَنْ أخذها!.. فقال لهم: إن كان قد أخذها لفقير وحاجة فبارك الله له فيها، وإن كان قد أخذها لجراءة الذنب فجعلها الله آخر ذنوبه!.



(١) صحيح أبي داود: (١٦٦٣).



وَقَفَ مَعِيَ حِينَ خَذَلَنِي النَّاسُ!

أعرف رجلاً جواداً لم يكن يرُدُّ سائلاً رغم رقة حاله وقلة ماله . . .
كانت زوجته تقول له: كفاك إنفاقاً! ادّخر لأولادك عندما يكبرون! . . .
وكان يرُدُّ عليها: أليس الرازق هو الله تعالى؟! فأنا لا أعطي أحداً من مالي، إنما هو رزقُ أجراه الله تعالى على يدي! . . .
وتمرُّ الأيام والسنون، ويرحل الزوج تاركاً وراءه زوجته وطفلتين صغيرتين، ولم يترك من المال إلا النذر القليل . . .
وتضطر الزوجة إلى بيع بعض أثاث البيت من حين لآخر؛ لتنفقه على البنيتين الصغيرتين . . .

وتلجئها الأيام إلى بعض أقارب زوجها، فيخذلها الجميع، حتى إن أحدهم قال لها شامتاً: إن الرجل كالنهر المتدفق، وإن على المرأة أن تكون سدّاً يمنع إهدار الماء دون جدوى، ولكنك كنتِ سدّاً من تراب! . . .
وفجأة تتذكر دموع ذلك الرجل الذي جاء يوماً إلى زوجها باكياً وقد تراكمت عليه الديون . . . وقف زوجها معه وقفة حاسمة، فأقرضه من ماله، وسدّد عنه جزءاً من الديون . . .

كانت وقتها تلوم زوجها على ذلك، ولكنه كان يرُدُّ عليها قائلاً: كيف أرى مسلماً في كرب وحاجة وأنا أقف أمامه موقف المتفرج العاثر؟ . . .
ذهبت إليه وقد ازدهرت تجارته بعد تلك السنين، فقال لها: إذا كنتِ ترين ما أنا فيه الآن من يسر الحال فإن الفضل فيه لله أولاً، ثم لزوجك . . .
لقد وقف معي حين خذلني الناس، وأنفق من ماله ليسدّد عني الديون، ورغم أنني قد سدّدت له كل ما دفعه عني من أموال لكنك الآن تستطيعين أن

تطلبي ما تشائين؛ فمهما فعلتُ فلن أستطيع أن أجزيه عن ذلك الموقف العظيم يوم وقف معي وقد أحاط بي الدائنون من كل حذب وصوب! وقد جاء دوري الآن لأردَّ له بعض الجميل..

أعطاها ذلك الرجل مبلغاً من المال لتربي ابنتيها الصغيرتين، وقال: أحمدُ الله على أن منحني القدرة على ردِّ الجميل، فوالله لا أردُّ لابنتيك مطلباً ما دمتُ على قيد الحياة!..

فما أنعم الله على عبده نعمة أحسن أثراً من نعمة الاعتقاد بالجزاء الصالح على العمل الطيب، فهو يعتقد أنه مجزي على عمله في الدنيا قبل الآخرة..

ولا تنسَ أبداً أن تنفق وأنت باشٌ مبتسم؛ يقول الشاعر:

بشاشة وجه المرء خير من القرى فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك

وإذا كان لديك رغيفان؛ فكلْ أحدهما وتصدّق بالآخر..

سئل أحد الحكماء: ما السخاء؟

فقال: أن تكون بمالك متبرعاً، وعن مال غيرك متورعاً..

ويقول حكيم:

إذا سألت كريماً فدعه يفكر؛ فإنه لا يفكر إلا في خير!..

وإذا سألت لئيماً فعجله؛ لئلا يُشير عليه طبعه أن لا يفعل!..





● يقول مطرف بن الشخير: «لئن أُعافى فأشكر أحبَّ إليَّ من أن أُبتلى فأصبر، ونظرتُ في النعمة التي لا يشوبها كدر فإذا هي العافية». ويقول آخر: «لا يعرف طعم العافية إلا من نالته يدُ العِلَّة، ولا طعم الرخاء إلا من مسَّته يدُ البلاء».

تذكّر نعمة العافية وأنت تأكل، تذكّرها وأنت تمشي أو تنام، فكم من مبتلى لا يقوى على المسير، أو لا يستطيع أن يغمض له جفن.

يقول علي رضي الله عنه: «ما المبتلى الذي اشتد به البلاء بأحوج إلى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء».

فاسأل الله حفظاً في الأبدان، وشفواً وعافية من كل سوء. قالت عائشة رضي الله عنها: «لو رأيت ليلة القدر ما سألت الله إلا العفو والعافية».

ويقول حكيم فارسي: ما شكوتُ الزمان، ولا سئمتُ ما حلَّ بي إلا عندما حفيتُ قدمي ولم أستطع شراء حذاء.. فدخلتُ مسجد الكوفة وأنا ضيقُ الصدر، فوجدتُ رجلاً بلا رجلين، فحمدتُ الله وشكرتُ نعمته عليّ..

● وصايا طبية:

- ١ - لا تستهن بنصيحة طبيبك حتى وأنت في صحتك؛ فقد يأتي يوم تفقد فيه صحتك، ولا تُجديك مشورة طبيبك.
- ٢ - تذكر أن نفقة الاعتناء بصحتك ووقايتك من المرض أقل من نفقة علاج مرضك.

- ٣ - لا تُوجِّل تناول العلاج حتى تنتهي من عمرك؛ فالعمل لا ينتهي، وقد تفوَّت عليك فائدة العلاج.
- ٤ - من لم يمتنع باختياره عما يضرُّه من الغذاء؛ فقد يضطر إلى ما يكره من الدواء.
- ٥ - إذا تضايقتَ وتململتَ من مرضك؛ فاعلم أن هناك مرضى يتمنُّون ما أنت فيه لِعِظَم ما أصابهم من الأمراض! فاصبر على ما أصابك.
- ٦ - تذكَّر أن حصيرة بالية تنام عليها وأنت صحيح البدن، خير من سرير ذهبي تُلقى عليه وأنت مريض^(١).
- ٧ - إياك وكثرة الطعام فإنها سبب البدانة، وأكثرُ من الحركة فإن الحركة بركة، وتجنب كل ما يؤذيكَ من السجائر والشيشة وأمثالها.
- يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إياكم والبطنة؛ فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجوف، مؤدية إلى السقم.
- ٨ - غير نمط حياتك، واتبع نظاماً صحياً سليماً في طعامك وشرابك وممشاك؛ تَعِش سليماً بإذن الله.



(١) هكذا علمتني الحياة، بتصرف.



بينَ الطَّبِيبِ والمَرِيضِ (١)

● مهنة الطب من أشرف المهن شريطة أن يمارس الطبيب مهنته بإخلاص وإتقان، وأن يلتزم بالخلق الكريم.

وعلى الطبيب أن يدرك أنه مهما بلغ علمه، فإن أسرار الجسم البشري لا يزال أكثرها مغلقاً، وما زال الطبُّ عاجزاً عن إدراك العديد من تلك الأسرار. . . ويعبر عن ذلك عنتره العبسي بقوله:

يقولُ لكَّ الطَّبِيبُ دواكَ عندي إذا ما جسَّ كَفَّكَ والذَّرَاعَا
ولو عَرَفَ الطَّبِيبُ دواءَ داءٍ يردُّ الموتَ ما قاسَى النِّزاعَا
ولا يستطيع الطبيبُ - مهما أوتي من علم وخبرات - أن يدفع أمر الله
إذا حلَّ بالمريض. . . وكثير منا يعرف حالات مات فيها الطبيب قبل مريضه،
بل ربما مات بنفس المرض الذي كان يعالج مريضه منه! وفي ذلك يقول
الشاعر:

إنَّ الطَّبِيبَ بِطَبِّهِ ودوائِهِ لا يستطيعُ دفاعَ أمرٍ قد أتى
ما للطبيبِ يموتُ بالدَّاءِ الذي قد كان يُبرئُ منه فيما قد مضى
ماتَ المُداوي والمُداوى والذي جَلَبَ الدواءَ وباعَهُ ومَن اشترى
أعرف طبيباً كان يعمل معنا في المستشفى، كتب في ملف مريضه أن
مرضه خطير - وكان المريض مصاباً بالسرطان - وأنه ربما لا يعيش أكثر من
أشهر معدودات.

ولم تكد تمضي تلك الأشهر المعدودات حتى مات الطبيب بسرطان
انتشر في جسمه، ومَرَّت سنوات وذاك المريض بخير وعافية! فتأملت فيما
كتب ذلك الطبيب وقلت: يا سبحان الله! لقد صدق فيه قول الشاعر:

وكم من مريضٍ نعاهُ الطَّبيبُ إلى نفسه وتولَّى كئيباً
فمات الطَّبيبُ وعاشَ المريضُ فأضحى إلى النَّاسِ يعني الطَّيباً
والأعمار كلها بيد الله: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].
ولا تعرف من يسبق إلى الموت: الطَّيب أم المريض؟! .

فإذا ما سمع مريضٌ من طبيبه أن حياته غدت قصيرة، وأن أيامه
أصبحت معدودات؛ فلا يئسُّ ولا يقنط من رحمة الله؛ فما أطلع الطَّيب
على غيب، ولا عَلِمَ أن أحداً يموت غداً، إنما هو تخمين الطَّيب حسب
المعطيات العلمية المتوفرة لديه .

● الشفاء بيد الله:

أعجبني مثلاً بلجيكي يقول: «الله يشفي والطَّيبُ يُؤَجِّر».. والله تعالى
يقول في محكم كتابه: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

ويذكر ابن نباته السعدي أن تناول الدواء لا يمنع قضاء الله، فالشفاء
بيد الله وحده:

نُعَلَّلُ بِالدَّوَاءِ إِذَا مَرِضْنَا وَهَلْ يَشْفِي مِنَ الْمَوْتِ الدَّوَاءُ؟
وَنَخْتَارُ الطَّيِّبَ وَهَلْ طَبِيبٌ يُؤَخِّرُ مَا يَقْدُمُهُ الْقَضَاءُ؟

ولا شك أن كل إنسان، كائناً من كان، يلجأ في ساعات اليأس
والشدائد إلى الله وحده.. يقول الربيع بن خيثم:

فأصبحتُ لا أدعو طبيباً لطَّبه ولكنني أدعوك يا مُنزل القطرِ

وعلى الطَّيب أن يمنح المريض إحساساً بالأمل والرجاء، وأن يبعث في
نفسه الطمأنينة، فإن ذلك يساعده على الشفاء من مرضه، والطمأنينة والسكينة
تقوي جهاز المناعة عند المريض، وتشد من عزيمته، وترفع معنوياته .

.. يتبع ..



بينَ الطَّبِيبِ وَالْمَرِيضِ (٢)

● والأطباء يختلفون في تعاملهم مع المريض بمرض ميئوس من شفائه؛ فهناك من يُطمئن المريض، ويفتح له طاقات الأمل، ويُرجيه بالشفاء، وقد يكذب عليه أحياناً، وهناك من يواجه مريضه بالحقيقة سافرة، ويترك المريض يتفاعل مع الحدث، على أمل أن يتغلب على المشكلة ويواجهها، وهناك من يداري ويواري ويتخلص من الموقف.

يقول أبو العلاء، وهو يسأل أحد الأطباء أن يترث فلا يُخبر المريض بقرب موته، عسى الله أن يشفيه من مرضه:

نعى الطَّيِّبُ إِلَى مَضْنَى حَشَاشَتِهِ مَهْلًا طَبِيبٌ فَإِنَّ اللَّهَ شَافِيهِ

● الأَطْبَاءُ وَالْإِيمَانُ:

والحقيقة أن الأطباء من أكثر الناس اطلاعاً على أسرار ذلك المخلوق الذي سَخَّرَ اللهُ له ما في الأرض جميعاً، ثم دعانا الله للتفكير في تلك الأسرار؛ قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذَّارِيَاتُ: ٢١].

ويعجب أبو العلاء المعري من إلحاد بعض الأطباء؛ فيقول:

عجبي للطَّيِّبِ يُلْحَدُ فِي الْحَا لِقَ مِنْ بَعْدِ دَرْسِهِ التَّشْرِيحَا
ويقول الطبيب الشاعر عزت شندي موسى في ديوانه «مع الله ورسوله»:

إِنَّ آمَنَ الْعِلْمَاءُ كَانَ طَبِيبُهُمْ
فَلَقَدْ رَأَى الْإِعْجَازَ فِي الْخَلْقِ الَّذِي
هُوَ أَسْرَعُ الْعِلْمَاءِ لِلْإِيمَانِ
فَالْكَبْدُ يَقْطِئُ حِينَ أَنْكَ نَائِمٌ
قَدْ صَوَّرَ الْخَلَاقَ فِي الْحَيَوَانِ
وَالْعَيْنُ تُبْصِرُ فِي نِظَامٍ مُعْجِزٍ
وَتَبِيْتُ فِي عَمَلٍ مَعَ الْمُضْرَانِ
وَالْمَحُّ يَعْقِلُ مَا تَرَى الْعَيْنَانِ

والأذن تسمعُ في اتساقٍ مُذهلٍ والعقلُ يفهمُ ما تعي الأذنان
فلتؤمنوا باللهِ ملءَ قلوبِكُمْ هل بعد هذا الكشفِ من برهانٍ

● ولعل من أبلغ القصص التي تروى في تأثير الإيمان على المريض قصة عروة بن الزبير - وكان من أجلّ علماء المسلمين - لما أصر الأطباء على ضرورة قطع رجله بعد أن أصيب بمرض فيها . . عرضوا عليه الخمر ليُسكروه كي لا يحس بألم القطع فأبى، وقال: إني سأدخل في ذكر الله، فإذا رأيتموني استغرقت فيه فشأنكم بها . . فلما رأوه استغرق بالذكر، بدأت العملية، وقطعوا اللحم بالسكين المحمى بالنار «للتعقيم»، حتى إذا بلغوا العظم نشروه بالمنشار، ثم حموا الزيت في مغارف الحديد، حتى إذا غلى كوو بهما، فأغمي عليه . . ولما أفاق الشيخ من غشيته، رأى القدم في أيديهم، فأخذ يقلبها وهو يقول: أما والذي حملني عليك، إنه ليعلم أنني ما مشيتُ بك إلى معصية قط .

● ومن الناس من لا يستمع إلى نصائح الطبيب، فينغمس في شهواته من طعام وشراب، وإذا السَّقَامُ يقف له بالمرصاد؛ يقول الشاعر خلف بن فرج الشهير بالسَّمِير - وهو من شعراء الأندلس -:

يا آكلًا كلَّ ما اشتهاهُ وشاتمَ الطَّبِّ والطبيبِ
ثمَارُ ما قد غرستَ تجني فانظرِ السَّقْمَ مِنْ قَرِيبِ
وقال ابن الرومي:

فإنَّ الداءَ أكثرُ ما تراهُ يكونُ من الطَّعامِ أو الشَّرابِ
وهذا عينُ الحقيقة، فإن أكثر الأمراض انتشاراً الآن سببها الطعام والشراب، فكثرة الطعام والشراب سبب للبدانة، والبدانة سبب لكثير من الأمراض كارتفاع ضغط الدم والسكري وغيرها .



● عندما تزور مريضاً في بيته ..

عندما تزور مريضاً في سريره في المستشفى ..

عندما تقوم بجولة الصباح على المرضى ..

عند ذلك كله تذكّر حديث رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يعود مسلماً غدوةً إلا صلّى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عادَهُ عشيةً إلا صلّى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة»^(١).

كلُّ هذا الأجر وأنت تزور مريضاً واحداً؛ فكيف بمن يزور عشرات المرضى كل يوم؟! ..

وتذكّر أيضاً حديث رسول الله ﷺ: «إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع» قيل: يا رسول الله! وما خرفة الجنة؟ قال: «جناها»^(٢) .. أي: ثمرها الذي يُجنى.

انو - أخي الطبيب - وأنت تزور مرضاك في أجنحة المرضى؛ انو بعملك هذا «عيادة المريض» .. لا تجعل زيارتك للمرضى على أنها واجب يقتضيه عقد العمل فقط، فعيادة المريض حق من حقوق إخوانك في الإسلام؛ تغرس في نفوس المرضى حبّ زوّارهم، وحبّ من يدعو لهم، وحبّ من يواسيهم ويخفف من آلامهم ..

انظر إلى ذلك الأجر العظيم عندما تعود مريضاً، عندما تتبسّم إليه، عندما تعامله برفق وحنان ..

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

● إياك أن تصرخ في وجه مريضك . .
 إياك أن تعنّفه وتوبّخه إن لم يطع لك أمراً من الأمور . .
 انصحه برفق ومودة، كرر النصح له في كل زيارة، وابتغ في ذلك
 المثوبة من الله . .

فإن فعلت ذلك نلتَ أجرين :

- أجر النصيحة: فالرسول ﷺ يقول: «الدين النصيحة»^(١).
- وأجر إحياء نفس مسلمة عندما يتماثل للشفاء بإذن الله: ألم يقل الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ [المائدة: ٣٢]؟! .
- أعطِ المريض حقّه من الاستماع إليه وفحصه وتشخيصه .
- ارفق بأهل المريض وتحمل كثرة أسئلتهم .
- احتسب أجرك عند الله حين تبيت في غرفة المناوبة في المستشفى . .
- اجعلها في سبيل الله؛ فلعلك تُشمل بالحديث النبوي: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها»^(٢).
- احرص على عورات المرضى في العيادة، وفي غرفة العمليات، وفي كل مكان .
- اجعل استشارة المريض لك كمثّل من يسأل عن حاجة: «ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»^(٣).



(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه البخاري .



إذا كنت مصاباً بالاكتئاب فلا تجزع؛ فهو مرض كسائر الأمراض، وإليك بعض الوصايا التي تساعدك في التخلص من الاكتئاب، أسأل الله تعالى لكل مريض شفاءً عاجلاً بإذن الله:

- ١ - حدد المشاكل التي تعترضك، وكلما حصرت مشاكلك كنت أكثر قدرة في التغلب عليها.
- ٢ - اقنع بما لديك، ولكن لا تنس أن تكون مثابراً لكي تتقدم في الحياة.
- ٣ - استفد من كل فرصة تأتيك، واجعلها في صالحك وصالح الآخرين.
- ٤ - إذا فشلت مرة، فاجعل الفشل الذي واجهته دافعاً لتحقيق النجاح في المرات القادمة.
- ٥ - لا تجترّ مشاكل الماضي: «ولا تقل: لو أنني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان»^(١).
- ٦ - إياك وجلد الذات لعملٍ لم يكن لك فيه يد.
- ٧ - لا تركز على محور ذاتك وتهمل الآخرين.
- ٨ - لا تصادق من يشكو من الكآبة، ولكن كوّن علاقات اجتماعية مع من يبعث حديثه في نفسك السعادة والتفاؤل.
- ٩ - لا تقارن بينك وبين الآخرين؛ فكل إنسان له قدراته وطاقاته.
- ١٠ - تقبّل صفاتك التي حباك الله بها، وتخلّص من الصفات السلبية واحدة تلو أخرى.

(١) صحيح ابن ماجه: (٦٤).

- ١١ - تجنب إظهار ضعفك للآخرين . . وقوّ ثقتك بالله ثم بنفسك .
- ١٢ - حاول التعرف على سبب اكتئابك . . وحلل المواقف الصعبة التي تعترضك في حياتك .
- ١٣ - ساعد من يطلب منك المساعدة . . فهذا يبعث في نفسك الشعور بلذة العطاء! .
- ١٤ - مارس نوعاً من الرياضة البدنية التي تسليك وتنشطك، وحاول أن تمارس رياضة الاسترخاء من حين لآخر .
- ١٥ - اقرأ من الكتب المفيدة والسهلة الفهم؛ اقرأ سير الصالحين والصابرين، وتعلّم من حياتهم كيف تصبر على المعاناة فتفوز برضوان الله تعالى، فهذا يبعث في نفسك الشعور بالارتياح والتفاؤل .
- ١٦ - شاهد البرامج المفيدة والتي تقرّبك من الله زلفى، وتجنب متابعة نشرات الأخبار والتعليقات على الأخبار في فضائيات متعددة! .
- ١٧ - تجنب التعرض إلى مثيرات التوتر والحزن قدر الإمكان .
- ١٨ - تصدّق على الفقراء ولو بالنزر القليل؛ فالصدقة تدفع من البلاء ما لا تعلم! .





من الناس مَنْ يزهّد في سعادة يومه، يتطلّع دوماً إلى سعادة غده، ويأمل أن يكون غده أسعدَ من يومه الذي هو فيه، فإذا جاء ذلك الغد تحسّر على ما فات، واعتقد أن أمسه كان خيراً من يومه، فيظلُّ شقيّاً في حاضره وماضيه . .

يقول المنفلوطي رَحِمَهُ اللهُ :

«إن استطعت أن تُوقِفَ الشمسَ في كبد السماء . .

وأن تَحولَ بين الأرض ودورانها . .

وأن تمنع الساكنَ أن يتحرك والمتحركَ أن يسكن . .

فاضمن لنفسك استمرار السعادة وبقائها . .» .

ويقول أيضاً :

«ما السعادة في الدنيا إلا لمحاتُ كلمحات البرق تخفق حيناً بعد حين في ظلمات الشقاء، فمن لا يرى تلك الظلمات لا يراها!» . .

والسعادة كالزهرة لا تزال ناضرةً ما قنع رائبها بمنظرها وأريجها، فإذا جاوز ذلك إلى لمسها والعبث بها؛ ذوت وذهبَ جمالها ورؤاؤها!

وحيثما يجد المرء سعادته في مكان - مهما صَغُر شأنه - فهو أجمل القصور وأفخمها .

فالسعادة ينبوع يتفجر من القلب، لا غيث يهطل من السماء . . وإن النفس الكريمة الراضية، البريئة من أدران الرذائل ومطامع الحياة وشهواتها؛ سعيدة حيثما حلّت وأنى وُجدت . .

فمن أراد السعادة فلا يسأل عنها المال والمناصب والقصور، بل يسأل عنها نفسه التي بين جنبيه؛ فهي ينبوعُ سعادته وهنائه إن شاء، ومصدر شقائه وبلائه إن أراد! .

يقول الدكتور مصطفى السباعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

«إذا كنتَ تحبُّ السرور في الحياة، فاعتنِ بصحتك . .
 وإذا كنتَ تحبُّ السعادة في الحياة، فاعتنِ بخُلُقك . .
 وإذا كنتَ تحبُّ الخلود في الحياة، فاعتنِ بعقلك . .
 وإذا كنتَ تحبُّ ذلك كله، فاعتنِ بدينك» . .

ويقول الدكتور رضا عوضة:

«نكون سعداء بقدر ما في قلوبنا من محبة وحنان . .
 ونكون أقوياء بقدر ما في نفوسنا من إيمان . .
 ونكون عقلاء بقدر ما في عقولنا من وعي ورجحان . .
 ونكون أتقياء بقدر ما في أعماقنا من رفق وإحسان . .
 ونكون فضلاء بقدر ما في أرواحنا من تسامح وغفران» . .





أربعون وصيةً للسعادة (١)

السعادة سماء، والشقاء أرض، والهبوط إلى الأرض أسهل من الصعود إلى السماء..

١ - أخلص علمك وعملك لله، واخشَ دوماً من دخول الرياء عليك، فالرسول ﷺ يقول: «إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه»^(١).

٢ - فوِّض أمر نفسك وأولادك إلى الله تعالى، وتوكل عليه - بعد الأخذ بالأسباب - فالله يقيك شرَّ ما يمكر الآخرون، قال الله تعالى حاكياً عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَأَفِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ^(٤٤) فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٤ - ٤٥].

٣ - لا تغترَّ بأعمالك ولو كنت على عبادة الثقيلين، فقد كان الصالحون يرون أنهم لم يقوموا بذرة واحدة من حقوق الله ﷻ!

٤ - أكثر من التوبة والاستغفار ليلاً ونهاراً، لأننا لا نسلم من الذنب في فعل من الأفعال؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

٥ - إياك أن تظلم الآخرين في حقوقهم ولو مقدار إبرة؛ فالرسول ﷺ يقول: «من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»^(٢).

٦ - إذا أصبت بالمرض فُتِّبْ إلى الله، فقد كانت قلوب العارفين تنخلع في

(١) صحيح الجامع: (١٨٥٦). (٢) رواه البخاري.

كل مرض خوفاً من أن يكون ذلك المرض آخر عهدهم في الحياة، فلا يمكنهم التوبة ولا تدارك الحقوق.

٧ - أكثر من العفو والصفح عن كل من آذاك تخلفاً بأخلاق رسول الله ﷺ؛ حيث كان لا ينتقم لنفسه، وإنما ينتقم إذا انتهكت حرمت الله تعالى، ومن تخلف بهذا الخلق الكريم يكون أقرب إلى رحمة أرحم الراحمين، قال الله ﷻ: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

٨ - أحسن الأدب مع الصغير فضلاً عن الكبير، ومع البعيد فضلاً عن القريب، ومع الجاهل فضلاً عن العالم؛ وقد قال الله تعالى لموسى وهارون ﷺ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِيَنَّا﴾ [طه: ٤٤]؛ مع أن فرعون كان من أفسق الكفار.

٩ - اصبر على أذى زوجك؛ فقد كان الصالحون يرون أن ذلك صورة من معاملة العبد لربه، فلما خالف ربه خالفته زوجته!

١٠ - النصيحة حق لإخواننا علينا، فلينصح بعضنا بعضاً، ولا ياب الكبير أن ينصح الصغير وبالعكس، عملاً بقول النبي ﷺ: «الدين النصيحة»^(١).

١١ - لا تتهاون بشيء من الفضائل التي رغبنا الشرع في فعلها؛ يقول ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»^(٢)، ويقول أيضاً: «والكلمة الطيبة صدقة»^(٣).

كان يونس بن عبيد يقول: من استخفَّ بالنوافل استخفَّ بالفرائض.

.. يتبع ..



(٢) رواه مسلم.

(١) رواه مسلم.

(٣) رواه ابن حبان، حديث صحيح.



أربعون وصيةً للسعادة (٢)

١٢ - إياك وأن تجعل سعيك كله للدنيا وتنسى الآخرة؛ فرسول الله ﷺ يقول: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبه هذه في اليم، فلينظر بم يرجع»^(١).

وإذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافس في الدين.

١٣ - لا تغفل عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة على رسول الله ﷺ في كل مجلس تجلسه؛ فالله تعالى يقول: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال ﷺ: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه، إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيامة»^(٢).

١٤ - حاول أن تكون رقيق القلب، تدمع عينك على تفريطك في حق الله تعالى، لعل الله أن يرحمنا جميعاً؛ قال رسول الله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»^(٣).

وكان كعب الأحمار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «لأن أبكي من خشية الله حتى تخرج من عيني قطرة واحدة أحبُّ إلي من أن أتصدق بجبل من ذهب وأنا غليظ القلب».

١٥ - حاسب نفسك على تقصيرك في الطاعات فضلاً عن وقوعك في المعاصي! فإنَّ مَنْ لم يُحاسب نفسه هنا يطول وقوفه للحساب هناك!.

(١) رواه مسلم.
(٢) صحيح الجامع: (٥٧٥٠).
(٣) رواه البخاري.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَانظُرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِعَدِّهِ﴾ [الحشر: ١٨].

١٦ - تهيئاً للوقوف بين يدي الله تعالى في كل صلاة من أول الوقت، واستشعر عظمة الله تعالى شيئاً فشيئاً من حين ينادى بحي على الصلاة حتى تصل إلى الحضور مع الله تعالى.

١٧ - لا تمدح نفسك؛ فالله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [التجم: ٣٢]، وإياك أن تتظاهر بالصلاح وأنت على خلاف ذلك.

١٨ - زد من تواضعك كلما ازددت قريباً من الله تعالى، لا تعجب بأعمالك وتباهى بها بين الناس، كان الحسن البصري رضي الله عنه يقول: «لو أن عمل ابن آدم كله كان حسناً لأهلك نفسه من العجب، ولكن الله تعالى ابتلاه بشهود النقص فيه رحمة به!».

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»^(١).

١٩ - لا تسرف حتى في الحلال، ولا تكسب درهماً إلا من حلال، فمن أحكم أكل الحلال فليس لإبليس عليه سبيل؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً»^(٢).

٢٠ - اسأل عن أحوال أقربائك وجيرانك، وتصدق بما يحتاجون إليه من طعام وثياب وغيرها، وأكثر من الصدقات ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً... ومن لم يجد شيئاً من المال والطعام، تصدق بكف أذاه عن الناس، وتحمل هو أذاهم.

... يتبع ...

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.



أربعون وصية للسعادة (٣)

٢١ - لا تغفل عن مكائد الشيطان؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

كان الفضيل بن عياض يقول: «إن إبليس إذا ظفر من ابن آدم بإحدى ثلاث قال: لا أطلب منه غيرها: إعجابه بنفسه، واستكثاره عمله، ونسيانه ذنوبه!». .

٢٢ - توقّف عند كل فعل أو قول حتى تعرف ميزانه على الكتاب والسنة، فالرسول ﷺ يقول: «إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(١).

٢٣ - لا تنسَ شكر الله، فكل ما تشكر الله به إنما هو من جملة نِعَمه عليك! كان سهل التستري يقول: أداء الشكر لله تعالى أنك لا تعصيه بنِعَمه عليك، فإن جوارحك كلها من نِعَمه عليك؛ فلا تعصه بشيء منها! .

٢٤ - استرْ إخوانك من المسلمين، وحافظ على حرمتهم، وإياك وانتهاك حرمت الله؛ فإن الله يغار إذا انتهكت حرماته نصره للشريعة المطهرة. . يقول ﷺ: «اتقِ المحارم تكن أعبد الناس، وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً»^(٢).

٢٥ - كن عاقلاً حكيماً، كان قتادة يقول: الرجال ثلاثة: رجل، ونصف رجل، ولا شيء! . .

(١) السلسلة الصحيحة، للألباني: (٢٧٣٥).

(٢) صحيح الجامع: (١٠٠).

فالرجل: هو من كان له عقل ورأي يُتَنَفَعُ به .

ونصف الرجل: هو الذي يشاور العقلاء ويفعل برأيهم .

والذي لا شيء: هو الذي لا عقل ولا رأي له، ولا يشاور أحداً! .

٢٦- إذا لم يكن كلامك خيراً فالصمت أفضل، يقول ﷺ: «من حَسُنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكَهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»^(١)، ومن كثر كلامه كثر خطيئته، واحذر الغيبة في المجالس، لئلا يصير مجلس إثم .

٢٧- احذر من إفشاء سر إخوانك أو نقل كلامهم، ولا تبليغ أحداً بما سمعته في حقه؛ فقد قالوا: قلوب الأحرار قبور الأسرار .

٢٨- اشتغل بعيوبك عن عيوب الناس واستر عيوب الآخرين، قال ﷺ: «من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة»^(٢) .

٢٩- تذكّر حرمة المسلمين، فليس ما يحدث من قتل أو انتهاك لحرّمات المسلمين من الإسلام في شيء، فالرسول ﷺ يقول: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»^(٣) .

٣٠- اصنع المعروف مع من حولك، وأدخل السرور عليهم.. كان محمد بن الحنفية يقول: صانع المعروف لا يقع، وإذا وقع لا ينكسر! .

٣١- كن سخياً معطاءً في الخير وخاصة مع أهلك؛ فقد كان الصالحون يعطون المال الجزيل ولا يرون لهم فضلاً على أحد، وكان أحدهم يشق إزاره نصفين ويعطي أخاه نصفه! .

.. يتبع ..

(١) صحيح الترمذي: (٢٣١٧) .

(٢) صحيح ابن ماجه: (٢٠٧٩) .

(٣) رواه مسلم .



أربعون وصيةً للسعادة (٤)

- ٣٢ - أكرم ضيفك، واخدمه بنفسك، فالرسول ﷺ يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه»^(١).
- ٣٣ - إياك والغيبة والنميمة؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].
- والنميمة: هي نقل الكلام على سبيل الإفساد، والرسول ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتات»^(٢) يعني: نَمَاماً.
- ٣٤ - اترك معاداتك للناس ولا تقابلهم بسوء؛ روي عن داود عليه السلام: «يا بني، لا تستقل بالعدو الواحد، ولا تستكثر أن يكون لك ألف صديق».
- ٣٥ - مُر بالمعروف وانه عن المنكر؛ فقد ظن بعض الناس أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون إلا ممن كان منزهاً من العيوب، مُطَهَّراً من أدران المعاصي والذنوب، وهذا ظن خاطئ، فلو ظن كل إنسان ذلك، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر: ﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].
- ٣٦ - اجتنب الجلوس في السوق لبيع أو شراء إلا بعد معرفة أحكام الشرع في المعاملات، ولا يشغلك ذلك عن أعمال آخرتك؛ فكل ما يشغل عن الله تعالى فهو شؤم على صاحبه في الدنيا والآخرة.. كان الإمام مالك رحمته الله يأمر الأمراء فيجمعون التجار والسوقة ويعرضونهم عليه؛ فإذا وجد أحداً منهم لا يفقه أحكام المعاملات ولا يعرف الحلال من

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

الحرام؛ أقامه من السوق وقال له: تعلّم أحكام البيع والشراء ثم اجلس في السوق، فإن من لم يكن فقيهاً أكل الربا شاء أم أبى..

٣٧ - واظبْ على قيام الليل صيفاً وشتاءً، عملاً بقول النبي ﷺ: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطرقة للداء عن الجسد»^(١).

٣٨ - عوّد نفسك على الخوف من الله تعالى، كان الحسن البصري يقول: «من علامات مَنْ غرق في الذنوب: عدم انشراح صدره لصيام النهار وقيام الليل».

٣٩ - إذا رأيت جنازة تذكّر الموت وسكراته وسوء الخاتمة، قال أحدهم: «كنا نشهد الجنائز ولا نعرف من نعزي؛ لأن الحزن قد عمّ الناس كلهم، وذلك لأنهم كانوا يتذكرون جنازة أنفسهم، فلا يكون على الميت ولكن على أنفسهم».. يقول الشاعر:

خرجتُ من الدُّنيا وقامتُ قيامتي غداةً يقلُّ الحامِلون جنازتي
وعجّلَ أهلي حفرَ قبري وصيَّروا خروجي وتعجيلي إليه كرامتي
كأنَّهم لم يعرفوا قُطُّ صورتي غداةً أتى يومي عَلَيَّ وليلتي

٤٠ - اسأل الله تعالى حسن الختام، فمن الناس من يُختم لهم بسوء فيكون من المحجوبين عن الله في النار؛ فالرسول ﷺ يقول: «الأعمال بالخواتيم»^(٢).

فاللهم أحسن خاتمتنا، وثبت قلوبنا، ونسألك سعادةً في الدارين.



(١) صحيح الجامع: (٤٠٧٩).

(٢) رواه البخاري.



زوجات الرسول ﷺ (١) خديجة بنت خويلد رضى الله عنها سيدة نساء قريش

أعظم نساء قريش شرفاً، وأكثرهن مالاً، كانت على موعد مع القدر حينما اختارت محمداً ليخرج في تجارتها.. وكانت فرحة خديجة كبيرة بتجارتها التي ربحت ضعف ما كانت تربح.

وإذا كانت قد رفضت في كل مرة زعماء قريش الذين تقدموا إليها، فإنها كانت تحسُّ في نفسها رغبة ملحة أن تتقدم هي لمحمد وتطلب منه أن يتزوجها! ولكن كيف السبيل إلى ذلك وأعراف القوم تأبى؟..

ذهبت إلى إحدى صديقاتها نفيسة بنت منية تبثها ما في نفسها، وتطلب مشورتها، فراحت نفيسة إلى محمد ﷺ تتعرف رأيه، فقالت: ما يمنعك أن تتزوج يا محمد؟ قال: **ما لدي ما أتزوج به!**

قالت نفيسة: فإن كُفيت ذلك، ودُعيت إلى الجمال والمال والشرف، ألا تجيب؟ فسأل محمد ﷺ: **ومن هي؟** قالت نفيسة: خديجة!

وهكذا زُفَّت خديجة بنت خويلد بنت الأربعين إلى محمد ﷺ سيد شباب قريش ابن الخامسة والعشرين.

وعاش الزوجان في حب ووثام، فولدت له القاسم ثم زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة، ثم ولدت له في الإسلام عبد الله.

كان محمد ﷺ يأخذ السويق والماء ويذهب إلى غار حراء يتعبد ويتفكّر في ملكوت الأرض والسماء، وكانت خديجة تؤمّن له الهدوء الكامل، تأخذ له الطعام إلى الغار إذا أبطأ عنها.

(١) فصول زوجات الرسول ﷺ مستقاة من: نساء النبي، لبنات الشاطي؛ وصحبايات، للدكتورة لينا الحمصي؛ وأمّهات المؤمنين، للأستاذ مصطفى الطحان؛ وزوجات الرسول، للدكتور محمود الصواف.

جاء الحق محمّداً وهو في غار حراء، فرجع يرجف فؤاده ودخل على خديجة، فقال: «زملوني زملوني!». .

وتواجه خديجة العظيمة الموقف الكبير بمفردها، فلا تجزع ولا ترتبك، بل تخاطب الزوج الخائف وتقول: «كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق». . ولا تكتفي بذلك التطمين لتثبيت القلب الخائف، فتأخذ بيده إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، فيقول له ورقة: هذا هو الناموس الأكبر نزله الله على موسى، ليتني كنت فيها جذعاً فأنصرك حين يخرجك قومك، ولئن أدركني يومك لأنصرك نصراً مؤزراً.

وعندما فرضت قريشُ الحصارَ في شُعب بني هاشم تركت خديجة دارها، وانتقلت مع محمد ﷺ إلى الشُّعب، تقاسي ما يقاسي زوجها وأتباعه معه لثلاث سنوات، بل كانت تدبر أمر إيصال الطعام إلى الشُّعب المُحاصِر، وتشرف على توزيعه على المُحاصِرين.

كان رسول الله ﷺ دائم الذكر لها والحنين إليها، يتحدث بأيامها، ويبر صواحبتها، ويتهلل لمن يراه من أهلها.

ومرة قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: قد أبدلك الله خيراً منها. . فقال: «ما أبدلني الله خيراً منها، وقد آمنتُ بي إذ كفر بي الناس، وصدَّقْتُنِي إذ كذَّبني الناس، وواستني بمالها حين حرمني الناس، ورزقني الله أولادها وحرمني أولاد الناس»^(١).

توفيت السيدة خديجة رضي الله عنها قبل الهجرة إلى المدينة المنورة بثلاث سنوات، ولها من العمر خمس وستون سنة.



(١) مجمع الزوائد، للشوكاني، وإسناده صحيح.



أسلمتُ وزوجها ابن عمها السكران بن عمرو في مكة، وتعرضا - مثل بقية المؤمنين - لأشد صنوف العذاب والاضطهاد.

هاجرا مع ستة أشخاص من بني عامر إلى الحبشة، خرجوا من ديارهم وأموالهم، يركبون أهوال البحر لينجوا بدينهم. . وتمرّ الأيام ثقيلة على مهاجري الحبشة بين قوم غرباء عنهم، فقرر البعض منهم العودة إلى مكة، ومنهم السكران وزوجه ليلاقيا ما يلاقيه المسلمون فيها من أذى وعذابٍ وحصار، وما أن استقر المقام بالأسرة المجاهدة في مكة حتى توفي السكران، وبقيت إلى جانبه زوجه سودة تبكيه، فقد كان ابن عمها ورفيق دربها في الإيمان والهجرة، وهاهو يترك أرملته من بعده، وقد أسلمتها محنة الاغتراب إلى محنة الترمّل.

ومن أهم الأحداث التي وقعت في تلكم الفترة وفاة أبي طالب عم رسول الله ﷺ، ووفاة السيدة خديجة رضي الله عنها.

كان الصحابة يرقبون آثار الحزن على وجه النبي ﷺ، فيشفقون عليه من تلك الوحدة، ويودون لو يتزوج، لعلّ في الزواج ما يؤنس وحشته بعد أم المؤمنين الراحلة.

أخرج الطبراني: عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما توفيت خديجة رضي الله عنها قالت خولة بنت حكيم رضي الله عنها: يا رسول الله ألا تتزوج؟..

قال: «ومن؟» قالت: إن شئت بكرةً وإن شئت ثيباً..

قال: «فمن البكرة؟» قالت: ابنة أحب خلق الله إليك: عائشة بنت أبي

بكر.

قال: «فمن الثيب؟» قالت: سودة بنت زمعة.

قال: «فاذهبي فاذكريهما علي».

ولكن هل تستطيع سودة أن تملأ من فؤاد النبي ﷺ وأبنائه وبيته ما كانت تشغله خديجة؟.. لم يتصور ذلك أحد..

فقد كانت سودة امرأةً مُسنّة في نحو ست وستين سنة، ولكنها من المؤمنات المهاجرات، ولو عادت إلى أهلها لأكرهوها على الشرك أو عذبوها عذاباً شديداً، فاخترت النبي ﷺ كفالتها.. ولقد قابل الناس هذه الالتفاتة من الرسول الكريم بالإعجاب والثناء، وخفف قومها من غلوائهم في عداوة الرسول ﷺ.

وقدّمت سودة كل ما في وسعها لخدمة النبي ﷺ والسهر على راحته ورعاية أبنائه ليتفرغ هو إلى جهاده وأداء رسالته.

ولم يتزوج معها ﷺ نحواً من ثلاث سنين أو أكثر، حتى دخل بعائشة رضى الله عنها.

وخشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، لا تطلقني وأمسكني واجعل يومي لعائشة، ففعل، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]^(١).. وهبت يومها لعائشة، رعاية لقلب رسول الله ﷺ.

وعمرت سودة بعد وفاة النبي ﷺ سنين عدّة، حتى وافاها أجلها في آخر زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فلقيت ربها راضية مرضية.



(١) صحيح الترمذي: (٣٠٤٠).



الصَّديقةُ بنتُ الصَّديقِ ﷺ (١)

دخلت عائشةُ بنتُ أبي بكرِ الصَّديقِ ﷺ التاريخ من أوسع أبوابه . . عاشت في بيت النبي ﷺ زوجةً كريمةً محبوبةً ، وشاهدةً ذكيةً على ميراث النبوة تفتبس وتحفظ وتستوعب كل ما ترى ، لتكون بعد ذلك معلماً لكل من أراد أن يتعرف على أحوال النبي ﷺ في بيته وأهله .

وفي سيرتها عبر ودروس لا حصر لها تحتاج إليها كل امرأة مسلمة . . إنها عائشةُ التي رآها النبي ﷺ في المنام ثلاث ليال ، ورأى ملكاً كريماً يسوقها إليه وهو يقول : هذه امرأتك ، فيجيب ﷺ : إن يكن هذا من عند الله يُمضه .

كم تهلل وجهه ﷺ فرحاً وانتشى طرباً لتحقيق تلك الرؤية! فقد تمت الخطوبة المباركة على صداق قدره (٥٠٠) درهم فضة ، وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات .

وما أن استقر المقام في المدينة ، وأتم رسول الله ﷺ بناء المسجد والمنزل الجديد ، حتى تحدّث أبو بكر رضيه الله عنه إلى محمد ﷺ في إتمام الزواج الذي عقده في مكة منذ ثلاث سنين ، وتصف عائشة حفل زفافها فتقول :

جاء رسول الله ﷺ بيتنا ، فاجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء ، فجاءتني أمي وأنا في أرجوحة ، فأنزلتني ثم سوت شعري ومسحت وجهي بشيء من ماء ، ثم أقبلت تقودني ، فأدخلتني ورسول الله ﷺ جالس على سرير في بيتنا ، وقالت : هؤلاء أهلك ، فبارك الله لك فيهن ، وبارك لهن فيك .

ووثب القوم والنساء فخرجوا ، وبنى بي رسول الله ﷺ في بيتي ، ما نُحرتُ عليّ جزوراً ولا ذُبحت شاة .

وانتقلت عائشة رضي الله عنها بعد ذلك إلى بيتها الجديد، الذي لم يكن أكثر من حجرة صغيرة بنيت حول المسجد من اللبن وسعف النخيل، ووضع فيها فراش من آدم حشوه ليف، ليس بينه وبين الأرض إلا الحصير، وعلى فتحة الباب أسدل ستاراً من الشعر.. في هذا البيت البسيط المتواضع بدأت عائشة حياة زوجية حافلة.

اكتمل نمو عائشة رضي الله عنها في بيت النبوة، ونضجت شخصيتها وتدرجت بين عيني الرسول صلى الله عليه وسلم، من صببية يأتيها زوجها بصواحبها ليلعبن معها، أو تطلُّ على نفر من الحبشة يلعبون الحراب في المسجد، إلى شابة ناضجة مجربة، تسألها امرأة في مسألة دقيقة من مسائل الزينة والتجميل، فتجيبها: إن كان لك زوج فاستطعت أن تنزعي مقلتيك فتضعيهما أحسن مما هما فافعلي!

وحديث الإفك الذي تناول بيت النبوة الطاهر الكريم قد كلّف أظهر النفوس في تاريخ البشرية والأمة المسلمة آلاماً لا تطاق.

عائشة رضي الله عنها البريئة، كانت تدرك أن الله تعالى مبرئها، ولكنها لم تتوقع أن يُنزِلَ الله تعالى في شأنها قرآناً يُتلى.. وهكذا رفع القرآن من مكانة المرأة، واهتمَّ رب العزة لقضيتها، وأنزل فيها قرآناً يتعبدُّ المسلمون بقراءته إلى ما شاء الله.. واستعلت عائشة رضي الله عنها بالوسام القرآني، وكانت تفاخر أبدأً بقولها: أنا التي أنزلت براءتي من السماء.

وقدّم لنا النبي صلى الله عليه وسلم في حبه لزوجته عائشة رضي الله عنها سلوكاً عظيماً يجب أن نفتدي به، فقد شاع وانتشر بين الصحابة جميعهم، ومع هذا كان صلى الله عليه وسلم يبتسم ويقول بصراحة: «إني قد رُزقتُ حبّها»..

.. يتبع ..





الصَّدِيقَةُ بِنْتُ الصَّدِيقِ ﷺ (٢)

كانت عائشة رضي الله عنها وهي في بيت النبوة مسرورة مبتهجة بحظوتها عند النبي ﷺ، ولكن كان هناك دائماً ما يعكّر صفوها: الغيرة الشديدة التي كانت تتصف بها، رغم أن أغلب النساء - وربما كل النساء - يحملن طبع الغيرة بدرجات متفاوتة.

كانت تغار من الحب العميق الذي كان يسكن سويداء قلب النبي ﷺ لزوجته الراحلة خديجة رضي الله عنها، تغار من شدة وفائه لها ولكل من يمت لها بقرابة أو صداقة، ولو كانت خديجة رضي الله عنها راقدة بعيداً تحت الثرى!..

وازدادت غيرتها شدة عندما توافدت على بيت النبوة زوجات أخريات شاركنها حصتها في كل شيء!.. لم تستطع عائشة بما يفيض به قلبها من حب لزوجها الرسول ﷺ أن تكتم غيرتها، رغم تيقنها من محبة النبي ﷺ لها وحظوتها عنده، ورغم معرفتها أنها البكر الوحيدة بينهم.

أضمت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في بيت الرسول الكريم ﷺ أحلى أيام عمرها، حتى إذا ما مرض ﷺ مرض الموت، طابت نفوس أمهات المؤمنين أن يمرض في بيتها لما يعلمن من حبه لها.. سهرت عائشة رضي الله عنها على الحبيب تمرضه بودّ وحب، ومات الرسول ﷺ ورأسه على صدر عائشة رضي الله عنها بين سحرها ونحرها - والسحر هو الرئة - وكان عمرها آنذاك ثماني عشرة سنة.

لم ينتقل الرسول ﷺ إلى جوار ربه حتى خلفها مرجعاً وحجة يلجأ إليها الكبار والصغار متعلمين مستفتين.

كان الناس يرون علم عائشة رضي الله عنها قد بلغ ذروة الإحاطة والنضج في كل ما اتصل بالدين.. رجع إلى قولها كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وابنه وأبي هريرة وابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم.. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحيل

عليها كل ما تعلق بأحكام النساء أو بأحوال النبي ﷺ البيتية، لا يضارعها في هذا الاختصاص أحد من النساء على الإطلاق.. يقول الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: ما أشكل علينا أمر - نحن صحابة رسول الله ﷺ - فسألنا عائشة رضي الله عنها، إلا وجدنا عندها فيه علماً.

وقال الزهري: لو جُمِعَ عِلْمُ الناس كلهم وأمهات المؤمنين؛ لكانت عائشة رضي الله عنها أوسعهم علماً.

روي عنها من الأحاديث النبوية الشريفة في الكتب الستة وحدها (٢١١٠) أحاديث.. فقد أعدَّ النبي ﷺ عائشةً لتكون خير مصدر يرجع إليه المسلمون من بعده.

كانت عائشة رضي الله عنها زعيمة الأخذين بنصرة المرأة، والمنافحين عنها بلا منازع.. وإليها يرجع الفضل الأكبر - بعد رسول الله ﷺ - في إعظام الناس المرأة الإعظام اللائق، حتى ظهر كثير من اللائي طمحن إلى اقتفاء أثرها في الشجاعة الأدبية والجرأة.

فإذا أَحَبَّتِ النساءُ أن يسألنَ عن علم، أو مسألة، توجَّهنَ إلى عائشة رضي الله عنها، وإذا أَحَسَّتِ المرأةُ بظلم زوجها، جاءت عائشة رضي الله عنها تستفتيها وتطلب نصرتها.

وأخيراً: فهذه هي السيدة العظيمة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها أحب الناس إلى قلب رسول الله ﷺ، نزل عليه الوحي في بيتها، ودفن في حجرتها، وتركها منارة للناس تعلمهم، وللكبار تصوُّبهم، وللخلفاء تنصح لهم بالحكمة والموعظة الحسنة.. أدت الرسالة وظلت تقوم بدورها خير قيام، إلى أن وافتها المنية سنة (٥٧هـ)، عن عمر يناهز السادسة والستين..

فَلِكِ مَنَّا يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَرْكَى سَلامٍ وَأَطهرَ تَحِيَّةٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.



حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَافِظَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ



إنها السيدة الأرملة الشابة حفصة بنت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . .

شهد زوجها خنيس بن حذافة بدرًا وأحدًا، ثم مات بعدها إثر إصابته في غزوة أحد، وخلف وراءه تلك الشابة الصوامة القوامه وهي في الثامنة عشرة من عمرها . . .

ضاق صدر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على ترمّل ابنته، وراح يفكر في اختيار زوج لها تأنس إليه . . وقع اختياره على أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فحدثه وعرض عليه أن يتزوجها، ولكن أبا بكر أمسك ولم يجبه بشيء! ذهب إلى بيت عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وكانت زوجته رقية بنت محمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد توفيت بعد غزوة بدر - عرض عليه ابنته حفصة، فاعتذر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . . .

ازداد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ همًّا وغمًّا برفض عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد رفض أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فانطلق إلى رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وشكا حاله وما كان من أمر أبي بكر وعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . .

فتبسّم النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: «يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة» .

وتهلل وجه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهذا الشرف العظيم، وباركت المدينة زواج الرسول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من حفصة في السنة الثالثة للهجرة . .

وانضمت السيدة حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى زوجات النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكانت هناك سودة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وحدث يوماً أن خلا بـ مارية في بيت حفصة، فملأت الغيرة قلبها، فلما انصرفت مارية دخلت حفصة على النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقالت له: لقد رأيت من

زَيْنَبُ بِنْتُ خُرَيْمَةَ أُمُّ الْمَسَاكِينِ



إنها صاحبة الأومتين: أم المؤمنين، وأم المساكين.. .
فقد كانت تسمى أم المساكين لرحمتها إياهم ورقتها عليهم.
فلم يمضِ وقت طويل على دخول السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنها بيت النبوة حتى دخلته رابعة أمهات المؤمنين في السنة الثالثة من الهجرة.
كانت زينب رضي الله عنها زوجة لأحد أبطال بدر عبيدة بن الحارث رضي الله عنه.. .
وقد استشهد في مبارزة بدر، فحُمِلَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونظر إليه وهو يقول: أَلَسْتُ شَهِيداً يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم بتلك البشري السعيدة التي اصطحبها معه إلى جنة الفردوس: «أَشْهَدُ أَنَّكَ شَهِيدٌ».. .
وكانت حين استشهد زوجها تقوم بواجبها الإسلامي تجاه إخوتها من المجاهدين، ولم يُلْهَها استشهاد زوجها عن القيام بواجبها، حتى كتب الله النصر للمسلمين.. .
ولما علمَ المصطفى صلى الله عليه وسلم بحالها واستبسالها، وصبرها وثباتها، وأنه لم يعد هناك من يعولها؛ أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجزيها على إسلامها وجهادها، فخطبها لنفسه وتزوجها.. .
ولم تكد تمضي شهور قليلة - لا تتجاوز ثمانية أشهر - حتى وافتها المنية وانتقلت إلى الرفيق الأعلى وهي في ريعان الشباب لا يتجاوز عمرها الثلاثين.
وكانت أول زوجة من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم تُدفن في البقيع.
وهي ثاني زوجة من زوجاته صلى الله عليه وسلم تموت في حياته بعد السيدة خديجة

بنت خويلد رضي الله عنها، التي دفنت بالحجون في مكة .. ولم يمت في حياته صلى الله عليه وسلم
 من أمهات المؤمنين سوى خديجة رضي الله عنها، وزينب بنت خزيمة رضي الله عنها ..
 نالت شرف الزواج من النبي صلى الله عليه وسلم منصرفه عن شواغل الحريم بما كان
 يشغلها من أمر المساكين ..

فسلام عليك يا أم المؤمنين ..

سلام عليك يا أم المساكين ..

سلام عليك في الأولين والآخرين ..



أم سلمة هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة، وزوجها الذي مات عنها هو أبو سلمة، عبد الله بن عبد الأسد المخزومي.

وأبو سلمة وزوجه من السابقين الأولين، ومن أصحاب الهجرتين: هاجرا أول الأمر إلى الحبشة، وهناك رزقا ابنتهما سلمة.

ثم عادا إلى مكة، ولما أذن النبي ﷺ لأصحابه في الهجرة إلى يثرب عزم أبو سلمة وزوجه على الهجرة إلى الموطن الجديد. ولكن جاء رجال بني المغيرة، وأمسكوا بالمرأة، وجاء بنو عبد الأسد (رهط الزوج) ونزعوا ابنها منها.

وأصبحت أم سلمة وحيدة: زوجها في يثرب، وابنها عند قبيلة زوجها، وهي محبوسة في مكة، تقول: كنت أخرج كل غداة إلى الأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي، سنة أو قريبا منها، ثم ردوا ابنها إليها، فالتحقت بزوجها مهاجرة إلى المدينة المنورة، فكانت أول طعينة في الإسلام.

وفي المدينة المنورة شهد أبو سلمة مع رسول الله ﷺ غزوة بدر، ثم شهد يوم أحد، وأبلى فيه بلاء مشهوداً، وفي المدينة توفي أبو سلمة من آثار جرح أصابه في أحد.

مات الصحابي الجليل ابن عمته رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة: أبو سلمة، وترك وراءه أرملته ذات الهجرتين أم سلمة؛ فكيف يمكن أن تُكافأ هذه المرأة العظيمة؟ هل تترك لترملها، وأولادها، وكبر سننها؟.. أم تُضمّ هي ومن تعول إلى بيت النبوة، فتأمن بعد خوف، وتأنس بعد حزن لم يفارقها منذ أسلمت، وتصبح أخيراً أمّاً للمؤمنين!..

فعندما انقضت عدتها بعث إليها أبو بكر رضي الله عنه يخطبها فلم تتزوجه،

وخطبها النبي ﷺ إشفاقاً عليها ورحمة بأيتامها أبناء وبنات أخيه من الرضاعة.

فقلت له: مثلي لا يصلح للزواج، فإني تجاوزت السن، فلا يُولد لي، وأنا امرأة غيور، وعندني أطفال.. فأرسل إليها النبي ﷺ خطاباً يقول فيه: **«أما السنُّ فأنا أكبر منك، وأما الغيرة فيذهبها الله»**.

وهكذا استقرت أم سلمة في بيت النبي ﷺ، وأخذت دورها في حياة الدعوة وحياة القائد العظيم.

وفي العام السادس للهجرة صحبت أم سلمة رسول الله ﷺ في رحلته إلى مكة المكرمة معتمراً، وهي الرحلة التي صدّت فيها قريش محمداً وأصحابه عن دخول البلد الحرام، وتم بعد ذلك صلح الحديبية بين النبي ﷺ وقريش.

أصاب الصحابة من توقيع هذا العهد همّ عظيم، ظناً منهم أنه يبخر المسلمين حقهم، واستفحل الأمر إلى حد يندر بالخطر، فقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه بقوله: **«قوموا فانحروا واحلقوا وحلّوا»**.. فلم يُجبهُ أحد إلى ذلك، فرددها ثلاث مرات فلم يفعلوا، فدخل على أم سلمة رضي الله عنها وهو شديد الغضب، فقالت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: **«هلك المسلمون! أمرتهم فلم يمتثلوا!»** فقالت: يا رسول الله! لا تلمهم فقد أصابهم أمر عظيم، ثم أشارت عليه أن يخرج ولا يكلم منهم أحداً، وينحر بُدنه ويحلق رأسه.. فخرج فلم يكلم أحداً حتى قام فنحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه.. فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا.

سلام عليك يا أم سلمة! فقد أشرت على الرسول ﷺ برأي سديد؛ أنقذ الموقف وحلّ عقدة القوم.

وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين رضوان الله عليهم أجمعين.



زينت بنت جحش رضي الله عنها (١)

هي الشابة الشريفة ابنة عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم . .

أما زوجها الأول فزيد بن حارثة .

وزيد هذا كان عبداً عند خديجة بنت خويلد رضي الله عنها قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، فوهبته خديجة لزوجها محمد بن عبد الله ليصبح عبداً له .

بحث عنه أبوه حارثة بن شراحيل حتى وجده عند محمد بن عبد الله ، فأراد اقتدائه بالمال ، ولكن زيدا رفض أن يترك سيده ، وقال لوالده الذي ذهل - أن ابنه يفضل العبودية على الحرية - : «إني رأيت من هذا الرجل شيئاً عجيباً ولن أفارقه أبداً» . . عند ذلك أخذ محمد بن عبد الله بيد زيد ودار في دور قريش يشهدهم أنه قد تبناه ، ومنذ ذلك اليوم وزيد يدعى بـ «زيد بن محمد» .

كان زيد أول من أسلم من الموالي ، وتزوج أم أيمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ولدت له ابنتهما أسامة ، الفتى الذي كان يلقبه النبي الكريم بالحَب ابن الحَب ، أسامة الذي صار فيما بعد أصغر قائد يعينه النبي صلى الله عليه وسلم على رأس جيش سيتوجه إلى بلاد الشام لفتحها .

وشيء ما يحدث في السنة الرابعة من الهجرة كان له في حياة زيد أثر عميق ، استدعى النبي صلى الله عليه وسلم زيدا على عجل ، وكان زيد آنذاك في التاسعة والأربعين من عمره ، وعرض عليه أن يتزوج من ابنة عمه النبي صلى الله عليه وسلم زينب ، فوجئ زيد بهذا العرض ، لكنه رضخ لأمر النبي صلى الله عليه وسلم فلسان حاله ومقاله هو دائماً : سمعاً وطاعة يا رسول الله .

كان خائفاً من الإقدام على تلك الخطوة ، لما يعرفه من استحالة زواج كهذا حسب العادات العربية ؛ إذ لا تكافؤ بينه - وهو عبد مُعتق فقير - وبين زينب القرشية الهاشمية .

أما زينب بنت جحش رضي الله عنها فكان وضعها أصعب، شعرت بسهامٍ تصيب كبرياءها وتطعننها في الصميم، العرب الذين كانوا يتفاخرون بالأحساب والأنساب، والتميز بين الأسياد والعبيد، لم يكونوا يألفون أو يقبلون زواجا كهذا، فكيف لزينب إذن أن تخرق هذه العادات؟! ..

أمام هذه المشاعر بدت لزينب رغبة جادة بالرفض؛ المرأة الحسنة ذات الحسب والنسب، أمرها الإسلام أن تتزوج من عبد معتق أسود أو شبه أسود، أفتس الأنف، ليس بذي ثروة، ولكنه مسلم تقي نقي! .

بعض الروايات تذكر أن زينب رضي الله عنها وأخواها (عبد الله وحمنة) رفضا هذا الزواج بشدة، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وأن زينب وأهل زينب استجابوا لله ورسوله بعد نزول تلك الآية، فرضوا بزيد زوجاً.

وليس بعد الأمر الرباني إلا السمع والطاعة، ودخل زيد بزينب، فوجد امرأة مصروفة الفؤاد عنه، تسلّمه جسدها، وتحرمه العطف والتقدير، فثارت رجولته وقرر ألا يبقى معها، وتدخّل النبي صلى الله عليه وآله بين الحين والحين لإصلاح ذات البين دون جدوى.

حاولت زينب رضي الله عنها جهدها أن تكون زوجة صالحة، وأن تكون عند حسن ظن النبي صلى الله عليه وآله بها، لكنها لم تستطع أن تحب زيدا ولم تستطع أن تنسى أنها كانت مطمح وجهاء القوم وساداتهم، فكانت تسيء في بعض الأحيان إلى زيد فتجفوه وتعالى عليه، وكان زيد يحسُّ منها ذلك العالي، فانقلبت حياة الزوجين إلى جحيم لا يطاق! ..

.. يتبع ..



زينب بنت جحش رضي الله عنها (٢)

وبعد سنة كاملة من المعاناة تيقن زيد رضي الله عنه أنه لن يستطيع أن يكمل حياته مع زينب رضي الله عنها، ففكر أن يطلقها .

هرع إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو إليه أمره، ويخبره بما عقد عزمه عليه، لكن النبي صلى الله عليه وسلم منعه من ذلك .

وعندها أوصى الله نبيّه أن يدع زيدا يطلّق زوجته، وأن يتزوجها هو بعد انتهاء عدتها منه . . ولكن هل يتزوج الرجل من كانت امرأة ابنه؟! إن ذلك أمر ما كانت تقبله أعراف العرب! . .

اعترى الرسول صلى الله عليه وسلم همّ مقلق، وساوره التوجس من الإقدام عليه، بل أخفاه في نفسه خوفاً من مغبته، فسيقول الناس: تزوج امرأة ابنه، وهل تحل؟! ولكن هذا الذي سيقوله الناس هو ما أراد الله هدمه، ويجب على النبي صلى الله عليه وسلم أن ينقذه دون تهيب . . وترث النبي صلى الله عليه وسلم في إنفاذ أمر الله، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فعندما جاء زيد يشكو امرأته ويعرض نيته في تطليقها، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أمسك عليك زوجك واتق الله» .

عند ذلك نزل الوحي يعتب عليه تصرفه، ويحضّه على إمضاء رغبة زيد في فراق امرأته، ويكلفه بتزوّجها ولو قال الناس: تزوّج امرأة ابنه! فإن ادعاء النبوة لون من التزوير، ينبغي أن يُقلعوا عنه، وليكن عمل الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه أول ما يهدم مآثر الجاهلية في العرف الشائع .

وبذلك أبطل الإسلام عادة التبني التي كانت سائدة بين الجاهليين، والتي كانت تخلط الأنساب، وتضيع الأصول، كما أبطل الاعتقاد الذي كان سائراً بينهم حول حرمة زواج المتبني من زوجة المتبني عند طلاقها منه .

إن الذي أخفاه النبي ﷺ في نفسه تأذيه من هذا الزواج المفروض، وخوفه من لغط الناس عندما يجدون نظام التبني قد انهار.

إن هذا التفسير هو الذي يليق بمقام النبي ﷺ، فمن ذا الذي كان يمنع رسول الله ﷺ أن يتزوج بزینب وهي قریبته؟! ..

بعد هذه التجربة القاسية ألا يحق لها أن تطمئن وتستريح وقد أصبحت أمّاً للمؤمنين في بيت رسول الله ﷺ، وهي تدلّ (تدلل) على صاحباتها أمهات المؤمنين وتقول: «أنا أكرمكَنّ وليّاً، وأكرمكَنّ سفيراً، زوجكَنّ أهاليكَنّ، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات!». .

كان عمر زينب رضي الله عنها آنذاك (٢٥) عاماً، وقيل: (٣٥) عاماً، وكان زواجها من النبي ﷺ في السنة الخامسة للهجرة.

عاشت أم المؤمنين زينب رضي الله عنها في بيت النبوة قرابة خمس سنوات؛ كانت زاهدة صوامة أواهرة، وكانت ذات صنعة، كانت تدبغ الجلود وتخزها - أي: تخطيها - ثم تبيع ما تصنعه لكي تتصدق بإيراده على المساكين، تفعل ذلك كله أمام النبي ﷺ وبتشجيع منه.

وكم هي كثيرة اليوم أعمال الخير التي بإمكان المرأة أن تُسهم فيها دون أن تقصّر في حق أسرتها وعائلتها؛ تُسهم برعاية الأطفال، أو في تدريب المرأة الفقيرة على مهن يدوية تمكّنها من إعالة أسرتها.

توفيت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها عن عمر يناهز الـ (٥٣) عاماً، وقيل: (٤٠) عاماً، وكانت أول نساء النبي ﷺ لحوقاً به، فسلام عليك منا يا أمنا، يا مَفْزَع اليتامى والأرامل.





تبدأ القصة حين سيقّت برّة (سماها الرسول ﷺ فيما بعد: جويرية) بنت الحارث سيد بني المصطلق أسيرة إلى المدينة المنورة.

لم تكن الأسيرة الوحيدة؛ فلقد سيقّت مئة من عوائل بني المصطلق برجالها ونسائها وأبنائها إلى المدينة المنورة ينتظرهم جميعاً مصيراً مجهول، أما زوجها مسافع بن صفوان فقد قُتل بسيف أحد المسلمين، ولكن كيف سيكون مصير بقية الرجال من قومها؟ ..

تذكرت برّة والدّها الحارث، وزوجّها مسافع، وقد اجتمعوا قبل أشهر خلت ليتأمروا للقضاء على محمد ﷺ وأصحابه في عقر دارهم يثرب.

وقعت غزوة بني المصطلق في السنة السادسة للهجرة؛ فقد بلغ النبي ﷺ أن بني المصطلق بزعامة الحارث بن أبي ضرار يعدّون العدة لحرب المسلمين، فندب رسول الله ﷺ أصحابه للجهاد، وخرج بهم مسرعاً وكانوا سبعمئة مقاتل.

التقى الجمعان، فعرض عليهم النبي ﷺ الإسلام فأبوا، فأخذهم أصحاب النبي ﷺ، أسروا الرجال وغنموا الأموال وسبوا النساء.

ومنذ أن سيقّت برّة أسيرة لم ترَ من هؤلاء المسلمين إلا أحسن الأخلاق، كانت تسمع حديثهم عن الرسول الكريم ﷺ، وتعجب لحبهم له أشد العجب، ووقعت برة غنيمة لثابت بن قيس، فسألته أن ي كاتبها، والمكاتبه: هي أن يشتري العبد نفسه من سيده مقابل مال معين يؤديه إليه، أت برة النبي ﷺ وقالت له: يا رسول الله! أنا برة بنت الحارث سيد قوم، وقد أصابني من البلاء ما لا يخفى عليك، فوقع في السهم لثابت بن قيس، فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على مكاتبتي.

وقع كلامها هذا من النبي ﷺ موقعاً عظيماً؛ فهي سيدة في قومها، وقعت في الأسر، وتريد منه أن يساعدها لتفك أسرها! عرض النبي ﷺ عليها أن يقضي عنها مال مكاتبته، وأن يتزوجها.

هل تصورت أن تخلص من ذل الأسر لتصبح أمّاً للمؤمنين؟ ..

كان زواج النبي ﷺ من برة في السنة الخامسة للهجرة، وكان عمرها (٢٠) عاماً، وأسمها جويرية، لأنه كان ﷺ لا يحب اسم برة، إذ فيه تزكية النفس على الله، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

سمع المسلمون أن نبيهم الحبيب أعتق برة، وتزوجها، فعزّ عليهم أن يكون قوم زوجة نبيهم عبيداً أرقاء، فأرسلوا من بأيديهم من أسرى بني المصطلق أحراراً، وهم يقولون: «أصهار رسول الله ﷺ». . تقول عائشة رضي الله عنها: «وما من امرأة أعظم على قومها بركة منها: أعتق بزواجها أهل مئة بيت من بيوت بني المصطلق».

ويسمع والدها الحارث بالخبر، فيشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وتدخل جويرية بيت النبي محمد ﷺ، وتعيش تحت جناحه خمس سنوات، كان جل اهتمامها منصباً على عبادة الله ﷻ، تقوم الليل وتصوم النهار.

روت عن النبي ﷺ سبعة أحاديث. . وتوفيت سنة خمسين للهجرة وهي في الخامسة والستين، ودفنت في البقيع إلى جانب أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين.





صفية رضي الله عنها (١)

صفية هي بنت «حيي بن أخطب» سيد بني النضير، ينتهي نسبها فيما يقال إلى هارون بن عمران أخى موسى عليه السلام.

كيف تزوج النبي ﷺ صفية؟ ولماذا؟ ما الحكمة من هذا الزواج؟ وكيف آمنت صفية بالنبي ﷺ؟ هل كرهت دين اليهودية وعادته عندما دخلت في دين الإسلام؟..

فمسيرة اليهود مع النبي ﷺ ظلت مسيرة حاقدة منذ أول يوم وطئت فيه قدماه أرض يثرب.. كانت تسكن المدينة المنورة آنذاك ثلاث قبائل يهودية (بنو قينقاع، بنو قريظة، وبنو النضير)، وكان بنو قينقاع أول من غدر من اليهود بالنبي ﷺ، ونقض عهده، كان ذلك في السنة الثانية للهجرة، فعاقب النبي ﷺ بني قينقاع بأن أجلاهم عن المدينة بسبب غدرهم، وظن المسلمون أن هذه العقوبة ستكون درساً لبني النضير وبنو قريظة، ولكن ظنهم خاب، فقد حاول بنو النضير قتل النبي ﷺ لما قَدِمَ إلى دُورهم زائراً، ولكن الله حمى رسوله من أن يناله أذى.

اتخذ النبي ﷺ قراره بإجلاء بني النضير عن المدينة المنورة إلى خيبر (منطقة تبعد عن المدينة قرابة ١٥٠ كيلو متر شمالاً) في السنة الرابعة للهجرة، فخرجوا وهم يحملون أموالهم وأمتعتهم.. وكانت صفية فيمن أُجلي إلى خيبر مع والدها حييٍّ وزوجها سلام.

وبعد سنة واحدة من إجلاء بني النضير عن المدينة كانت غزوة الأحزاب، وكان حييٍّ من الذين ألبوا العربَ على محاربة النبي ﷺ.. انتهت غزوة الأحزاب وحن وقت الحساب.

توجّه النبي ﷺ إلى حصون بني قريظة وحاصرهم، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فاستسلموا دون قتال..

ماذا سيفعل النبي ﷺ بهؤلاء الغادرين؟ سألهم: أتقبلون حكم سعد بن معاذ؟ قالوا: نعم، سعدٌ هذا كان حليفهم قبل الإسلام.. فَحَكَمَ عليهم سعدٌ بما يرضي الله ورسوله، فلم يكتفِ بإجلائهم عن المدينة، بل حكم بقتل المقاتلين وبسبي النساء والذراري وفقاً لمنطق الحرب السائد آنذاك.. وكان فيمن قُتل مع بني قريظة والد صفية حَيِّي بن أخطب زعيم بني النضير.

لا شك أن حزن صفية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا على مقتل والدها كان شديداً، كان عمرها آنذاك (١٧) عاماً، وزاد من حزنها طلاقها من زوجها، ثم زُفَّت إلى رجل اسمه كنانة بن الربيع، وبعد أيام من الزفاف استيقظت مبتسمة مسرورة، سألتها كنانة: ما الذي أبهجتك يا صفية؟ أخبرته صفية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا برؤيا رأتها، زرعت في نفسها شعوراً بالطمأنينة والأمن، رأت كأن قمر السماء قد سقط في حجرها، كانت صفية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تقصُّ رؤياها تلك مسرورة فرحة، ولكن لطمة على وجهها أطارَتْ فرحها! صرخ بها زوجها كنانة بحدة وعيناه تقدحان بالشر: «أتمنين ملك الحجاز محمداً أن يصير زوجك يا صفية؟».

دهشت صفية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا من هذا الاستنتاج العجيب! نسيت ألم اللطمة وغضب الزوج، وسرحت بخيالها نحو نبي الإسلام، أيمن أن يتحقق هذا الحلم كما فسره زوجها؟ مستحيل!..

ولكن هذا المستحيل تحقق بعد بضعة أيام! كان النبي ﷺ في المدينة المنورة يعدُّ العدة لاستئصال قوة اليهود المتمركزة في خيبر، تلك القوة التي ألَّبت يهود بني قريظة في السابق.. سار النبي ﷺ إلى خيبر ومعه (١٦٠٠) مقاتل، فحاصر حصونها القوية.. سقطت حصون خيبر في يد المسلمين، ووقعت صفية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بأيدي المسلمين فيمن وقع من سبايا اليهود، وقُتل زوجها كنانة بن الربيع.

.. يتبع ..



وسيق الأسرى والسبايا ليُمثلوا بين يدي النبي محمد ﷺ . . كان بلال رضي الله عنه يسوق صفية رضي الله عنها ومعها امرأة أخرى من نساء السبي، إلى مكان من ناحية الجيش، فمرَّ بهما على قتلى اليهود، فلم تتمالك المرأة التي مع صفية رضي الله عنها نفسها، فصكَّت وجهها وحثَّت الترابَ على رأسها، أما صفية فلم تزد على أن تفرقت الدموع في عينيها حزناً لما آل إليه حال قومها .

وصل صوت المرأة التي تصرخ إلى النبي ﷺ، فدعا بلالاً رضي الله عنه وعاتبه قائلاً: **أَنْزَعْتُ مِنْكَ الرَّحْمَةَ يَا بِلَالُ حَتَّى تَمَرَّ بِامْرَأَتَيْنِ عَلَى قَتْلَى رِجَالِهِمَا .**

نظر النبي ﷺ إلى صفية فلفت نظره رباطةُ جأشها ورقة تعبيرها عن حزنها، وربما استشفَّ ما بداخلها من إيمان وصفاء وإنكار لمواقف قومها، فأقبل عليها وقال لها - حسب ما يروي ابن سعد في طبقاته -: **لم يزل أبوك من أشد اليهود عداوة حتى قتله الله، فقالت صفية رضي الله عنها: يا رسول الله! أليس دينكم يقول: ﴿وَلَا نُزِرُ وَأَرْزُ وَرَدَّ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]؟**

جواب ذكي محنَّك، زاد في إعجاب النبي ﷺ بصفية وعقلها وشخصيتها، يقول أنس رضي الله عنه: **إن رسول الله ﷺ لما أخذ صفية بنت حبي، قال لها: «هل لك في؟» .**

قالت: يا رسول الله، قد كنتُ أتمنّى ذلك في الشرك، فكيف إذ أمكنني الله منه في الإسلام؟! .. فأعتقها ﷺ وتزوجها .

ولم تكن قد جاوزت السابعة عشرة من عمرها، ومع ذلك فهي امرأة عاقلة، تتصرف بحكمة لا ينتظرها الإنسان ممن هنَّ في مثل سنّها .

وعندما تزوج رسول الله ﷺ صفية رضي الله عنها وأراد أن يعرس بها، تمنّعت

وأبت عليه أن يفعل . . فشقَّ عليه تمُّعها ورفضها! فلما كان بالصهباء في الطريق إلى المدينة نزل يستريح، فبدا له أن صفية رضي عنها متهيئة للعرس، جاءتها ماشطة فمشطتها وعطرتها . . وأقبلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألها: «ما حملك على إياك في المنزل الأول؟» فأجابت: خشيت عليك قرب اليهود! . . فهي تعرف قومها ومكرهم، فخشيت عليه منهم.

عاشت صفية رضي عنها في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات كباقي زوجاته الكريمات، وما أكثر ما سمعت صفية رضي عنها من التعريض جهراً أو تلميحاً بالدم اليهودي الذي يجري في عروقها، كانت تتمتع باستمرار بحماية النبي صلى الله عليه وسلم وعطفه، فعندما رآها تبكي لكلام سمعته من أمهات المؤمنين، قال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا قلت: وكيف تكونان خيراً مني، وزوجي محمد، وأبي هارون، وعمي موسى؟!» . .

اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه، واجتمع إليه نساؤه، فقالت صفية بنت حيي: إني والله يا نبي الله لوددتُ أن الذي بك بي . فغمزن أزواجه ببصرهن . . فقال صلى الله عليه وسلم: «مضمضن»، فقلن: من أي شيء؟ فقال: «من تغامزكنَّ بها . . والله إنها لصادقة»^(١).

روت أم المؤمنين صفية رضي عنها عشرة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم . . وتوفيت حوالي سنة (٥٠هـ)، عن عمر يناهز الستين عاماً، ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين، رضي الله عنها وأرضاها.



(١) الإصابة، لابن حجر العسقلاني، وإسناده جيد.



أم حبيبة رضي الله عنها (١)

الليلة
٣٦٣

هي رملة بنت أبي سفيان؛ فأبوها زعيم مكة وقائد معسكر الشرك يومذاك، وزوجها هو عبيد الله بن جحش، ابن عمه رسول الله ﷺ.

وقصة أم حبيبة ذات فصول كثيرة ومثيرة؛ فمنها: إسلام عبيد الله بن جحش وإسلام زوجته معه.

ومن فصولها: هجرتها مع زوجها إلى الحبشة، والتي أحدثت شرخاً آخر في بيت أبي سفيان، فها هي ابنته تهجر مكة وتهجر أباهما وتهاجر إلى بلاد بعيدة في سبيل دينها.

وما أن تستقر رملة في الحبشة وتُرزق بطفلتها (حبيبة) حتى ترى رؤيا مزعجة، استعادت بالله تعالى من الشيطان الرجيم، ثم قامت تصلي في جوف الليل تلجأ إلى ربها ضارعة أن يجيرها من شر تلك الرؤيا.

جلست رملة في الصباح مع زوجها عبيد الله، وحدثته عن حلمها قائلة: يا أبا حبيبة لقد رأيتك في الحلم بأقبح صورة، وقمتُ منزعة منقبضة القلب، فأرجوك أن تصدقني القول، إن كان في حياتك شيء مريب!.

راوغ عبيد الله في الكلام، ثم صرح تصريحاً أذهل أم حبيبة، تركها حيرى لا تدري ما تفعل ودموعها تتساقط بحرقة وألم، كانت تتصور كل شيء إلا أن يرتد عن الإسلام، ويتنصر! لم يستطع عقلها أن يستوعب هذا، كيف يترك الإسلام بعد أن ذاق حلاوته؟! وكيف يكفر به بعد أن رأى سمو تعاليمه؟! لم تكن تدري وهي في بلاد الغربة ماذا تفعل؟ لاحت لها صورة اليوم الذي قررت فيه هي وزوجها الفرار بدينهما إلى الحبشة، منذ أكثر من (١٣) سنة، يومها كانت حاملاً بابنتها حبيبة، وتذكرت أيام الغربة التي عاشتها في الحبشة.

بل إن أكثر ما كان يحزن أم حبيبة أن يسلم النجاشي ويؤمن بالنبي محمد ﷺ، ثم يأتي زوجها اليوم ليرتدّ عن دينه..

اعتزلت رملة الناسَ شاعرة بالخزي لفعلة الرجل الذي كان لها زوجاً ولا يزال لطفلتها أباً، وأغلقت الباب عليها وعلى طفلتها حبيبة مضاعفة الغربة، لا تريد أن تلقى أحداً من الناس!.

إلى من ستلتجئ اليوم؟ أعود إلى مكة إلى أبيها المشرك أبي سفيان ليفتنها عن دينها؟ أم تبقى وابنتها في الغربة دون سند ولا معين؟.

من قال: إن أم حبيبة كانت بلا معيل ولا مؤنس؟.. كانت ترى أن معها خير معيل وخير سند، معها ربها رب الناس أجمعين، وكفى به حافظاً ومعيناً.. يا له من إيمان، ويا له من ثبات!..

رنت في أذنيها كلمات زوجها قبل أن يخرج من البيت: ما رأيك يا أم حبيبة أن تتركي الإسلام وتتنصّري، فنحافظ على حبننا وزواجنا، ولا نفرق أبداً؟!.

كان الأمر بالنسبة إليها محسوماً، فهي لن تترك ديناً اقتنعت به وأحبه قلبها وعقلها وكل جوارحها.. أجل، ستركها زوجها ويهدم عش الزوجية! وستعيش ابنتها كاليتيمة وأبوها على قيد الحياة! هذا لا يهم، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

خرج عبيد الله من المنزل دون رجعة، وأكبّ على الخمر حتى مات! وبقيت أم حبيبة وابنتها وحيدتين تتجرّعان مرارة الفراق وألم الغربة.

ومن قلب الضيق يأتيها الفرج، فقد أحس النبي ﷺ - على البعد - بمأساة أم حبيبة التي فقدت زوجها وموطنها، وعافت أباهها من أجل دينها.

.. يتبع ..



فها هي جارية من جوارى قصر النجاشي تأتيها ذات يوم لتقول لها: سيدي النجاشي يُقرئك السلام، ويقول لك: إن نبيَّ الإسلام قد كتب إليه ليزوجك منه، فوَكَّلي من ترغيبين فيه ليزوجك محمداً ﷺ.

يا لروعة هذا الخبر، لم تسعها الدنيا من الفرحة، تذكرت عندها رؤيا رأتها منذ مدة، صوت يناديها: يا أم المؤمنين! يا أم المؤمنين!.. الآن فهمت أم حبيبة لماذا كان ذلك الصوت يناديها: يا أم المؤمنين، نعم، ستصبح الآن أمًّا للمؤمنين.

لم تجد أم حبيبة أمامها ما تكرم به هذه الجارية إلا سوارين في يدها نزعتهما وأهدتهما لها حلاوة البُشرى، ثم أرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص كبير مهاجري قومه، ووَكَّلته في أمر زواجها.

وفي المساء تم عقد الزواج المبارك، وكان النجاشي وكيلَ الزوج - محمد رسول الله ﷺ.

واجتمع المسلمون مهاجرو الحبشة في قصر النجاشي ليتناولوا طعام الوليمة التي دُعوا إليها على شرف ذلك الزواج المبارك.

استقرت الأمور في المدينة المنورة وأن للمهاجرين المستضعفين الذين هاجروا إلى الحبشة أن يعودوا.. ومع هؤلاء العائدين كانت أم حبيبة تنتظر النبي ﷺ ليحملها إلى بيته، وقد مضى على زواجهما بضع سنين.

احتفلت المدينة بزواج بنت أبي سفيان بالنبي عليه الصلاة والسلام، وبدخولها بيته زوجة، وأمًّا للمؤمنين.

ورغم الفرح العام الغامر الذي لفَّ حياة السيدة رملة، كان هناك دائماً

ما يؤرقها، فوالدها أبو سفيان ما زال مشركاً بالله، وقد تقوم في كل يوم حرب ربما تقضي على زوجها أو على أبيها! فهي تحب الإسلام ونبي الإسلام زوجها محمداً ﷺ، وتتمنى لو تفديه بنفسها وروحها، ولكنها أيضاً تحبُّ أباهما وأمهها، ولا تستطيع أن تتنكر لعواطف الأبوة والأمومة.. كانت تدعو لهما دائماً في صلاتها: اللهم اهدِ والديَّ إلى دين الإسلام؛ إنك على كل شيء قدير.

وها هو أبو سفيان يطرق باب ابنته أم حبيبة في سنة ثمان للهجرة دون سابق موعد، فقد نقضت قريش عهد الحديبية، وشعرت بخطورة الموقف، فقررت أن تبعث أبا سفيان يفاوض عنها.. وتهيبُّ أبو سفيان لقاء محمد رسول الله ﷺ، فرأى أن يتوسل بابنته إلى لقائه.

وفوجئت به أم المؤمنين يدخل بيتها، ولم تكن قد رآته منذ هاجرت إلى الحبشة، فوفقت تجاهه حيرى، لا تدري ماذا تفعل أو تقول، وعندما أراد الجلوس، اختطفت الفراش، فسألها أبوها: أطويته يا بنية رغبةً بي عن الفراش، أم رغبةً بالفراش عني؟..

وجاء الجواب: هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك، فلم أحب أن تجلس عليه!..

وعند فتح مكة أسلم أبو سفيان، ونادى منادٍ: «من دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل بيت أبي سفيان فهو آمن».

عاشت أم حبيبة في بيت النبي ﷺ بعد إسلام والدها مرتاحة البال، بعد أن زالت عنها تلك المشاعر المضطربة والتمزقة بين الولاء للدين والوفاء للوالدين.

وتوفيت أم حبيبة سنة (٤٤هـ)، فرضي الله عنها وأرضاها.





الليلة

٣٦٥

لماذا لا ينصرنا الله؟

يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

العِزَّةُ لله ولرسوله وللمؤمنين؛ فما بالنا نرى المسلمين في كل أرض يَدُّون ويُعْتَدِي عليهم؟! ما بالهم لا يجدون لهم نصيراً؟! .

يقول الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللهُ: «إن الله وعد المسلمين النصر؛ فما بالنا لا ينصرنا الله؟! .

ونحن ندعو على المنابر في كل جمعة: اللهم أعز الإسلام والمسلمين.. ونحن ندعو على الكفار: أن يشتت شملهم، ويفرق جمعهم، وأن يجعل تدميرهم في تدميرهم.

الأننا ندعو عليهم ونحن نتبع خطواتهم، ونترك أحكام شرعنا ونقتدي بهم؟! .

ندعو ونحن قاعدون، والرسول ﷺ يوم بدر أعدَّ الجيش وصفَّ الجند، وهياً كل وسيلة للنصر، ثم دعا حتى سقط رداؤه عن منكبه.. وكذلك يكون دعاء المسلم.

الله رَبَطَ نصره إيانا بنصرتنا شرعه: ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]؛ فهل نصرناه حتى ينصرنا؟! .

هل كنا معه في الرخاء حتى يكون معنا في الشدة؟! .

هل عرفنا للمسلمين المعذبين في كل أرض حقَّ الأخوة بيننا وبينهم؟! .

الأخوة التي عقدتها يدُ الله حين قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

أم نحن نلهو ونلعب وإخواننا يُقتلون؟! .
ونحن نشتغل بالعبث، وهم تستباح أرضهم وديارهم، وتُهرق بسيف
البغي والعدوان دماؤهم! ..
ما لنا نبتغي في الغرب العزّة، وننسى أن العزّة لله ولرسوله
وللمؤمنين؟! .

أم نحن نخشاهم؛ فالله أحق أن نخشاه إن كنا مؤمنين ..
إن ما عندهم من القوة زائل، وما عند الله باقٍ ..
أفلا نطلب ما يبقى ونؤثره على ما يزول؟! .
أنسينا أن الدهر دولاب، وأنه ينزلُ بالذي هو فوق، ويعلو بالذي هو
تحت؟! فما بالنا نئس من نصر الله؟! .

إن الليل ينتهي إذا أذن الفجر، فحينما يؤذن المؤذن بيننا صادقاً،
ونسמעه صادقين .. نتدبّر ما يقول، ونعمل بما نسمع، ونجعله دستور
حياتنا .. الله أكبر، لا إله إلا الله؛ يكون قد طلع الفجر، وانتهى الليل،
وجاء نصر الله والفتح ..

فيا أيها المسلمون! عودوا إلى الله يُعِدْ لكم النصر ..
عودوا إلى الله في أنفسكم، وفي أسركم، وفي جماعاتكم .. في
حربكم وفي سلوكم؛ فإنه لا يأتيكم النصر إلا من عند الله^(١) ..



تم الكتاب بعون الله تعالى

(١) مقدمة كتاب: قصة حياة عمر، للشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللهُ .

المراجع

- ١ - محمد صديق المنشاوي: الزهّاد مئة، دار الفضيلة، القاهرة.
- ٢ - د. رضا ديب عواضة: سنابل الحكمة، رشاد برس، بيروت.
- ٣ - د. جاسم محمد الياسين: الكشكول، مؤسسة الريان، بيروت، ٢٠٠٧م.
- ٤ - محمد الصائغ: قطوف إسلامية، سورية، ١٩٩٩م.
- ٥ - محمد عبد العاطي بحيري: صفقات غالية، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- ٦ - ناجي الطنطاوي: كلمات نافعة، دار المنارة، جدة، ١٩٨٨م.
- ٧ - د. عبد الرحمن رأفت الباشا: صور من حياة التابعين، دار الأدب الإسلامي.
- ٨ - د. لينا الحمصي: صحايات.
- ٩ - د. خالد عمر الدسوقي: بواعث السرور: مكتبة ألف، الجيزة، ٢٠٠٥م.
- ١٠ - محمد خالد ثابت: مدارس الحب مصانع الرجال: المقطم للنشر، القاهرة.
- ١١ - د. حامد أحمد الطاهر: دموع الصالحين، دار الغد الجديد، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- ١٢ - د. رضا ديب عواضة: بيارد العمر، رشاد برس، بيروت.
- ١٣ - د. خليل إبراهيم ملا خاطر: بر الوالدين، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.
- ١٤ - أسامة نعيم مصطفى الناعسة: قصص وعبر، دار الرضوان، حلب.
- ١٥ - د. محمود فؤاد الطباخ: سبعون حقاً للأخوة، دار عمار، عمان، ٢٠٠١م.
- ١٦ - خالد سيد علي: صيد القلم، مكتبة التراث والإيمان، الكويت، ١٩٩٩م.
- ١٧ - خالد محمد خالد: رجال حول الرسول، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٨ - بنت الشاطئ: نساء النبي، القاهرة، ١٩٩٦م.
- ١٩ - محمد صالح آل إسحاق الصيعري: نساء رباهن القرآن، دار الحديث، الرياض، ٢٠٠٨م.

- ٢٠ - د. مصطفى السباعي: دروس من الحياة، دار الوراق، بيروت.
- ٢١ - إبراهيم الألمعي: روائع الطنطاوي، دار المنارة، جدة، ٢٠٠٠م.
- ٢٢ - د. محمد عبد الرحمن العريفي: استمتع بحياتك، دار الحميد، الرياض، ١٤٢٧هـ.
- ٢٣ - أسامة نعيم مصطفى: أنيس المؤمنين، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٤م.
- ٢٤ - علاء الدين آل رشي: هكذا علمني محمد الغزالي، دار الوراق، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ٢٥ - مجموعة باحثين: جاك صبري شماس، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٧م.
- ٢٦ - د. عبد المعطي دالاتي: ربحتُ محمداً ولم أخسر المسيح، دار الشهاب، بيروت، ١٩٩٩م.
- ٢٧ - د. محمد علي قطب: أعلام الصحايبات، دار الدعوة، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.
- ٢٨ - نذير مكتبي: صفحات نيرات من حياة السابقات، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٥م.
- ٢٩ - إبراهيم النعمة: روائع وطرائف، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٠م.
- ٣٠ - محمد الفحام: سعادة الأبناء في بر الأمهات والآباء، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٩م.
- ٣١ - محمد أبو السعود: خواطر الفجر، شروق للتجارة، المنصورة، ٢٠٠٤م.
- ٣٢ - محمد الحجار: سمير المؤمنين، دار الكتاب النفيس، حلب، ١٤٠٦هـ.
- ٣٣ - أحمد سعيد الدجوي: فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، مكتبة أسامة بن زيد، حلب.
- ٣٤ - مصطفى فرغلي الشقيري: سمير الصالحين وأنيس المؤمنين، مؤسسة الريان، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ٣٥ - ناجي الطنطاوي: حديقة القارئ، دار المنارة، جدة، ١٤١٦هـ.
- ٣٦ - بدوي محمود الشيخ: رياض الصالحات، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ٣٧ - بهاء الدين عقيل، د. عبد العزيز مصطفى: رياض الدعاة والمصلحين، دار طيبة، الرياض، ٢٠٠٥م.
- ٣٨ - د. عبد الحميد هندراوي: أنين التائبين، مكتبة العلوم والحكم، القاهرة، ٢٠٠٨م.

- ٣٩ - سعد رياض : علم النفس في القرآن الكريم، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ٤٠ - د. أحمد ماهر البقري : العلم والقيم الخلقية في الإسلام، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٨٨م.
- ٤١ - عبد الله هشام طلس : الجار في الإسلام، دار طلاس، دمشق.
- ٤٢ - عبد الملك القاسم : لحظات ساكنة، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤١٣هـ.
- ٤٣ - مصطفى لطفي المنفلوطي : كلمات المنفلوطي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- ٤٤ - علا محجوب : طريقك إلى قلوب الآخرين، دار اللطائف، القاهرة.

